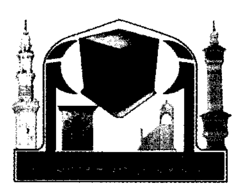
المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي
إدارة المطبوعات والنشر



مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي

المجموعة الكاملة لمؤلفات سماحة الشيخ العلامة محمد بن عبد الله السبيل رحمه الله

٧



بحوث ورسائل شرعية

الجزء الأول

تأليف
سماحة الشيخ العلامة
محمد بن عبد الله السبيل رحمه الله
إمام وخطيب المسجد الحرام وعضو هيئة كبار العلماء وعضو المجمع الفقهي الإسلامي
(١٣٤٥ - ١٤٣٤هـ)


بسم الله الرحمن الرحيم

بحوث ورسائل شرعية

الجزء الأول

ح مدار الوطن للنشر، ١٤٣٦ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
السبيل، محمد عبد الله
المجموعة الكاملة لمؤلفات سماحة الشيخ محمد عبد الله السبيل.
من منبر المسجد الحرام (بحوث ورسائل شرعية) ـ الجزء ٧/
محمد عبد الله السبيل ـ الرياض، ١٤٣٦هـ.
...ص؛ ... سم.
ردمك: ٠ ـ ٢٤ ـ ٨١٧١ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨
١ ـ السبيل، محمد بن عبد الله بن محمد ٢ ـ الإسلام ـ بحوث أ ـ العنوان
ديوي: ٢١٠،٧ ١٤٣٦/٧٦١٧هـ

إدارة المطبوعات والنشر بالرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي

الطبعة الأولى
١٤٣٦ هـ ـ ٢٠١٥م

رقم الإيداع: ١٤٣٦/٧٦١٧ هـ
ردمك: ٠ ـ ٢٤ ـ ٨١٧١ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨



مدار الوطن للنشر

المملكة العربية السعودية
المقر الرئيسي: الرياض ـ الروضة

ص.ب.: ٢٤٥٧٦٠ الرمز البريدي ١١٣١٢
هاتف: ٠١١٢٣١٣٠١٨ (٣ خطوط)
٠١١٤٧٩٢٠٤٢
فاكس: ٠١١٢٣٢٢٠٩٦

فرع السويدي
هاتف: ٠١١٤٢٦٧١٧٧ ـ فاكس: ٠١١٤٢٦٧٣٧٧

الرياض: ٠٥٠٣٢٦٩٣١٦
الغربية: ٠٥٠٤١٤٣١٩٨
الشرقية: ٠٥٠٣١٩٣٢٦٨
الشمالية والقصيم: ٠٥٠٤١٣٠٧٢٨
التوزيع للشرقية والجنوبية: ٠٥٠٣١٩٣٢٦٩
التوزيع الخيري لباقي جهات المملكة: ٠٥٠٦٤٣٦٨٠٤
التسويق للجهات الحكومية: ٠٥٠٠٩٩٦٩٨٧

pop@madaralwatan.com • madaralwatan@hotmail.com • www.madaralwatan.com

مقدمة الناشر

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد :

فهذه بحوث ورسائل شرعية لسماحة الشيخ العلامة محمد بن عبد الله السبيل ، إمام وخطيب المسجد الحرام ، وعضو هيئة كبار العلماء وعضو المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي رحمه الله .

تتناول هذه البحوث والرسائل موضوعات شتى في العقيدة والدعوة والفقه وفي قضايا معاصرة وكثير منها يطبع لأول مرة . وتكتسب أهميتها من منزلة مؤلفها رحمه الله ، فهو الإمام، الفقيه، المفتي، الذي حرر هذه المسائل وكتبها للهيئات العلمية والشرعية ، كهيئة كبار العلماء ، والمجمع الفقهي الإسلامي ، وغيرها .

كما أن هذه البحوث والرسائل تكتسب أهمية أخرى من موضوعاتها القيمة ، والتي تمس لها حاجة المسلمين عمومًا ، وأهل العلم خصوصًا.

نسأل الله تعالى أن يغفر للمؤلف ، ويرحمه ، ويسكنه فسيح جناته ، وأن ينفع الأمة الإسلامية بهذه الرسائل القيمة .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .



عناوين البحوث والرسائل

(١)

دعوة المصطفى ﷺ

ودلائل نبوته

ووجوب محبته ونصرته

تأليف

سماحة الشيخ العلامة

محمد بن عبد الله السبيل رحمه الله

إمام وخطيب المسجد الحرام وعضو هيئة كبار العلماء وعضو المجمع الفقهي الإسلامي

(١٣٤٥ - ١٤٣٤هـ)



المقدمة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين ، وهدى للناس أجمعين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فيقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢١].

لقد بعث الله رسوله محمدًا ﷺ هاديًا وبشيرًا ، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا ، فهدى الله به من الضلالة ، وأخرج به الناس من الظلمات إلى النور .

وإن في سيرته ﷺ وشمائله دروس وعبر ، حق على كل مسلم معرفتها، والتأسي بها ، فمحمد ﷺ هو القدوة والأسوة، ومحبته ﷺ ، واتباع سنته ، موصلة لمحبة الله وغفرانه.

وقد كتبت منذ سنوات عديدة رسالة مختصرة ، في ذكر دعوته ﷺ ، وبعثته، وبيان شيء من فضائله ﷺ، وأخلاقه، ودلائل نبوته، وبينت فيها وجوب محبته ﷺ،ولزوم سنته،ونصرته،والذب عنه عليه الصلاة والسلام.

وقد رغب إليَّ جمعٌ من المشايخ والدعاة نشر هذه الرسالة، فأجبتهم لذلك ، سائلًا المولى جل وعلا أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن ينفع بهذه الرسالة ، والله الهادي ، وبه التوفيق سبحانه .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

محمد بن عبد الله السبيل

مكة المكرمة في ٢٠/ ٢/ ١٤٢٧هـ

تمهيد

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد :

فإن الله جل وعلا بعث نبيه محمدًا ﷺ ، وأرسله بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله وأنزل عليه كتابه المبين ، الهادي للتي هي أقوم، بعثه بالنور والهدى بشيرًا ونذيرًا ﴿ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝ ﴾ [الكهف : ٢-٥] .

بعثه على حين فترة من الرسل ، وقلة من العلم ، وفشو من الجهل، وافتراق الأمم ، وتحكم الأهواء بهم ، والتعلق بغير الله ، ممن لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا ، ولا يملكون موتًا ولا حياة ولا نشورًا ، اتخذوا دينهم شيعًا، كل حزب بما لديهم فرحون .

بعثه الله جل وعلا بالحنيفية السمحة ، التي هي دين الإسلام ، فجدد للناس دين إبراهيم عليه السلام ، ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ ﴾ [الحج : ٧٨] .

بعثه سبحانه في أقدس بقعة على وجه الأرض ، وفي أشرف جيل من الناس ، وفي أفضل لغة وأفصحها .

فكانت بعثته ﷺ هداية للناس، وإخراجًا لهم من رق العبودية للأوثان والأحجار ؛ لعبادة رب السماوات والأرض، ومن الجهل والضلالة إلى العلم والهداية والنور المبين .

فصل

في دعوته ﷺ وبعثته

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٨] .

إن الله سبحانه وتعالى يخلق ما يشاء ويختار ، ولقد اختص سبحانه عبادًا للاصطفاء ، وركب فيهم من الأخلاق الفاضلة ، والصفات العالية ، والمميزات التي ميزتهم على سائر البشر ، رجاحة في أحلامهم ، وكمالًا في أخلاقهم ، ورزانة في عقولهم ، وصفاء في أذهانهم .

لقد اختار المولى جل وعلا قريشًا من سائر العرب ، واصطفى بني هاشم من قريش ، واصطفى محمدًا ﷺ من بني هاشم ، فهو ﷺ أشرف الناس نسبًا ، ومن ذرية إبراهيم نبي الله عليه السلام ، فهو محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ابن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وعدنان من ولد إسماعيل عليه السلام .

ولد النبي ﷺ بمكة عام الفيل ، ونشأ محبًا للخير والخلق القويم ،

يتعبد في غار حراء الليالي ذوات العدد ، حتى نزل عليه الوحي من الله ، وعمره أربعون عامًا ، فكانت بعثته ﷺ رحمة للعالمين ، وهدى للناس أجمعين.

لقد وصف الله نبيه محمدًا ﷺ بقوله سبحانه : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة:١٢٨]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤] .

لقد جبله الله على أكمل الصفات والسجايا ، وكان له بين قريش المقام السامي ، والمحل العالي ، والمنزلة الرفيعة ، قبل أن يوحى إليه ، ففاقهم حلمًا ، وأخلاقًا ، وسؤددًا ، واحتمالًا ، وصبرًا ، ورزانة ، وأمانة ، حتى كانوا يسمونه الأمين ، ويشهدون بفضله ، ويقرون بكريم خلقه .

وليس بأدل على ذلك من واقعة تحكيمه ﷺ في رفع الحجر الأسود إلى مكانه من البيت ، فقد تنازع القوم ، ولم يرضوا أن ينفرد بهذا الشرف واحد منهم ، فحكموا أول من يدخل ، فكان هو ﷺ ، فرضوا به جميعًا ، وقالوا هذا الأمين، رضينا رضينا، فكان هو الذي يرفعه ، ويضعه في مكانه ، مع وجود أشياخ قريش ، وأكابرهم ، ولولا منزلته وعلو مكانته ، لما أقروا له بذلك .

ولما اشتهر بأخلاقه الشريفة بين قريش ، وتكاملت فيه صفات الخير ، وقارب نزول الوحي عليه ، جعلت بعض الأحجار تسلم عليه، ويسمع صوتها، توطئة لنزول الوحي عليه، وجعل يرى الرؤيا الحق ، ويقع تأويلًا أبين من فلق الصبح ، ثم مع همته ، وشرفه ، وأخلاقه ﷺ ، صار يخرج

للجبال يتعبد وحده، تاركًا ما عليه الناس من عبادة الأوثان ، وارتكاب الجرائم ، والتلوث بأنواع الأخلاق الرذيلة .

ثبت في صحيح مسلم أنه ﷺ كان يخلو بغار حراء ، يتحنث فيه -أي يتعبد- الليالي أولات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى خديجة ، فيتزود لمثلها ، حتى فجئه الحق، وهو في غار حراء، فجاءه الملك ، فقال : اقرأ، قال : ما أنا بقارئ ، قال : فأخذني، فغطني ، حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ ، قال: قلت: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني ، فغطني الثانية ، حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ، فأخذني ، فغطني الثالثة ، حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني ، فقال : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق:١-٥] ، فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره ، حتى دخل على خديجة ، فقال : زملوني، زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع ، ثم قال لخديجة: أي خديجة مالي، وأخبرها الخبر ، قال: لقد خشيت على نفسي ، قالت له خديجة : كلا أبشر ، فوالله لا يخزيك الله أبدًا ، والله إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، فانطلقت به خديجة ، حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى، وهو ابن عم خديجة أخي أبيها ، وكان امرأً تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العربي ، ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي ، فقالت له

خديجة: أي عم ، اسمع من ابن أخيك، قال ورقة بن نوفل : يا ابن أخي ، ماذا ترى ، فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رآه ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذي أنزل على موسى ﷺ ، يا ليتني فيها جذعًا، يا ليتني أكون حيا ، حين يخرجك قومك ، قال رسول الله ﷺ : أو مخرجي هم؟ قال ورقة: نعم، لم يأت رجل قط بما جئت به، إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا .

وجاء في بعض الروايات : أن ورقة لقي النبي ﷺ وهو يطوف بالكعبة ، فقال : يا ابن أخي ، أخبرني بما رأيت وسمعت ، فأخبره رسول الله ﷺ ، فقال ورقة : والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة ، ولقد جاءك الذي جاء موسى ، ولتكذبنه ، ولتؤذينه، ولتخرجنه ، ولتقاتلنه ، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم ، لأنصرن الله نصرًا يعلمه ، ثم أدنى رأسه منه ، فقَبَّل يافوخه ، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى منزله .

قال ابن إسحاق : وكانت خديجة بنت خويلد قد ذكرت لورقة بن نوفل ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب ، وما كان يرى منه ، إذ كان الملكان يظلانه ، فقال ورقة : لئن كان هذا حقا يا خديجة ، إن محمدًا لنبي هذه الأمة ، وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي ينتظر ، هذا زمانه ، أو كما قال، فجعل ورقة يستبطئ الأمر ، ويقول حتى متى ، فقال ورقة في ذلك شعرًا :

لججتُ وكنت في الذكرى لجوجا ... لهم طالما بعث النشيجا

ووصفٍ من خديجةَ بعد وصفٍ ... وقد طال انتظاري يا خديجا

ببطن المَكَّتين على رجـــــائي حديثك أن أرى منه خروجـــا

وما خَبّرتنا من قـــول قـــس من الرهبان أكره أن يعوجـــا

بأن محمدًا سيسـود فينـــا ويخصم من يكون له حجيجـــا

ويظهــر في البلاد ضياء نــور يقيـم بــه البرية أن تمـوجـــا

فيـلقى من يحاربـــه خســارا ويلقى من يســالمه فلوجـــا

فيا ليتي إذا ما كـــان ذاكـــم شهدت فكنـت أولهم ولوجـــا

ولوجًا في الذي كرهت قريـــش ولو عجت بمكَّتِـها عجيجـــا

أرجِّي بالــذي كرهوا جميعـــًا إلى ذي العرش إن سفلوا عروجا

وهل أمر السفاهة غـير كفـــر بمن يختار من سَمَك البروجـــا

فإن يبقوا وأبْقَ تكـــن أمـــور يضج الكافرون لها ضجيجـــا

وإن أهلك فكل فتى ســـيلقى من الأقدار متــلفة حروجـــا

فكانت خديجة رضي الله عنها أول من آمن برسول الله ﷺ، وقامت، فخفف الله بها عن رسول الله كثيرًا مما يلقاه من أذية قومه، وهونت عليه أمر الناس، وما يكيدون له .

قال ابن القيم رحمه الله :

« ولما قال لها : لقد خشيت على نفسي ، قالت له : أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدًا ، ثم استدلت بما فيه من الصفات الفاضلة ، والأخلاق ، والشيم ، على أن من كان كذلك لا يخزى أبدًا ، فعلمت بكمال عقلها

وفطرتها أن الأعمال الصالحة، والأخلاق الفاضلة ، والشيم الشريفة ، تناسب أشكالها من كرامة الله ، وتأييده ، وإحسانه ، لا تناسب الخزي والخذلان ، وإنما يناسبه أضدادها ، فمن ركبه الله على أحسن الصفات ، وأحسن الأخلاق والأعمال، إنما يليق به كرامته ، وإتمام نعمته عليه،ومن ركبه على أقبح الصفات،وأسوأ الأخلاق والأعمال، إنما يليق به ما يناسبها ، وبهذا العقل والصديقية استحقت أن يرسِلَ إليها ربُها السلام منه ، مع رسوليه جبريل ومحمد ﷺ » اهـ من زاد المعاد .

وأُمر رسول الله ﷺ أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب ، لا صخب فيه ، ولا نصب - والقصب هو اللؤلؤ المجوف - وهي رضي الله عنها أول امرأة تزوجها النبي ﷺ، وأول امرأة ماتت من نسائه ، ولم يتزوج عليها ، وكل أولاده منها ، ما عدا إبراهيم .

ثم إن النبي ﷺ استمر في الدعوة إلى الله ، وآمن به أبو بكر ﷺ ، وعلي ابن أبي طالب ، وكان أبو بكر محببًا في مجتمعه، ومألوفا بينهم ، فكان يدعو إلى الإيمان ومتابعة الرسول ، فآمن عثمان بن عفان ، وسعد بن أبي وقاص ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم أجمعين ، وهؤلاء بشرهم رسول الله ﷺ بالجنة .

وكان أيضًا من أول من آمن به ﷺ زيد بن حارثة ، مولى رسول الله ﷺ، واستمر رسول الله ﷺ بدعوته ، ودخل في دين الله أفراد من الناس ، وحصل لكثير منهم ابتلاء وامتحان، كما حصل لبلال وعمار رضي الله عنهما وغيرهما من أصحاب رسول الله ﷺ .

وقد شرع أصل الصلاة للنبي ﷺ ، وأراه جبريل عليه السلام كيفية الوضوء ، وذلك قبل الإسراء والمعراج.

قال مقاتل بن سليمان : فرض الله أول الإسلام الصلاة ركعتين بالغداة ، وركعتين بالعشي ؛ لقوله تعالى: ﴿ وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾ [آل عمران : ٤١] .

قال ابن حجر رحمه الله في فتح الباري : «كان ﷺ قبل الإسراء يصلي قطعًا، وكذلك أصحابه ، ولكن اختلف ، هل فرض شيء قبل الصلوات الخمس من الصلوات أم لا؟ فقيل : إن الفرض كانت قبل طلوع الشمس وقبل غروبها» .

وقال الإمام النووي رحمه الله : «أول ما وجب الإنذار والدعاء إلى التوحيد ، ثم فرض الله قيام الليل ، بما ذكره في سورة المزمل ، ثم نسخه بما في آخرها ، ثم نسخه بإيجاب الصلوات الخمس ، ليلة الإسراء بمكة» .

وقد كان النبي ﷺ يدعو إلى دين الله خفية ، حتى نزل عليه قوله سبحانه: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء:٢١٤] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : « لما نزلت ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ صعد النبي ﷺ على الصفا ، فجعل ينادي: يا بني فهر ، يا بني عدي -لبطون قريش- حتى اجتمعوا ، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا؛ لينظر ما هو ، فجاء أبو لهب ، وقريش ، فقال : أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلًا بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم

مصدقي؟ قالوا : نعم ، ما جربنا عليك إلا صدقا ، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت:﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴾ [المسد:١-٢]» رواه البخاري.

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال : « لما نزلت هذه الآية ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ دعا رسول الله ﷺ قريشًا ، فاجتمعوا ، فعم وخص ، فقال : يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار ، فإني لا أملك لكم من الله شيئًا، غير أن لكم رحمًا سأبلها ببلالها ».

ثم إنه ﷺ مضى ، واستمر في دعوته ، وفي أمر الله ، لا يرده شيء ، ولا يثني عزمه كيد الكائدين ، ولا معاندة المشركين.

فلما رأت قريش أن رسول الله ﷺ لا يعتبهم من شيء أنكروه عليه من فراقهم ، وعيب آلهتهم ، ورأوا أن عمه أبا طالب قد حدب عليه ، وقام دونه يحميه ، ويحوطه ، فلم يسلمه لهم ، مشى رجال من أشراف أهل مكة من قريش إلى أبي طالب، فيهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس ، وأبو سفيان، والعاص بن هشام ، وأبو جهل ، والعاص بن وائل ، في جماعة معهم ، فقالوا : يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا ، وعاب ديننا ،

وسفه أحلامنا ، وضلل آباءنا ، فإما أن تكفه عنا ، وإما تخلي بيننا وبينه ، فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه ، فنكفيكه ، فقال لهم أبو طالب قولًا رفيقًا ، ورد عليهم ردًا جميلًا ، فانصرفوا عنه .

وجاء في رواية السدى : أن أبا طالب بعث إلى رسول الله ﷺ ، فلما دخل عليه ، قال : يا ابن أخي ؛ هؤلاء مشيخة قومك وسراتهم ، وقد سألوك أن تكف عن شتم آلهتهم ، ويَدَعوك وإلهك ، قال : يا عم ؛ أفلا ندعوهم إلى ما هو خير لهم ، قال : وإلام تدعوهم؟ قال : أدعوهم إلى أن يتكلموا بكلمة ، تدين لهم بها العرب ، ويملكون بها العجم، فقال أبو جهل من بين القوم : ما هي وأبيك لنعطينكها وعشر أمثالها؟ قال ﷺ : تقولون : لا إله إلا الله ، فنفر ، وقال : سلنا غيرها ، قال ﷺ : لو جئتموني بالشمس، حتى تضعوها في يدي ، ما سألتكم غيرها ، فقاموا من عنده غضابًا ، وقالوا: والله لنشتمنك وإلهك الذي يأمرك بهذا ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴾ [ص:٦].

رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وزاد : فلما خرجوا ، دعا رسول الله ﷺ عمه إلى قول لا إله إلا الله ، فأبى ، وقال: على دين الأشـــــياخ ، ونزلت ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾[القصص:٥٦] .

وقال مقاتل : كان رسول الله ﷺ عند أبي طالب ، يدعوه إلى الإسلام ، فجمعت قريش الى أبي طالب ، يريدون بالنبي سوءًا ، فقال أبو طالب : حين تروح الإبل ، فإن حنت ناقة إلى غير فصيلها ، دفعته إليهم ، فقال في ذلك:

والله لن يصلوا إليــــك بجمعهم حتى أوسد في التراب دفيــــنا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضـة وأبشر وقر بذاك منك عيـونــــا
ودعوتني وزعمت أنك ناصـحي ولقد صدقت وكنت ثم أميــــنا
وعرضت دينــًا لا محالــــة أنــه من خير أديان البـرية دينـــــا
لولا الملامة أو حـــذار مســــبة لوجدتني سمحًا بذاك مبيــــنا

ثم اشتدت الأذية على الذين آمنوا برسول الله ﷺ ، وأذن عليه الصلاة والسلام لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة ، ثم إن قريشًا اجتمعوا بدار الندوة ، وقالوا : إن لنا في الذين عند النجاشي ثأرًا، فاجمعوا أموالًا ، وأهدوه للنجاشي؛ لعله يدفع إليكم مَنْ عنده من أصحاب محمد ، ولينتدب في ذلك رجلان من أهل رأيكم ، فبعثوا عمرو بن العاص ، وعمارة بن الوليد ، مع الهدية ، وركبا البحر ، فلما دخلا على النجاشي سجدا له ، وسلما عليه ، وقالا : قومنا لك ناصحون ، وإنهم بعثونا إليكم؛ لنحذرك هؤلاء الذين قدموا عليك ؛ لأنهم قوم رجل كذاب ، خرج فينا بزعم أنه رسول الله ، ولم يتبعه إلا السفهاء ، فضيقنا عليهم ، وألجأناهم إلى شعب بأرضنا ، لا يخرج منهم ، ولا يدخل عليهم أحد ، فقتلهم الجوع والعطش ، فلما اشتد عليهم الأمر ، بعث إليك ابن عمه؛ كي يفسد عليك دينك ، وملكك، فاحذرهم ، وادفعهم إلينا ؛ لنكفيكهم ، وآية ذلك أنهم إذا دخلوا عليك لا يسجدون لك، ولا يحيونك بالتحية التي كنت تحيا بها ، رغبة عن دينك.

فلما دعاهم النجاشي ، وحضروا ، صاح جعفر بن أبي طالب بالباب :

يستأذن عليك حزب الله .

فقال النجاشي : مروا هذا الصائح ، فليعد كلامه ، ففعل، فقال: نعم ، فليدخلوا بأمان ، وذمة ، فدخلوا ، ولم يسجدوا له.

قال : ما منعكم أن لا تسجدوا لي ؟

قالوا : نسجد لله الذي خلقك وملكك ، وإنما كانت تلك التحية لنا ، ونحن نعبد الأوثان ، فبعث الله فينا نبيًا صادقًا، وأمرنا بالتحية التي رضيها، وهي السلام ، تحية أهل الجنة ، فعرف النجاشي أن ذلك حق ، وأنه في التوراة والإنجيل.

فقال : أيكم الهاتف يستأذن؟

قال جعفر : أنا .

قال: فتكلم .

قال : إنك ملك لا يصلح عندك كثرة الكلام ، ولا الظلم، وأنا أحب أن أجيب عن أصحابي من هذين الرجلين، فليتكلم أحدهما ، فتسمع كلامنا .

فقال عمرو بن العاص لجعفر : تكلم .

فقال جعفر للنجاشي : سله نحن عبيد أم أحرار؟ فإن كنا عبيدًا قد أبقنا من موالينا ، فارددنا إليهم .

فقال عمرو : بل أحرار كرام .

فقال : هل أرقنا دمًا بغير حق فيقتص منا ؟

فقال : ولا قطرة .

قال : فهل أخذنا أموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها؟

قال عمرو : ولا قيراط .

قال النجاشي : فما تطلبون منهم ؟

قال : كنا وهم على دين واحد ، على دين آبائنا ، فتركوا ذلك ، واتبعوا غيره .

فقال النجاشي: ما هذا الذي كنتم عليه والذي اتبعتموه؟ اصدقني .

فقال جعفر : أما الذي كنا عليه فتركناه، فهو دين الشيطان، كنا نكفر بالله ، ونعبد الحجارة ، وأما الذي تحولنا إليه فهو دين الله الإسلام ، جاءنا به من الله رسول ، وكتاب مثل كتاب ابن مريم ، موافقًا له .

فقال النجاشي : تكلمت بأمر عظيم ، فعلى رسلك ، ثم أمر بضرب الناقوس ، فاجتمع إليه كل قسيس وراهب.

فقال : أنشدكم الله الذي أنزل الإنجيل على عيسى ، هل تجدون بين عيسى وبين القيامة نبيًا مرسلًا ؟

قالوا : اللهم نعم ، قد بشرنا به عيسى ، وقال : من آمن به فقد آمن بي، ومن كفر به فقد كفر بي .

فقال النجاشي لجعفر : ماذا يقول لكم هذا الرجل؟ وماذا يأمركم به؟

وماذا ينهاكم عنه ؟

قال : يقرأ علينا كتاب الله ، ويأمرنا بالمعروف ، وينهانا عن المنكر ، ويأمرنا بحسن الجوار ، وصلة الرحم ، وبر اليتيم، ويأمرنا أن نعبد الله وحده لا شريك له .

فقال : اقرأ ما يقرأ عليكم ، فقرأ عليه سورة العنكبوت والروم ، ففاضت عينا النجاشي وأصحابه من الدمع .

فقال : زدنا من هذا الحديث الطيب ، فقرأ عليهم سورة الكهف فأراد عمرو أن يغضب النجاشي ، فقال : إنهم يسبون عيسى وأمه ، فقرأ عليهم سورة مريم ، فلما أتى على ذكر عيسى وأمه، رفع النجاشي نفاثة من سواكه، قدر ما يقذى العين ، فقال: والله ما زاد المسيح على ما يقول هؤلاء نقدا .

قال ابن إسحاق : فلما قال ذلك ، تناخرت بطارقته ، فقال : وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي -والسيوم: الآمنون- من سبكم غرم ، فلا هوادة اليوم على حزب إبراهيم، ما أحب أن لي دبرًا من ذهب ، وأني آذيت رجلا منكم -والدبر بلسان الحبشة الجبل- ثم قال مشيرًا إلى وفد قريش : ردوا عليهم هداياهم ، فلا حاجة لي فيها ، فوالله ما أخذ الله مني رشوة حين رد علي ملكي ، فآخذ الرشوة فيه ، وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه ، فخرجا مقبوحين ، مردودًا عليهما ما جاءا به .

وفي هذه القصة نزلت : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [المائدة:٨٣] .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ : « أن رسول الله ﷺ نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه ، فخرج إلى المصلى، فكبر أربع تكبيرات ، وقال : استغفروا لأخيكم ، وذلك في رجب سنة تسع من الهجرة » .

ثم لم تزل قريش تصب أنواع الأذى على كل من آمن بالرسول ﷺ ، إلا من كان له مَنْ يحميه ، ولم يزل ﷺ يعرض نفسه على قبائل العرب ؛ لعله يجد من ينصره ويؤويه .

ولما هال قريشًا كثرة من يؤمن بالله ورسوله ، رغم شدة تعذيبهم ، وأفزعهم ذلك ، ساوموه ﷺ أن يترك الدعوة إلى توحيد الله ، وإفراده بالعبادة ، ويتنازل عنها ، ويعطوه ما يريد من أموال ونساء ، ويملكوه عليهم إن شاء، والرسول لا يزيده ذلك إلّا صلابة ، وتصميما على دعوته ، والجهر برسالته، رسالة التوحيد ، والكفر بما يعبد من دون الله ، فلما يأسوا ، عزموا على قتله ، وهددوه مرارًا ، وأنذروا عمه تكرارًا .

ثم إن أبا طالب خشي منهم على محمد ﷺ ، فجمع عشيرته، وكل من يلتف بهم ، ممن آمن بمحمد ﷺ، أو لم يؤمن، إلا أنه لا يرضى أن يناله سوءًا، فدخلوا في شعب بني هاشم؛ ليحافظوا على رسول الله من فتك الأعداء به.

ثم لما رأت قريش منهم هذا ، وعلموا شدة تحزبهم ، وتكاتفهم من أجل حماية رسول الله ﷺ ، اجتمعوا ، وائتمروا أن يكتبوا كتابًا على بني هاشم ، وبني عبد المطلب ألا ينكحوا إليهم، ولا يناكحوهم ، ولا يبيعوا منهم شيئًا ، ولا يبتاعوا منهم، ولا يقبلوا لهم صلحًا أبدًا ، ولا تأخذهم بهم رأفة ، حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل، وكتبوا ذلك في صحيفة، وعلقوها

في جوف الكعبة ، فأقاموا على ذلك سنتين ، وقيل ثلاث سنين ، حتى اشتد على رسول الله ﷺ ومن معه البلاء ، والجوع ، والعطش ، وكانت أصوات النساء والصبيان تسمع من داخل الشعب ، يتضاغون من الجوع ، وعظمت الفتنة ، وزلزلوا زلزالًا شديدًا .

ثم إن أبا طالب أنشد قصيدته اللامية المشهورة في ذلك التي أولها :

ولما رأيت القوم لا ود فيـــــهم　　　وقد قطعوا كل العرى والوسائل

وقد صارحونا بالعداوة والأذى　　　وقد طاوعـوا أمر العدو المزايـــل

وقد حالفوا قومًا علينا أظنـــــة　　　يعضـون غيظًا خلفنا بالأنامــــل

وقال فيها :

كذبتم وبيت الله نُبْزى محمــــدا　　　ولما نطاعـــن دونـــــه ونناضـــل

ونسلمه حتى نصـــرع حـــوله　　　ونذهل عن أبنائـــنا والحلائـــل

ويقول فيها :

وما تركُ قوم لا أبا لك ســـيدًا　　　يحوط الذمـار غير ذرب مواكـــل

وابيض يُستسقي الغمام بوجهـه　　　ثمال اليـــتامى عصمة للأرامـــل

تلوذ به الهلاك من آل هاشـــم　　　فهـم عنــــده في رحمة وفواضـــل

ويقول فيها :

لعمري لقد كُلفـــت وجدًا بأحمد　　　وإخوته دأبَ المحب المـــواصل

فمن مثله في النـــاس أيُّ مؤمَّل إذا قاسه الحكام عند التفــاضـــل

حليم رشيد عادل غير طائـــش يوالي إلهًا ليـس عـنه بغـافـــــل

فو الله لولا أن أجيء بســــبة تجر على أشياخـنا في المحـــافل

لكنا اتبعناه على كل حــــــالة من الدهر جِدًا غير قول التـهازل

لقد علموا أن ابننا لا مكـــذَّب لدينا ولا يعنى بقول الأبـــاطل

فأصبح فينا أحمد في أرومـــــة تُقصِّر عنه سَـــوْرة المتـطاول

حَدِبْتُ بنفســـــي دونه وحميته ودافعت عنه بالذرا والكلاكــل

ثم إن محمدًا ﷺ أخبر عمه بأن صحيفة قريش أكلتها الأرضة ، إلا ما كان فيها من اسم الله ، واجتمع ملأ من عقلاء قريش ، وسعوا في نقض هذه الصحيفة ، وأخبرهم أبو طالب بمقالة رسول الله ﷺ ، فلما أخذوها ، وجدوها كما أخبرهم ، وهذه معجزة من معجزاته ﷺ .

ثم لم يلبث أبو طالب أن مات ، ثم ماتت خديجة زوجة النبي ﷺ، وذلك في عام واحد، فحزن ﷺ عليهما حزنًا شديدًا، فسمي ذلك العام عام الحزن ، واشتد أذى قريش للنبي ﷺ .

وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره : أن النبي ﷺ خرج وحده إلى الطائف ، يلتمس من ثقيف النصرة، فقصد عبد ياليل ، ومسعودًا وحبيبًا ، وهم إخوة بني عمرو بن عمير، وعندهم امرأة من قريش ، من بني جمح ، فدعاهم إلى الإيمان، وسألهم أن ينصروه على قومه ، فقال أحدهم هو

يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك .

وقال الآخر : ما وجد الله أحدًا يرسله غيرك!!

وقال الثالث : والله لا أكلمك أبدا ، إن كان الله أرسلك كما تقول فأنت أعظم خطرًا من أن أرد عليك الكلام ، وإن كنت تكذب فما ينبغي لي أن أكلمك .

ثم أغروا به سفهاءَهم وعبيدهم ، يسبونه ، ويضحكون به، حتى اجتمع عليه الناس ، وألجئوه إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة، فقال للجمحية: ماذا لقينا من أحمائك؟! .

ثم قال : اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي ، وقلة حيلتي، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي ، لمن تكلني ، إلى بعيد يتجهمني ، أم إلى عدو ملكته أمري ، إن لم يكن بك غضب علي ، فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات من أن ينزل بي غضبك ، أو يحل علي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك .

فلما رآه ابنا ربيعة عتبة وشيبة ، وما لقي ، تحركت له رحمهما، فدعوا غلامًا لهما نصرانيًا ، يقال له عداس ، فقالا له : خذ قطفا من العنب ، وضعه في هذا الطبق ، ثم ضعه بين يدي هذا الرجل.

فلما وضعه بين يدي رسول الله ﷺ ، قال النبي ﷺ : باسم الله ، ثم أكل.

فنظر عداس إلى وجهه، ثم قال : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة .

فقال النبي ﷺ : من أي البلاد أنت يا عداس؟ وما دينك؟ قال: أنا نصراني من أهل نينوى .

فقال له النبي ﷺ : أَمِنْ قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟

فقال : وما يدريك ما يونس بن متى؟

قال : ذاك أخي ، كان نبيًا ، وأنا نبي.

فانكب عداس حتى قبَّلَ رأس النبي ﷺ ويديه ورجليه .

فقال له ابنا ربيعة : لم فعلت هكذا ؟

فقال : يا سيدي ما في الأرض خير من هذا ، أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي .

ثم رجع ﷺ إلى مكة، وقد أصابه ما أصابه من الهم والغم؛ بسبب تكذيبهم لهم ، وشدة نفورهم عن الحق .

ثم إن الله جل وعلا أرسل له جبريل عليه السلام ، ومعه ملك الجبال، وسلم عليه ملك الجبال ، وقال : إن الله أرسلني إليك ؛ لتأمرني بأمرك، فإن أمرتني أن أطبق عليهم الأخشبين-يعني جبلي مكة على أهلها - فعلت ، فقال رسول الله ﷺ : لا، لعل الله يخرج من أصلابهم من يعبده لا يشرك به.

ثم لم يزل ﷺ مستمرًا بالدعوة إلى الله ، والمسلمون يتزايدون، مع ما يلاقون من الشدة من قريش .

ثم أسرى به ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى السماء ، وفرض الله عليه الصلوات الخمس ، ثم لما أصبح ، وأخبر قريشًا بما رأى من آيات الله ، اشتد تكذيبهم وازدادوا عتوا ونفورا ، واستمروا في الأذية، بل زادوا عليها ، وكان ذلك قبل الهجرة .

ثم إنه ﷺ يعرض نفسه في مواسم الحج على القبائل ، وأراد الله سبحانه الخير الكثير ، والشرف الرفيع ، والذكر الحسن ، والأجر العظيم لأهل المدينة ، فقبلوا دعوته ، وآمنوا به، وطلبوا أن يبعث معهم من يعلمهم، ويرشدهم، ففعل ﷺ، وانتشر الإسلام في المدينة ، وصارت دار هجرة ، وجعل أصحاب رسول الله يهاجرون إليها ، حتى أذن الله لرسوله في الهجرة إليها ، فهاجر ، واستقر مقامه ﷺ فيها ، وبني مسجده ، وحُجر نسائه حول المسجد، وذلك بعد مضي ثلاثة عشر عامًا من نزول الوحي عليه.

واجتمع إليه المهاجرون والأنصار ، وأقام الصلوات الخمس والجمعة في مسجده ، وزيد في صلاة الحضر ركعتين ، وكانت قبل ذلك ركعتين ركعتين ، كما روى البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت : «فرضت الصلاة ركعتين ركعتين ، ثم جاء ﷺ المدينة ، ففرضت أربعًا ، وتركت صلاة السفر على الفريضة الأولى».

وشرع الأذان للصلوات الخمس بالمدينة ، بالرؤيا التي رآها عبد الله

بن زيد ﷺ ، وقال رسول الله ﷺ : إنها لرؤيا حق ، وأمره أن يلقيه على بلال ﷺ ؛ لكونه أندى صوتًا منه .

ثم تلاحق المهاجرون إلى رسول الله ﷺ ، ولم يبق بمكة إلا من لم يستطع الهجرة ، أو ممن كان مفتونًا بماله ووطنه ، ولم يزل الأذى من قريش يتكرر على من في مكة ، أو ممن هاجر إلى المدينة، فإنه لما هاجر بنو جحش ، وخلت دارهم منهم ، قام أبو سفيان ، فباعها ، فلما بلَّغ ذلك عبدُ الله بن جحش الرسولَ ﷺ ، فقال له : أما ترضى يا عبد الله أن يعطيك الله بها دارًا بالجنة؟ قال : بلى . قال : ذلك لك .

وكان الأنصار رضي الله عنهم فرحوا برسول الله غاية الفرح ، والاستبشار ، فقالوا في ذلك الأشعار ، غبطة وسرورًا برسول الله ﷺ ، ومن جملة ذلك ما قاله أبو قيس ، صرمة ابن أبي أنس ، حين أسلم ، يذكر ما أكرمهم الله به من الإسلام ، وما خصهم به من نزول رسول الله عليهم :

ثوى في قريش بضع عشرة حجة يذكِّــر لو يَلْقى حبيبـــا مواتيًا

ويعرض في أهل المواسم نفـــسه فلم يـر من يؤي ولم ير داعيـــا

فلما أتانـــا أظهـــــر الله ديـــنه فأصبح مسرورا بطيبة راضيـــا

وألفى صديقا واطمأنت به النوى وكان له عونـــًا من الله باديـــا

يقص لنا ما قـال نوح لقومـــــه وما قال موسى إذ أجاب المناديـا

وأصبح لا يخشى من الناس واحدا قريبًا ولا يخشى من الناس نائيـا

بذلنا له الأموال من حل مالنـــا وأنفســنا عند الوغى والتآسيـا

ونعلم أن الله لا شيء غـــيره ونعلم أن الله أفضــل هاديـا

ونعلم أن الله لا رب غـــيره وأن كتاب الله أصبـح هاديـا

نعادي الذي عادى من الناس كلهم جميعًا وإن كان الحبيب المصافيا

ثم إن رسول الله ﷺ أُذن له بالقتال ، وكان قبل ذلك لم يُؤذن له، بل كان يؤمر بالصفح والإعراض عن الجاهلين ، لكن لما استقر بالمدينة ، وقويت الشوكة، أُذن لهم بالقتال،ولم يفرض عليهم، بل أنزل الله على رسوله:﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ [الحج:٣٩] .

قال ابن عباس ، ومجاهد ، وعروة بن الزبير ، وزيد بن أسلم ، ومقاتل ابن حيان ، وقتادة ، وغيرهم: هذه أول آية نزلت في الجهاد ، وعلل الأذن لهم بذلك ، بأنهم ظلموا، وكانوا قبل ذلك يأتون النبي ﷺ ، ما بين مضروب ومشجوج ، فيقول لهم : اصبروا ، حتى هاجر ، فأُذن له في القتال .

قال بعض العلماء : أُذن له ﷺ بالقتال ، بعد ما نُهي عنه في نيف وسبعين آية .

وقال بعض العلماء : إنَّ هذا الإذن كان بمكة ، والسورة مكية ، وهذا غلط لوجوه :

أحدها : أنه لم يكن لهم شوكة ، يتمكنون بها من القتال بمكة .

الثاني : أن سياق الآية يدل على أن الإذن بالقتال حصل بعد الهجرة ،

وإخراجهم من ديارهم ، فإن الله تعالى قال : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾ [الحج:٣٩-٤٠] .

والثالث : أنه خاطبهم في آخرها بقوله : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ ﴾ [الحج:٧٧] ، والخطاب بذلك كله مدني، وأما الخطاب بـ (يا أيها الناس) فمشترك ، ثم فرض عليهم القتال بعد ذلك لمن قاتلهم ، دون من لم يقاتلهم ، فقال تعالى : ﴿ وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ ﴾ [البقرة:١٩٠]، ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة.

ومن هنا يتبين لك أن الجهاد والقتال كان على مراحل تدريجية في شريعته ﷺ ، فإنه كان محرمًا وقت ضعف المسلمين وقلتهم ، ثم لما قويت شوكتهم أذن لهم به إذنًا دون إيجاب ، ثم لما كانت الشوكة أشد، وأقوى ، أمروا أمر إيجاب لمن بدأهم بالقتال، ثم أمروا أن يقاتلوا المشركين حتى يكون الدين كله لله.

وقد كان ﷺ قائمًا بأنواع الجهاد كلها : جهاد الكفار ، وجهاد المنافقين، وجهاد الشيطان ، وجهاد النفس .

وقد بين الإمام ابن القيم رحمه الله هذه الأنواع في كتابه زاد المعاد ، وأوضح أن المرتبة الأولى هي جهاد النفس، وهي على أربع مراتب :

أحدها : أن يجاهد نفسه على تعلم الهدى .

الثانية : العمل به بعد علمه .

الثالثة : جهادها على الدعوة إليه ، وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات .

الرابعة : جهادها على الصبر على مشاق الدعوة ، ويتحمل ذلك كله لله .

المرتبة الثانية : جهاد الشيطان من الشبهات ، وهذا الجهاد على مرتبتين: جهاد على دفع ما يلقي الشيطان من الشبهات ، وجهاد على دفع ما يلقي في القلب من الشهوات ، فيدفع الشبهات بيقينه ، ويدفع الشهوات بصبره ، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة:٢٤].

المرتبة الثالثة من مراتب الجهاد: جهاد الكفار والمنافقين، وهذا يكون بالقلب ، واللسان ، والمال ، والنفس ، وجهاد الكفار باليد أخص ، وجهاد المنافقين باللسان أخص.

والمرتبة الرابعة من أنواع الجهاد : جهاد أرباب الظلم، والمنكرات ، والبدع ، وهذا على ثلاث مراتب : الأول باليد مع القدرة ، فإن عجز فباللسان ، فإن عجز فبالقلب .

ولقد كان ﷺ مستغرقًا وقته في جميع أنواع الجهاد ، فكان يجاهد الكفار بنفسه ، ويبعث السرايا ، وينظم الجيوش، ويجادل أهل الكتاب ، ويدعوهم إلى الإسلام ، ويعظ المنافقين، ويدعوهم إلى السبيل الأقوم بالحكمة

والموعظة الحسنة ، ويصبر على ما يلقاه من المشركين ، ومن أهل الكتاب، ومن المنافقين من الأذى ، ويصبر على ذلك كله صلوات الله وسلامه عليه .

* * *

فصل

في ذكر بعض فضائل النبي ﷺ وشمائله

روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنًا ، حتى كنت من القرن الذي كنت فيه » .

وفي صحيح مسلم عن واثلة بن الأسقع قال: قال رسول الله ﷺ: « إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشًا من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم» .

هذا النبي الكريم والرسول الأعظم ﷺ أعطاه الله جل وعلا ما لم يعط أحدًا من الأنبياء قبله ، وفضله عليهم أجمعين، يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍۚ﴾ [البقرة:٢٥٣].

وفي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم وأحمد واللفظ له عن النبي

ﷺ قال : « أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي : بعثت إلى الأحمر والأسود ، ونصرت بالرعب ، فإن العدو ليرعب مني على مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا ، وأحلت لي الغنائم ، ولم تحل لأحد كان قبلي، وقيل لي: سل تعطه ، فاختبأتها شفاعة لأمتي، فهي نائلة منكم إن شاء الله من لا يشرك بالله شيئًا» .

فبهذه الأشياء وغيرها ، تبين فضله ﷺ على سائر الأنبياء والمرسلين ، فالرسل أفضل الأنبياء ، وأولو العزم أفضل الرسل ، ومحمد ﷺ أفضل أولى العزم ، فأولو العزم :

نوح عليه السلام : وقد خصه الله بأشياء كثيرة ، ومنها : قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴾ [الصافات:٧٧] .

وإبراهيم عليه السلام : خصه الله بأشياء عديدة ، ومنها قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء:١٢٥] .

وموسى عليه السلام : خصه الله بآيات عظيمة ، ومنها قوله تعالى : ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء:١٦٤] .

وعيسى عليه السلام : خصه الله بأشياء : ومنها قوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام : ﴿ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾[آل عمران:٤٩] .

ومحمد ﷺ : خصه الله بأشياء كثيرة :

منها : أنه خاتم النبيين يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ

أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٤٠] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «مثلي ومثل الأنبياء من قبلي ، كمثل رجل بنى بنيانًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة، قال : فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين » رواه مسلم .

ومنها : أنه أرسل إلى الناس كافة، يقول جل وعلا : ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف:١٥٨] ، ويقول سبحانه : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ:٢٨] ، ورفعه الله جل وعلا درجات يقول سبحانه : ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ وَلَـٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة : ٢٥٣] .

قال الإمام ابن جرير رحمه الله في تفسيره :

قوله سبحانه : ﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍ ۚ ﴾ ، كلم الله موسى ، وأرسل محمدًا إلى الناس كافة.

ومنها : أنه ﷺ المقدم على الأنبياء ، وكان إمامهم ﷺ ليلة الإسراء في

بيت المقدس ، وشريعته ﷺ ناسخة لجميع الشرائع، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴾[آل عمران : ٨١] . وقال ﷺ لعمر بن الخطاب : « والله لو كان موسى حيًا ما وسعه إلا اتباعي» . وقال علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهم : ما بعث الله نبيًا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمدًا وهو حي ليؤمنن به ، ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به، ولينصرنه. وإذا نزل عيسى عليه السلام فإنه يحكم بشريعة محمد ﷺ .

ومنها : أن الله جل وعلا أثنى عليه في كتابه الكريم ووصفه بأوصاف متعددة .

فقد وصفه جل وعلا في الذكر الحكيم بالخلق العظيم، فقال سبحانه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:٤] .

وأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم ، يقول تبارك وتعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة :١٢٨] .

وأنه ﷺ رحمة للعالمين ، قال سبحانه : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء :١٠٧] .

ومنها : أنه ﷺ سيد ولد آدم وأكرمهم على الله جل وعلا.

ومنها : أنه ﷺ حبيب الله جل وعلا .

ومنها : أنه ﷺ أول شافع وأول مشفع .

ومنها : أنه ﷺ أول من تفتح له الجنة .

ومنها : أنه ﷺ صاحب المقام المحمود يوم القيامة الذي يحمده فيه أهل السموات والأرض .

ومنها : أنه ﷺ حامل لواء الحمد في اليوم الموعود .

ومنها : أنه ﷺ أول الناس خروجًا إذا بعثوا ، وخطيبهم إذا وفدوا ، ومبشرهم إذا أيسوا .

يقول ﷺ متحدثًا بنعم الله : « أنا حبيب الله ولا فخر ، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول شافع ، وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة ، فيفتح الله لي ، فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين » رواه الترمذي .

ويقول ﷺ : « أنا أول الناس خروجًا إذا بعثوا ، وأنا خطيبهم إذا وفدوا ، وأنا مبشرهم إذا أيسوا، لواء الحمد يومئذ بيدي ، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر» رواه الترمذي .

وروى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما

يقول ، ثم صلوا علي ، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرًا ، ثم سلوا الله لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة ، لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة » .

ومنها : أن المولى جل وعلا آتاه السبع المثاني والقرآن العظيم ، يقول سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعًا مِنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ [الحجر:٨٧] .

ومنها : أن الله خصه بنعمة الكوثر، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾ [الكوثر: ١-٣] .

وروى مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا في المسجد، إذ أغفى إغفاءة ، ثم رفع رأسه متبسمًا ، قلنا : ما أضحكك يا رسول الله؟ قال : لقد أنزلت علي آنفًا سورة ، فقرأ ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾ ثم قال : أتدرون ما الكوثر ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل ، عليه خير كثير ، وهو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم، فأقول: رب إنه من أمتي، فيقول :ما تدري ما أحدثوا بعدك ».

ومنها : أنه ﷺ صاحب الشفاعة العظمى يوم المحشر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « كنا مع النبي ﷺ في دعوة فرفع إليه الذراع ، وكانت تعجبه ، فنهس منها نهسة ، وقال : أنا سيد القوم يوم القيامة ، هل تدرون

بم يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ، فيبصرهم الناظر ، ويسمعهم الداعي ، وتدنو منهم الشمس ، فيقول بعض الناس : ألا ترون إلى ما أنتم فيه إلى ما بلغكم ، ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم ، فيقول بعض الناس : أبوكم آدم ، فيأتونه ، فيقولون : يا آدم ؛ أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك ؟ ألا ترى ما نحن فيه ، وما بلغنا ؟ فيقول : ربي غضب غضبًا لم يغضب قبله مثله ، ولا يغضب بعده مثله ، ونهاني عن الشجرة ، فعصيت، نفسي ، نفسي ، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحًا فيقولون : يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وسماك الله عبدًا شكورًا ، أما ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما بلغنا؟ ألا تشفع لنا إلى ربك؟ فيقول : ربي غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، نفسي ، نفسي ، ائتوا النبي ﷺ ، فيأتوني فأسجد تحت العرش ، فيقال : يا محمد ارفع رأسك، واشفع تشفع ، وسل تعطه » رواه البخاري ومسلم .

بعثه الله بالحنيفية السمحة إلى الناس كافة ، الغني والفقير، العرب والعجم،الأسود والأحمر﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ : ٢٨] . ويقول ﷺ : « إني لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية ، ولكني بعثت بالحنيفية السمحة » رواه أحمد . وقال ﷺ : «أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي : بعثت إلى الأحمر والأسود » الحديث رواه أحمد وغيره .

هو النعمة المعطاة ، والرحمة المهداة ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً

لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

دينه القويم هو الصراط المستقيم وهو أحسن سبيل ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام :١٥٣]. ببركته منح الله أهل بيته أفضل الخصال ، وجعلهم خير آل، وطهرهم تطهيرًا ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٣٣] .

نالوا به شرفًا كبيرًا ، وفضلًا عظيمًا ، قُرنوا معه بالصلاة والسلام عليه، كلما صلى المؤمنون ، وسلموا عليه؛ لاسيما أدبار الصلوات الخمس ، في كل فجر ومغيب شمس ، بل في كل عبادة ذات ركوع وسجود ، وقيام وقعود ، فضائلهم مشهورة ، ومناقبهم مأثورة ، وأذكارهم مشهودة ، وسيرهم محمودة .

وبصحبته ﷺ نال المهاجرون والأنصار كل اعتزاز وافتخار، وأثنى عليهم الواحد القهار ، في محكم الكتب والأذكار ، فقال سبحانه : ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١١٧] ، وقال جل جلاله : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ

ٱلْكُفَّارِ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح : ٢٩] .

وقال تبارك وتعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر:٩].

يا له من شرف عظيم ، حينما يذكرون معه ﷺ في الذكر الحكيم ، نصر الله بهم هذا الدين، وجعلهم قدوة لنا إلى يوم الدين ، وأمرنا النبي ﷺ بالتمسك بسنته ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، فعلى هديه ساروا ، وبسنته تمسكوا وقادوا.

شرح الله صدر رسوله ﷺ للدعوة والإيمان ، ووضع عنه وزره والآثام، ورفع ذكره بين الخلائق والأنام ، يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح :١-٤].

قال الإمام الشوكاني رحمه الله في تفسير هذه الآيات :

«المراد : الامتنان عليه ﷺ بفتح صدره وتوسيعه حتى قام بما قام به من الدعوة ، وقدر على ما قدر عليه من حمل أعباء النبوة ، وحفظ الوحي .

ووضع الله عنه ما كان فيه من أمر الجاهلية ، قال الحسن وقتادة والضحاك ومقاتل : المعنى : حططنا عنك الذي سلف منك في الجاهلية ،

وهذا كقوله سبحانـــــه : ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ [الفتح : ٢] .

وقوله سبحانه : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ [الشرح:٤] ، قال الحسن : وذلك أن الله لا يذكر في موضع إلا ذكر معه ﷺ ، وقال قتادة : رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة ، فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي، فيقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمدًا رسول الله ، قال مجاهد : رفعنا لك ذكرك يعني بالتأذين . وقيل : المعنى ذكرناك في الكتب المنزلة على الأنبياء قبلك ، وأمرناهم بالبشارة بك ، وقيل : رفعنا ذكرك عند الملائكة في السماء ، وعند المؤمنين في الأرض ، والظاهر أن هذا الرفع لذكره الذي امتن الله به عليه يتناول جميع هذه الأمور ، وكذلك إخباره ﷺ أن من صلى عليه واحدة صلى الله عليه بها عشرًا، وأمر الله بطاعته، واتباعه في آيات من كتابه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ [النساء:٥٩] ، ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ [الحشر : ٧] .

وبالجملة فقد ملأ ذكره الجليل السماوات والأرضين، وجعل الله له من لسان الصدق والذكر الحسن والثناء الصالح ما لم يجعله لأحد من عباده، وما أحسن قول حسان رضي الله عنه :

أغر عليه للنبـــوة خـــــاتم ... من الله مشـهود يلوح ويشـــهد

وضم الإله اسم النبي إلى اسمه ... إذا قال في الخمس المؤذن أشهد

وشـــق له من اســـمه ليجلـــه ... فذو العرش محمود وهذا محمد

انتهى مختصرًا .

استمع له الجن ، وهو يتلو القرآن ، فعلموا أنه جاء بالحق والبرهان ، فانصرفوا يدعون قومهم إلى الإيمـــان ، ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣٢] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله :

« ومما يجب أن يعلم أن الله بعث محمدًا ﷺ إلى جميع الإنس والجن ، فلم يبق إنس ولا جن إلا وجب عليه الإيمان بمحمد ﷺ، وإتباعه ، فعليه أن يصدقه فيم أخبر، ويطيعه فيما أمر ، ومن قامت عليه الحجة برسالته فلم يؤمن به فهو كافر ، سواء كان إنسيًا أو جنيًا ، وهو ﷺ مبعوث إلى الثقلين باتفاق المسلمين ، وقد استمعت الجن القرآن ، وولوا إلى قومهم منذرين ، وذلك لما كان النبي ﷺ يصلي بأصحابه ببطن نخلة ، لما رجع من الطائف ، وأخبره الله بذلك في القرآن العظيم بقوله: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ...الآية ﴾ [الأحقاف:٢٩]، وأنزل الله بعد ذلك قوله : ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ...الآية ﴾ [الجن : ١-٢] ،

ولما سمعت الجن القرآن أتوا رسول الله ﷺ ، وآمنوا به وهم جن نصيبين كما ثبت في الصحيح من حديث ابن مسعود ﷺ ، وروي أنه قرأ عليهم سورة الرحمن ، وكان إذا قال ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن : ١٣] قالوا: ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد» اهـ من مجموع الفتاوى.

وقد وفدت الجن على رسول الله ﷺ ، مرة بعد مرة، وأخذوا عنه ﷺ الشرائع.

أعطاه الله من البراهين القاطعات ، والمعجزات الباهرات على صدق نبوته ، ما لم يحصل لغيره من المرسلين، فآمن به ذوو الألباب السليمة عن اقتناع ، وإيمان بحجته القويمة ، ورسالته العظيمة ، وأبى من سبق عليه الشقاء عنادًا وجحودًا وتكبرًا وصدودًا ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام:٣٣].

أسري به إلى بيت المقدس ، وعرج به إلى السماء في ليلة أو بعض ليلة ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء : ١] ، والمشركون بمكة قومه وجيرانه ، يعلمون أنه لم يسبق أن رأى بيت المقدس ، فطلبوا منه أن يصفه لهم لعلهم يعثرون منه على زلل ، أو يجدون وصفًا فيه خلل ، فوصفه ﷺ وصفًا دقيقًا ، كأنه يشاهده عيانًا ، بل قد جاء في بعض الآثار أن الله صيره بين عينيه يراه واضحًا جليًا ، فلما وَصَفَهُ وَصْفَهُ الحقيقي أُلقموا حجرًا، وما استطاعوا أن يقولوا له هجرًا،

بل علموا أنه حق ، وأن ما أخبر به صدق، ومع ذلك لم يؤمنوا به ، ﴿ وَمَا تُغْنِي ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس : ١٠١] .

جبله الله على أحسن الصفات ، وأعلى المقامات ، وتمم به مكارم الأخلاق ، اجتمع له حسن الخُلق وحسن الخَلْق ، فما رآه أحد سليم القلب إلا علم صدق نبوته ، كما قال حسان رضي الله عنه:

لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بديهته تأتيك بالخبر

ما سمع أحد من العقلاء بما يأمر به أو ينهي عنه إلا عرف أنه نبي ، ولما بلغ الأحنف بن قيس ما يدعو إليه ﷺ قال لقومه : يا قوم إنه يدعو إلى خير ، ويأمر بخير ، وقال : إنه يدعوكم إلى مكارم الأخلاق ، وينهاكم عن مساوئها ، فأسلم رضي الله عنه ، وأسلم قومه .

جعل الله أمته خير الأمم ، ووضع عنهم الإصر والأغلال، ورفع عنهم الحرج والمؤاخذة بالخطأ والنسيان ، قال تعالى : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠] ، وقال سبحانه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة : ١٤٣] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ

قَدِيرٌ﴾ [البقرة : ٢٨٤] اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فأتوا رسول الله ﷺ، ثم جثوا على الركب ، وقالوا : يا رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة ، وقد نزلت عليك هذه الآية ، ولا نطيقها ، فقال رسول الله ﷺ : أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتاب من قبلكم : سمعنا وعصينا !! بل قولوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ، فلما أقر بها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله في إثرها : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة:٢٨٥]، فلما فعلوا ذلك نسخها الله، فأنزل الله : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:٢٨٦] .»

كان ﷺ يدعو إلى عبادة الله وحده ، إلى عبادة الخالق ، وترك عبادة المخلوق ، فالله سبحانه المستحق وحده للعبادة، كما قال سبحانه : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [الكوثر: ٢] ، وقال جل شأنه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

يدعو إلى مكارم الأخلاق ، والأمر بالبر، والوفاء ، والصدق ،

والإحسان ، وصلة الأرحام ، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ، والبر بالوالدين ، والعطف على الفقراء والمساكين .

كان خُلُقه ﷺ القرآن ، كما ثبت عن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت عن خُلُق رسول الله ﷺ فقالت : « كان خلقه القرآن» رواه أحمد .

قال الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسيره : « معنى هذا أنه عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن أمرًا ونهيًا سجية له وخلقًا ، تطبعه ، وترك طبعه الجبلي ، فمهما أمره القرآن فعله ، ومهما نهاه عنه تركه ، هذا مع ما جبله الله عليه من الخلق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم ، وكل خلق جميل» اهـ .

لقد كان القرآن خلق النبي ﷺ ، والقرآن يدعو إلى كل خير ، وينهي عن كل شر ، يقول سبحانه : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء:٩]، ويقول جل شأنه : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة:١٥] وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل:٩٠] ، ويقول تعالى : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩٩] ، ويقول عز وجل عن لقمان عليه السلام : ﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ

أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [لقمان : ١٧] ، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الآمرة بكل خير .

ويقول ربنا تبارك وتعالى في وصف نبيه محمـــــد ﷺ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم :٤].

وقال ﷺ : «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» رواه البيهقي.

وفي لفظ : « لأتمم صالح الأخلاق » رواه أحمد .

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه : خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي أف قط ، ولا قال لشيء فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلته ، وكان ﷺ أحسن الناس خلقًا، ولا مسست خزًا ولا حريرًا ولا شيئًا كان ألين من كف رسول الله ﷺ ، ولا شممت مسكًا ولا عطرًا كان أطيب من عرق رسول الله ﷺ .

وقال البراء ﷺ : « كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهًا ، وأحسن الناس خلقًا » .

وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : « ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادمًا له قط ، ولا ضرب بيده شيئًا قط، إلا أن يجاهد في سبيل الله ، ولا خير بين شيئين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما ، حتى يكون إثمًا ، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس من الإثم ، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه، إلا أن تنتهك حرمات الله ، فيكون هو ينتقم لله عز وجل ».

هذه الأمور كلها تدل على صدق نبوته ﷺ ، وأنه مرسل من عند الله ؛

لأن هذه الصفات وهذه التعليمات لا تصدر عن بشر ؛ لأن البشر إذا لم يؤيد بوحي من الله فإن مبنى أمورهم على التناقض ، والاختلاف ، وإتباع الأهواء، كما قال سبحانه: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢].

ومن المعلوم أن النفوس البشرية تطلب ما يلائمها، ويتبع رغبتها وحدها ، وتدور على مصلحتها الخاصة ، وإن كان في ذلك الأثرة على الآخرين ، أو الظلم ، أو الاستبداد، كما قال المتنبي :

والظلم من شيم النفوس فإن تجد   ذا عفـــة فلعلـــة لا يظـــلم

فالنبي ﷺ لما كان مشتملًا على أكمل الأوصاف، وأشرف الخلال ولا يقوى أحد على الاتصاف بكل صفاته وأخلاقه ، عُلم أنه مؤيد من عند الله، وأن الله خلقه ، واختاره ، وجبله على أحسن الأفعال ؛ ليكون قدوة للأمة ، وليعلم كل أحد أن هذه الصفات لا تكون بقدرة سائر البشر، ولكنه تأييد من الله، كما قال حسان رضي الله عنه :

خلقت مبرءًا من كل عيب   كأنك قد خلقت كما تشاء

جاءت أوصافه ﷺ في الكتب المنزلة على الأنبياء والرسل من قبله ، حتى عرفَه بصفاته كلُّ من عنده علم من أهل الكتاب ، ولكن منعهم من الإيمان به الحسد ، أو حب الرئاسة، أو النفاسة، كما قال سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٤٦].

وقال جل وعلا : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٧].

وكما في قوله سبحانه: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح : ٢٩] ، إلى غير ذلك من الآيات الواردة في هذا المعنى .

وكما في الحديث الذي رواه البخاري عن عطاء بن يسار ﷺ، قال : لقيت عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما فقلت أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة فقال: « أجل والله ، إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في الفرقان: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأميين ، أنت عبدي ، ورسولي ، سميتك المتوكل، ليس بفظ، ولا غليظ ، ولا سخاب بالأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به ملة العوجاء ، بأن يقولوا لا إله إلا الله ، ويفتح به أعينا عميًا ، وآذانًا صمًا ، وقلوبًا غلفًا».

وروي عن مقاتل بن حيان قال : « أوحى الله إلى عيسى ابن مريم : جد في أمري ، ولا تهزل ، واسمع ، وأطع، يا ابن الطاهرة البتول، إني خلقتك من غير فحل، وجعلتك آية للعالمين ، فإياي فاعبد ، وعليّ فتوكل ، فبين لأهل سوران أني أنا الحق القائم الذي لا أزول ، صدقوا بالنبي العربي، صاحب الجمل ، والمدرعة ، والعمامة ، والنعلين ، والهراوة ، الجعد الرأس ، الصلت الجبين ، والمقرون الحاجبين ، الأدعج العينين، الأقنى الأنف ، الواضح الخدين ، الكث اللحية ، عرقه في وجهه كاللؤلؤ ، ريحه المسك ، ينفخ منه ، كأن عنقه إبريق فضة، وكأن الذهب يجري في تراقيه ، له شعرات من لبته إلى سترته ، تجري كالقضيب ، ليس على صدره ولا بطنه شعر غيره، ثشن الكفين والقدم ، إذا جاء مع الناس عمرهم ، وإذا مشى كأنما ينقطع من الصخر ، وينحدر في صبب ، ذو النسل القليل » .

كان ﷺ مضرب المثل في الشجاعة والثبات في الأمور،والعزم والحزم، يضع الشدة في موضعها ، واللين في موضعه.

لما اعتدى العرنيون على راعي رسول الله ، وأخذوا إبله، وقتلوا الراعي ، وسملوا عينيه ، عاقبهم ﷺ بالعقوبة المناسبة ، جزاء وفاقًا ، فسمل أعينهم ، وقطع أيديهم ، وتركهم في ناحية الحرة ، حتى ماتوا ، وكذا ما عمله ﷺ في بني قريظة عندما حكم فيهم سعد بن معاذ رضي الله عنه ، ونفذ حكمه ﷺ ، لما نقضوا العهد ، وأعانوا المشركين على رسول الله ، وخانوا الله ورسوله، فهذا وصف من أوصاف القوة ، والشجاعة ، والغضب لله ، ولدينه ، والحماية لبيضة الإسلام ، والذود والذب عنه .

وقد كان من صفاته ﷺ الرأفة، والرحمة، والعطف ، واللين، فلقد كان ﷺ يسأل ربه التخفيف لأمته ؛ مخافة الحرج عليهم . وقد كان ﷺ يدخل في الصلاة ، يريد تطويلها ، ثم يسمع بكاء الصبي، فيخففها ؛ مخافة أن يشق على أمه . وربما أصغى الإناء للهرة ، فما يرفعه حتى تروى .

ولما تناهى أذى قريش له ، واشتد ذلك عليه ، وبلغ به ما بلغ عندما رجع من الطائف ، وضاق صدره بذلك ، أرسل الله له ملك الجبال ، وسأله أن يطبق عليهم الأخشبين ، فقال ﷺ: «أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئًا».

ويقول ابن مسعود ﷺ: « كان رسول الله يتخولنا بالموعظة، وكانت الجارية تأخذ بيده ، وتذهب به إلى حيث تريد» .

وكان ﷺ يمازح أصحابه ، ويداعبهم ؛ بقصد إدخال السرور عليهم ، ولا يقول إلا حقًا ، ويداعب الصغير والكبير، والمرأة والرجل ، وكان الصحابة يتمازحون بين يديه، وهو يبتسم.

وأما سماحته وكرمه وسخاؤه ﷺ فقد بلغ الغاية ، فقد كان يعطي الرجل الواحد مائة بعير ، ويعطي الغنم التي ملأ ما بين الجبلين للرجل الواحد، وقد رد سبي هوازن لأصحابها ، لما جاؤوا مسلمين تائبين ، وقد قيل : إنها تبلغ حوالي ستة آلاف رأس . وقال أنس ﷺ : ما سئل رسول الله ﷺ شيئًا إلا أعطاه .

ومع هذا كله كان ﷺ هو الحاكم، والمفتي ، والإمام، والقائد الأعلى

للجيوش ، والمعلم، ورجل السياسة، والواعظ، والمرشد، والمخطط ، والمنفذ .

ولقد حصل له ﷺ من الغزوات ما يزيد على عشرين غزاة، وأقل ما قيل فيها : إنها تسع عشرة ، وأكثر ما قيل فيها: إنها سبع وعشرون ، وأما السرايا والبعوث ، فقيل : إنها ثلاثون، وقيل : خمسون ، وقيل : ستة وخمسون ، وقيل: أكثر من ذلك ، فصلاة الله وسلامه عليه إلى يوم الدين .

لقد كانت أنفاسه ﷺ وأوقاته وحياته كلها حافلة بأنواع البر، والهدى، والصبر ، والتحمل ، والعطف ، والإحسان ، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، يدعو لأحسن الأخلاق، وينهى عن سيئها ، كما قال عليه الصلاة والسلام : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ، وأنهى عن سفسافها » .

كل من رآه وجالسه ، أو سمع أخباره ، أو بلغته أقواله ﷺ عرف أنه رسول رب العالمين حقًا .

لقد كان ﷺ أصدق الناس لهجة ، وأكملهم عفة ، وأمانة.

قال علي بن أبي طالب ﷺ في وصف رسول الله ﷺ :

كان أصدق الناس لهجة ، وألينهم عريكة ، كان أزهد الناس ، رضي بحالة المسكنة ، وقلة اليد ، مع قدرته على الغنى، فتركه زهدًا به ، لقد فتحت عليه الفتوح ، وجلبت له الأموال، ومات ودرعه مرهون عند يهودي في نفقة أهله، وكان يقول : «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا» .

كان ﷺ يكرم صدائق خديجة رضي الله عنها ، ويصلهم فسئل عن

ذلك ، فقال : « إن حسن العهد من الإيمان» .

لقد وصفته أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها بقولها له ﷺ: «إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الحق» .

لقد بلغ الغاية في التواضع ، خَيَّرَه الله بين أن يكون نبيًا ملكا، أو نبيًا عبدًا ، فاختار أن يكون نبيا عبدًا . كان يجيب من دعاه بلبيك ، ويعود المسكين ، ويسلم على الصبيان إذا مر بهم ، ويجالس الفقراء .

قالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : « كان في بيته في خدمة أهله ، يفلي ثوبه ، ويحلب شاته ، ويرقع ثوبه ، ويخصف نعله، ويخدم نفسه ، ويذبح أضحيته وبُدْنه ، ويعلف ناضحه ، ويأكل مع الخادم » ، لما دخل ﷺ فاتحًا مكة ، طأطأ رأسه ، حتى كاد يمس عثنونه قادمة الرحل ، تواضعًا لله . وكان يقول : « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، إنما أنا عبد الله ورسوله» . وقال : « لا تفضلوني بين الأنبياء» .

فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه .

* * *

فصل

في ذكر معجزاته ﷺ ودلائل نبوته

لقد أوتي النبي ﷺ من دلائل النبوة والمعجزات وخوارق العادة ما لا يمكن الإحاطة به في مثل هذه الرسالة الموجزة ، ولكن نذكر منها ما تيسر إن شاء الله تعالى، مما يحصل به الكفاية، وقد قام العلماء رحمهم الله قديمًا وحديثًا بتصنيف المصنفات في سيرته ﷺ، وألفوا في شمائله، وألفوا في معجزاته، وهي كثيرة موجودة ولله الحمد، والمقصود الإشارة إلى شيء من ذلك بهذه الرسالة مما صح وثبت برواية الثقات الأثبات .

فمن أعظم معجزاته ﷺ القرآن العظيم الذي أنزله الله على نبيه محمد ﷺ بواسطة جبريل فكان هاديًا وسراجًا ونورًا للعالمين ، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في وصف القرآن الكريم : « كتاب الله تبارك وتعالى، فيه نبأ ما كان قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يَخْلَقُ عن كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه .. ، من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم » رواه الترمذي.

ومن معجزاته ﷺ ما ثبت في الصحيحين عن حذيفة ﷺ قال ﷺ : «قام فينا رسول الله ﷺ مقامًا ، ما ترك شيئًا يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة ،

إلا حدث به ، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه ، قد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته ، فأراه، فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ، ثم إذا رآه عرفه » رواه مسلم في صحيحه .

وفي مسلم أيضًا عن أبي زيد عمرو بن أحطب ﷺ قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر، وصعد المنبر، فخطبنا ، حتى حضرت الظهر ، فنزل ، فصلى ، ثم صعد المنبر ، فخطبنا حتى حضرت العصر ، ثم نزل ، فصلى ، ثم صعد المنبر ، فخطبنا ، حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان ، وبما هو كائن، فأعلمنا أحفظنا »

وفي صحيح البخاري عن عدي بن حاتم ﷺ قال: « بينا أنا عند النبي ﷺ ، إذ أتاه رجل ، فشكا إليه الفاقة، ثم أتى آخر، فشكا إليه قطع السبيل، فقال : يا عدي هل رأيت الحيرة؟ فقلت: لم أرها ، وقد أنبئت عنها ، قال : فإن طالت بك الحياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة ، لا تخاف أحدا إلا الله – قلت فيما بيني وبين نفسي: فأين دعار طيء الذين قد سعروا في البلاد ؟ – ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى، قلت: كسرى بن هرمز؟ قال : كسرى بن هرمز، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب ، أو فضة يطلب من يقبله، فلا يجد أحدًا يقبله منه ، وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه ، وليس بينه وبينه ترجمان ، يترجم له فليقولن له : ألم أبعث إليك رسولا فيبلغك؟ فيقول: بلى ، فيقول : ألم أعطك مالا وولدا وأفضل عليك؟ فيقول: بلى ، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم، وينظر عن يساره ، فلا يرى إلا جهنم ، قال عدي ﷺ : سمعت

رسول الله ﷺ يقول : اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة .

قال عدي ﷺ : فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله ، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى ابن هرمز ، ولئن طالت بكم الحياة لترون ما قال النبي أبو القاسم ﷺ يخرج ملء كفه » .

قلت : وهذا الذي أخبر به ﷺ من خروج الرجل ملء كفه من ذهب ، أو فضة ، فلا يجد من يقبله ، ظهر في زمن الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز ﷺ .

وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة عن نافع بن عتبة ﷺ قال : «كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ، قال: فأتى النبي ﷺ قومٌ من قبل المغرب ، عليهم ثياب الصوف ، فوافقوه عند أكمة ، فإنهم لقيام ، ورسول الله ﷺ قاعد ، قال: فقالت لي نفسي : ائتهم، فقم بينهم وبينه ، لا يغتالونه، قال : ثم قلت : لعله نجي معهم ، فأتيتهم ، فقمت بينهم وبينه ، قال : فحفظت منه أربع كلمات، أعدهن في يدي، قال : تغزون جزيرة العرب، فيفتحها الله ، ثم فارس ، فيفتحها الله ، ثم تغزون الروم، فيفتحها الله ، ثم تغزون الدجال، فيفتحه الله».

وروى البخاري عن عوف بن مالك ﷺ قال : أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك ، وهو في قبة من أدم ، فقال « اعدد ستًّا بين يدي الساعة : موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم مُوتَانٌ يأخذ فيكم كقُعَاصِ الغنم ، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار ، فيظل ساخطًا ، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته ، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر ، فيغدرون ،

فيأتونكم تحت ثمانين غاية ، تحت كل غاية اثنا عشر ألفا».

قلت : ففتح بيت المقدس بعد موته ﷺ في خلافة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، ثم بعد ذلك وقع الطاعون العظيم بالشام «طاعون عمواس» في خلافة عمر أيضًا ، ومات فيه معاذ بن جبل رضي الله عنه ، وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ، وخلق كثير ، وكان ذلك أول طاعون وقع في الإسلام ، فكان مما أخبر به ﷺ، حيث أخذهم طاعون كقعاص الغنم ، ثم استفاض المال في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، حتى كان أحدهم يُعطى مائة دينار فيسخطها ، حتى كانت الفرس تشترى بوزنها ، ثم وقعت الفتنة العامة التي لم يسبق من العرب بيت إلا دخلته لما قتل عثمان رضي الله عنه ، واتسعت الفتنة بين المسلمين يوم الجمل وصفين .

وفي الصحيحين ، واللفظ للبخاري ، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك، صغار الأعين ، حمر الوجوه ، ذلف الأنوف ، كأن وجوههم المجان المطرقة ، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر » .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: « لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز ، تضيء أعناق الإبل ببصرى » .

وقد ظهرت هذه النار كما أخبر ﷺ سنة أربع وخمسين وستمائة ، ورآها الناس ، ورأوا أعناق الإبل قد أضاءت ببصرى، وكانت تحرق الحجر ، ولا تنضج اللحم ، وقد ذكرها الحافظ ابن كثير رحمه الله في تاريخه في حوادث سنة ٦٥٤.

وفي الصحيحين عن أبي سعيد وأسماء أن رسول الله ﷺ قال لعمار بن ياسر ﷺ : « هلك كسرى ، ثم لا يكون كسرى بعده ، وقيصر ليهلكن ، ثم لا يكون قيصر بعده، ولتقسمن كنوزهما في سبيل الله » .

وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لتفتحن عصابة من المسلمين ، أو من المؤمنين ، كنز آل كسرى الذي في الأبيض» .

والأبيض قصر كان لكسرى ، وفتح هذا الكنز سعد بن أبي وقاص في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنهما .

وفي صحيح البخاري عن أبي بكرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال عن الحسن ابن ابنته ، وهو يخطب على المنبر : «إن ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين».

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ : « بينا أنا نائم ، رأيتني على قليب ، عليها دلو ، فنزعت منها ما شاء الله ، ثم أخذها ابن أبي قحافة، فنزع بها ذنوبًا أو ذنوبين ، وفي نزعه ضعف ، والله يغفر له ضعفه ، ثم استحالت غربًا ، فأخذها ابن الخطاب ، فلم أر عبقريًا من الناس ينزع نزع عمر ، حتى ضرب الناس بعطن » .

وفي رواية « فاستحالت الدلو غربًا في يد عمر » قال الشافعي : رؤيا الأنبياء وحي .

وقوله : في نزعه ضعف : قصر مدته ، وعجلة موته ، وشغله بالحرب

مع أهل الردة عن الافتتاح ، والمزيد الذي بلغه عمر في طول مدته .

وفي الصحيحين عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه «أن امرأة سألت رسول الله ﷺ شيئًا ، فأمرها أن ترجع إليه، فقالت: يا رسول الله أرأيت إن جئتُ فلم أجدك ؟ قال أبي: كأنها تعني الموت ، قال : فإن لم تجديني فأتي أبا بكر » .

وروى الطيالسي عن أبي ثعلبة الخشني عن أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم عن النبي ﷺ قال: « إن الله عز وجل بدأ هذا الأمر نبوة ورحمة ، وكائنًا خلافة ورحمة ، وكائنا ملكًا عضوضًا ، وكائنا عنوةً وجبريةً وفسادًا في الأرض، يستحلون الفروج والخمور والحرير، وينصرون على ذلك ، ويرزقون أبدًا حتى يلقوا الله عز وجل » .

وروى أبو داود في سننه عن سمرة بن جندب ﷺ : « أن رجلا قال : يا رسول الله إني رأيت كأن دلوا دلى من السماء ، فجاء أبو بكر ، فأخذ بعراقيها ، فشرب شربا ضعيفا ، ثم جاء عمر فأخذ بعراقيها ، فشرب حتى تضلع ، ثم جاء عثمان فأخذ بعراقيها ، فشرب حتى تضلع ، ثم جاء علي فأخذ بعراقيها ، فانتشطت ، وانتضح عليه منها شيء».

وفي صحيح مسلم عن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « إن الله زوى لي الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها ، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض ، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة ، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم ، فيستبيح بيضتهم ، وإن ربي قال : يا محمد إني إذا قضيت قضاء، فإنه لا يرد ،

وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة ، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم ، يستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها - أو قال من بين أقطارها - حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا ، ويسبي بعضهم بعضا » .

وفي الصحيحين عن سفيان بن أبي زهير ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « تفتح اليمن ، فيأتي قوم يبسون ، فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، وتفتح الشأم ، فيأتي قوم يبسون، فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، وتفتح العراق ، فيأتي قوم يبسون فيتحملون بأهليهم ومن أطاعهم ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » .

وفي رواية : « فيخرج من المدينة » .

فأخبر ﷺ بفتح اليمن والشام والعراق قبل أن يكون ، وأخبر أنه يخرج من المدينة أقوام ، يتحملون بأهليهم ومن أطاعهم إلى هذه الأمصار ، ويطلبون الشرف ، وسعة الرزق ، قال : والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون .

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : «إنكم ستفتحون أرضًا يذكر فيها القيراط ، فاستوصوا بأهلها خيرًا ، فإن لهم ذمة ورحمًا ، فإذا رأيتم رجلين يقتتلان في موضع لبنة ، فاخرج منها » ، قال : فمر بربيعة وعبد الرحمن ابني شرحبيل بن حسنة يتنازعان في موضع لبنة ، فخرج منها .

وفي رواية : « إنكم ستفتحون مصر » .

وفي صحيح البخاري عن سليمان بن صرد ﷺ قال : قال النبي ﷺ يوم الأحزاب: «نغزوهم ولا يغزوننا» . وكذلك كان.

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إذا فتحت عليكم فارس والروم أي قوم أنتم ؟ قال عبد الرحمن بن عوف : نقول كما أمرنا الله ، قال رسول الله ﷺ : أو غير ذلك ؟ تتنافسون، ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون ، ثم تتباغضون أو نحو ذلك ، ثم تنطلقون في مساكين المهاجرين ، فتجعلون بعضهم على رقاب بعض » .

وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال : «بينما رسول الله ﷺ في حائط من حوائط المدينة ، وهو متكئ ، يركز بعود معه بين الماء والطين ، إذا استفتح رجل، فقال : افتح له ، وبشره بالجنة ، قال : فإذا أبو بكر، ففتحت له ، وبشرته بالجنة ، فقال : ثم استفتح رجل آخر ، فقال : افتح ، وبشره بالجنة ، قال: فذهبت ، فإذا هو عمر ، ففتحت له ، وبشرته بالجنة ، ثم استفتح رجل آخر ، فجلس النبي ﷺ ، فقال : افتح له ، وبشره بالجنة على بلوى تكون ، قال : فذهبت ، فإذا هو عثمان بن عفان، ففتحت ، وبشرته بالجنة ، قال: وقلت الذي قال ، فقال: اللهم صبرًا، والله المستعان».

وفي الصحيحين واللفظ للبخاري من حديث حذيفة ﷺ عن النبي ﷺ في الفتن التي تموج موج البحر، وقال لعمر: «إن بينك وبينها بابا مغلقًا ، قال : يفتح الباب أم يكسر؟ قال: لا ، بل يكسر، قال: ذلك أحرى أن لا يغلق... ، فسأله مسروق : مَن الباب ؟ قال : عمر » .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: « ستكون فتن ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي، من تشرف لها تستشرفه ، فمن وجد منها ملجأ أو معاذًا ، فليعذ به » .

ورواه أبو بكرة ﷺ ، وقال فيه : « ألا فإذا وقعت ، فمن كان له إبل فليلحق بإبله ، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه ، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه ، قال : فقال رجل : يا رسول الله أرأيت إن لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض ؟ قال : يعمد إلى سيفه ، فيدق على حده بحجر ، ثم لينج إن استطاع النجاة . اللهم هل بلغت ، اللهم هل بلغت ، اللهم هل بلغت. قال : فقال رجل : يا رسول الله أرأيت إن أكرهت حتى ينطلق بي إلى أحد الصفين، أو إحدى الفئتين ، فضربني رجل بسيفه، أو يجيء سهم فيقتلني؟ قال : يبوء بإثمه وإثمك، ويكون من أصحاب النار » رواه مسلم.

وفي الصحيحين من غير وجه ، أنه لما قال له ذو الخويصرة: يا رسول الله اعدل ، فقال : «ويلك ، ومن يعدل إذا لم أعدل ، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل ، فقال عمر: ائذن لي فيه فأضرب عنقه ، فقال دعه فإن له أصحابًا ، يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، يقرءون القرآن ، لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ... ، آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة ، أو مثل البضعة تدردر ، ويخرجون على حين فُرقة من الناس » .

وفي رواية في الصحيحين : « تمرق مارقة عند فُرْقة من المسلمين ،

يقتلها أولى الطائفتين بالحق» .

وهؤلاء ظهروا بعد موته ببضع وعشرين سنة في أواخر خلافة علي ﷺ ، لما افترق المسلمون ، وكانت الفتنة بين عسكر علي وعسكر معاوية رضي الله عنهما ، وقتلهم علي بن أبي طالب وأصحابه ، وهم أدنى الطائفتين إلى الحق، والطائفة الأخرى قتلوا عمار بن ياسر ﷺ ، وهي الطائفة الباغية، وكان علي ﷺ قد أخبرهم بهذا الحديث ، وبعلاماتهم، وطلبوا هذا المخدج ، فلم يجدوه ، حتى قام علي بنفسه ، ففتش عليه، فوجده مقتولًا ، فسجد ، وشكر الله .

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك ﷺ قال : «كان رسول الله ﷺ يدخل على أم حرام بنت ملحان ، فتطعمه، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت ، فدخل عليها رسول الله ﷺ ، فأطعمته ، ثم جلست تفلي رأسه ، فنام رسول الله ﷺ ، ثم استيقظ ، وهو يضحك ، قالت : فقلت : وما يضحكك يا رسول الله ؟ قال: ناس من أمتي عرضوا علي غُزاة في سبيل الله، يركبون ثَبَجَ هذا البحر، ملوكًا على الأسرة ، أو مثل الملوك على الأسرة، قالت : فقلت : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم ، فدعا لها ، ثم وضع رأسه ، ثم استيقظ وهو يضحك، فقلت : ما يضحكك يا رسول الله ؟ فقال: ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله، يركبون ثَبَجَ هذا البحر ملوكًا على الأسرة ، أو مثل الملوك على الأسرة ، فقلت: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، قال : أنت من الأولين.

قال أنس : فركبَتْ البحر في زمان معاوية ، فصُرعت عن دابتها ،

حين خرجت من البحر ، فهلكت » .

وهذا كان في خلافة عثمان ﷺ وكان معاوية ﷺ نائبه.

وكان المسلمون في خلافة عمر ﷺ لم يغزوا في البحر ، وأول ما غزوا البحر في خلافة عثمانﷺ، وفتحوا جزيرة قبرص، وجاءوا بسببها إلى دمشق.

وثبت في الصحيحين واللفظ لمسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك » .

وفي حديث الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « في ثقيف كذاب ومبير » .

وظهر الكذاب من ثقيف، وهو المختار بن أبي عبيد الثقفي، الذي أظهر التشيع والانتصار للحسين ، وقتل عبيد الله بن زياد ، وغيره من قتلة الحسين ، ثم أظهر أنه يوحى إليه، وأنه ينزل عليه ، حتى قيل لابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما ، قيل لأحدهما : إنه يوحى إليه ، وللآخر : إنه ينزل عليه. فقال أحدهما : ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾ [الأنعام:١٢١] . وقال الآخر : ﴿ هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ [الشعراء:٢٢١-٢٢٢] .

وأما المبير : فهو الحجاج بن يوسف الثقفي ، وكان مبيرًا، سفاكًا للدماء بغير حق ، انتصارًا لعبد الملك بن مروان الذي استنابه .

وفي الصحيحين واللفظ لمسلم عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: «لقد قال رسول الله ﷺ يومًا : أيكم يبسط ثوبه فيأخذ من حديثي، ثم يجمعه إلى صدره ، فإنه لم ينس شيئًا سمعه؟ فبسطت بردة علي، حتى فرغ من حديثه ، ثم جمعتها إلى صدري، فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئًا حدثني به » .

وفي مسند أحمد عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : «لا تقوم الساعة حتى يظهر ثلاثون دجالون ، كلهم يزعم أنه رسول الله ، ويفيض المال فيكثر، وتظهر الفتن ، ويكثر الهرج، قال : قيل: وأيها الهرج ؟ قال : القتل ، القتل ثلاثًا ».

وفي الصحيحين عن سهل بن سعد ﷺ عن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر : « لأعطين هذه الراية غدًا رجلًا يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله » . فكان كذلك .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال : شهدنا مع رسول الله ﷺ حنينًا ، فقال لرجل ممن يُدعى بالإسلام: هذا من أهل النار ، فلما حضر القتال ، قاتل الرجل قتالا شديدا ، فأصابته جراحة ، فقيل : يا رسول الله الرجل الذي قلت له آنفًا: إنه من أهل النار ، فإنه قاتل اليوم قتالًا شديدًا ، وقد مات، فقال النبي ﷺ : إلى النار ، فكاد بعض المسلمين أن يرتاب، فبينما هم على ذلك إذ قيل : إنه لم يمت، ولكن به جراحًا شديدًا ، فلما كان من الليل لم يصبر على الجراح، فقتل نفسه ، فأخبر النبي ﷺ بذلك ، فقال : الله أكبر أشهد أني عبد الله ورسوله ، ثم أمر بلالا فنادى في الناس : أنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » .

وفي الصحيحين واللفظ للبخاري عن علي ﷺ قال : «بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير ، والمقداد ، قال : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ، فإن بها ظعينة ، ومعها كتاب ، فخذوه منها، فانطلقنا تعادي بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة ، فإذا نحن بالظعينة ، فقلنا : أخرجي الكتاب . فقالت: ما معي كتاب ، قلنا: لتخرجن الكتاب ، أو لنلقين الثياب ، فأخرجته من عقاصها ، فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه : من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : يا حاطب ما هذا ؟ قال: يا رسول الله لا تعجل عليّ، إني كنت امرأ ملصقًا في قريش ، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم وأموالهم ، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم ، أن اتخذ يدًا يحمون بها قرابتي ، وما فعلت كفرًا ، ولا ارتدادًا ، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ: لقد صدقكم ، فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق . فقال : إنه قد شهد بدرًا ، وما يدريك ، لعل الله أن يكون اطلع على أهل بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم » .

فكان في هذا الكتاب إخبار المشركين بأن النبي ﷺ يريد غزوهم ، فأعلمه الله بذلك .

وفي الصحيحين واللفظ لمسلم عن أبي هريرة ﷺ: « أن رسول الله ﷺ نعى للناس النجاشي في اليوم الذي مات فيه ، فخرج بهم إلى المصلى ، وكبر أربع تكبيرات » .

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك ﷺ قال : «إن أهل مكة سألوا نبي الله ﷺ أن يريهم آية ، فأراهم انشقاق القمر مرتين» ، وعنه قال : « إن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية ، فانشق القمر مرتين » .

زاد الترمذي: فنزلت ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾ إلى قوله: ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر : ١-٢].

وفي الصحيحين عن ابن مسعود ﷺ قال : « انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين ، فقال النبي ﷺ : اشهدوا » .

وأحاديث الإسراء والمعراج ، وإمامته ﷺ بالأنبياء في بيت المقدس ، وصعوده ﷺ إلى السماوات ، وفرض الرب جل جلاله على نبيه ﷺ الصلوات الخمس حينئذ ، ورؤيته لما رآه من الآيات، والجنة ، والنار ، والملائكة ، والأنبياء في السماوات، والبيت المعمور، وسدرة المنتهى، وغير ذلك معروف متواتر في الأحاديث، وهذا النوع لم يكن لغيره من الأنبياء مثله ، وبه يظهر تحقيق قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ﴾ [البقرة : ٢٥٣] .

فالدرجات التي رفعها محمد ﷺ ليلة المعراج ، وسيرفعها في الآخرة ، كالمقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون، الذين ليس لغيره مثلها.

ومن دلائل نبوته ﷺ ما جاء في الصحيحين عن أنس بن مالك ﷺ :

«أن رجلا دخل المسجد يوم جمعة من باب كان نحو دار القضاء، ورسول الله ﷺ قائم يخطب ، فاستقبل رسول الله ﷺ قائما، ثم قال: يا رسول الله هلكت الأموال ، وانقطعت السبل ، فادع الله يغثنا ، قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه، ثم قال: اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا . قال أنس: ولا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة ، وأن السماء لمثل الزجاجة، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار ، فوالذي نفسي بيده ما وضع يديه حتى ثار السحاب أمثال الجبال ، ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته» .

وفي رواية أخرى : « فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت ، ثم أمطرت قال : فلا والله ما رأينا الشمس سبتًا ، قال : ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ، ورسول الله ﷺ قائم يخطب ، فاستقبله قائما ، فقال: يا رسول الله ، هلكت الأموال ، وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها عنا ، قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه ، ثم قال: اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام ، والظراب، وبطون الأودية، ومنابت الشجر .

قال : فما يشير بيده إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت ، وصارت المدينة مثل الجوية ، وسال الوادي قناة شهرًا ، ولم يجئ أحد من ناحية إلا حدث بالجود » .

وروى الإمام أحمد في مسنده عن يعلى بن مرة الثقفي ﷺ قال : «ثلاثة أشياء رأيتهن من رسول الله ﷺ: بينما نحن نسير معه إذ مررنا ببعير يسنى

عليه ، فلما رآه البعير جرجر، ووضع جرانه ، فوقف عليه النبي ﷺ فقال : أين صاحب هذا البعير ؟ فجاء ، فقال : بعنيه ، فقال : لا ، بل أهبه لك ، فقال : لا ، بعنيه، قال : لا، بل أهبه لك ، وإنه لأهل بيت ، ماهم معيشة غيره ، فقال: أما إذ ذكرت هذا من أمره ، فإنه شكا كثرة العمل، وقلة العلف ، فأحسنوا إليه » .

وفي رواية : « أنهم كانوا أرادوا نحره » .

قال : ثم سرنا فنزلنا منزلا فنام النبي ﷺ ، فجاءت شجرة تشق الأرض حتى غشيته ، ثم رجعت إلى مكانها ، فلما استيقظ ذكرت له ، فقال: هي شجرة استأذنت ربها عز وجل أن تسلم على رسول الله ﷺ فأذن لها .

قال : ثم سرنا ، فمررنا بماء ، فأتته امرأة بابن لها به جنة ، فأخذ النبي ﷺ بمنخره فقال : اخرج إني محمد رسول الله .

قال : ثم سرنا فلما رجعنا من سفرنا مررنا بذلك الماء، فأتته المرأة بجزور ولبن ، فأمرها أن ترد الجزور ، وأمر أصحابه فشرب من اللبن ، فسألها عن الصبي ، فقالت : والذي بعثك بالحق ما رأينا منه ريبا بعدك » .

وروى الإمام أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: « عدا الذئب على شاة ، فأخذها ، فطلبه الراعي ، فانتزعها منه ، فأقعى الذئب على ذنبه ، قال : ألا تتقي الله تنزع مني رزقا ساقه الله إليّ ؟ فقال : يا عجبا ذئب مقع على ذنبه يكلمني كلام الإنس ؟ فقال الذئب : ألا أخبرك بأعجب من ذلك ؟ محمد ﷺ بيثرب، يخبر الناس بأنباء ما قد سبق ، قال : فأقبل الراعي

يسوق غنمه ، حتى دخل المدينة ، فزواها إلى زاوية من زواياها، ثم أتى رسول الله ﷺ، فأخبره ، فأمر رسول الله ﷺ ، فنودي : الصلاة جامعة ، ثم خرج ، فقال للأعرابي: أخبرهم ، فأخبرهم، فقال رسول الله ﷺ : صدق والذي نفسي بيده، لا تقوم الساعة حتى يكلم السباعُ الإنس، ويكلم الرجلَ عذبةُ سوطه ، وشراكُ نعله ، يخبره فَخِذُه ما أحدث أهله بعده » .

وفي صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله ؓ قال : «كان المسجد مسقوفًا على جذوع من نخل ، فكان النبي ﷺ إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صُنع له المنبر ، وكان عليه،فسمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار، حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليها ، فسكنت » .

وفي رواية : « فصاحت النخلة صياح الصبي» .

وفي صحيح مسلم من حديث جابر ؓ قال : «سرنا مع رسول الله ﷺ، حتى نزلنا واديا أفيح ، فذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته ، فاتبعته بإداوة من ماء ، فنظر رسول الله ﷺ فلم ير شيئا يستتر به ، فإذا شجرتان بشاطئ الوادي، فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداهما ، فأخذ بغصن من أغصانها ، فقال : انقادي عليّ بإذن الله ، فانقادت معه كالبعير المخشوش ، الذي يصانع قائده ، حتى أتى الشجرة الأخرى ، فأخذ بغصن من أغصانها، فقال : انقادي عليّ بإذن الله ، فانقادت معه كذلك ، حتى إذا كان بالمنصف مما بينهما ، لأم بينهما ، يعني جمعهما ، فقال : التئما علي بإذن الله، فالتأمتا ، فخرجت أحضر ، مخافة أن يحس رسول الله ﷺ بقربي ، فيبتعد ، فجلست أحدث نفسي ، فحانت مني لفتة، فإذا أنا برسول الله ﷺ مقبلا،

وإذا الشجرتان قد افترقتا ، فقامت كل واحدة منهما على ساق » وذكر الحديث.

وفي صحيح البخاري عن أنس ﷺ قال: «صعد النبي ﷺ إلى أحد ، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان ، فرجف بهم الجبل ، فضربه برجله ، قال : اثبت أحد ، فما عليك إلا نبي، أو صديق، أو شهيدان » .

وفي مسلم عن جابر بن سمرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إني لأعرف حجرًا بمكة ، كان يسلم عليّ قبل أن أبعث ، إني لأعرفه الآن» .

ومن دلائل نبوته ﷺ أن الماء ، والطعام ، والثمار يكثر ببركته فوق العادة ، وهذا باب واسع نذكر منه ما تيسر :

ففي الصحيحين عن أنس بن مالك ﷺ قال : «رأيت رسول الله ﷺ ، وحانت صلاة العصر ، فالتمس الناس الوضوء، فلم يجدوه ، فأتي رسول الله ﷺ بوضوء، فوضع في ذلك الإناء يده، وأمر الناس أن يتوضئوا منه، قال: فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه ، فتوضأ الناس ، حتى توضأ من عند آخرهم» .

وفي الصحيحين عن جابر ﷺ قال : « قد رأيتني مع النبي ﷺ ، وقد حضرت العصر ، وليس معنا ماء ، غير فضلة، فجعل في إناء، فأتي النبي ﷺ به ، فأدخل يده فيه ، وفرج أصابعه، ثم قال: حي على أهل الوضوء ، البركة من الله. فلقد رأيت الماء يتفجر من بين أصابعه ، فتوضأ الناس، وشربوا ، فجعلت لا آلو ما جعلت في بطني منه، فعلمت أنه بركة ، قلت لجابر : كم

كنتم يومئذ ؟ قال : ألفا وأربعمائة » .

وفي الصحيحين عن جابر ﷺ قال: « لما حفر الخندق، رأيت بالنبي ﷺ خمصًا شديدًا، فانكفأت إلى امرأتي، فقلت لها: هل عندك شيء ؟ فإني رأيت برسول الله ﷺ خمصًا شديدًا ، فأخرجت إلي جرابا فيه صاع من شعير ، ولنا بهيمة داجن ، فذبحتها ، وطحنت الشعير، ففرغت إلى فراغي ، وقطعتها في برمتها ، ثم وليت إلى رسول الله ﷺ ، فقالت : لا تفضحني برسول الله ﷺ وبمن معه ، فجئته ، فساررته ، فقلت : يا رسول الله إنا ذبحنا بهيمة لنا ، وطحنا صاعا من شعير عندنا ، فتعال أنت ، ونفر معك ، فصاح النبي ﷺ فقال : يا أهل الخندق إن جابرًا قد صنع سورًا فحيهلا بكم . وقال رسول الله ﷺ : لا تنزلن برمتكم ، ولا تخبزن عجينتكم حتى أجيء ، فجئت ، وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس، حتى جئت امرأتي، فقالت : بك وبك ، فقلت: قد فعلت الذي قلت ، فأخرجت له عجينا، فبصق فيه وبارك ، ثم عمد إلى برمتنا، فبصق وبارك، ثم قال : ادع خابزة ، فلتخبز معك ، واقدحي من برمتكم، ولا تنزلوها، وهم ألف ، فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه ، وانحرفوا ، وإن برمتنا لتغط كما هي ، وإن عجيننا ليخبز كما هو» .

وفي الصحيحين واللفظ لمسلم عن أنس بن مالك ﷺ قال: «تزوج رسول الله ﷺ ، فدخل بأهله ، قال : فصنعت أمي أم سليم حيسًا، فجعلته في تور من حجارة، فقالت: يا أنس اذهب بهذا إلى رسول الله ﷺ ، فقل : بعثت بهذا إليك أمي ، وهي تقرئك السلام ، وتقول : إن هذا لك منا قليل يا رسول الله ، قال : فذهبت بها إلى رسول الله ﷺ ، فقلت : إن أمي تقرئك

السلام ، وتقول : إن هذا لك منا قليل ، فقال : ضعه ، ثم قال : اذهب ، فادع لي فلانا وفلانا وفلانا، ومن لقيت، وسمى رجالا ، قال: فدعوت من سمى ، ومن لقيت، قال : الجعد – وهو الراوي عن أنس – عددكم كم كانوا ؟ قال : زهاء ثلاثمائة ، وقال لي رسول الله ﷺ : يا أنس هات التور ، قال: فدخلوا ، حتى امتلأت الصفة والحجرة ، فقال رسول الله ﷺ : ليتحلق عشرة عشرة ، وليأكل كل إنسان مما يليه ، قال : فأكلوا ، حتى شبعوا، قال: فخرجت طائفة ، ودخلت طائفة ، حتى أكلوا كلهم ، فقال: يا أنس ارفع ، قال: فرفعت ، فما أدري حين وضعت كان أكثر ، أم حين رفعت. قال : وجلس طوائف منهم يتحدثون في بيت رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ جالس ، وذكر نزول آية الحجاب » .

وفي صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله ﷺ : «أن أباه استشهد يوم أحد ، وترك عليه دينا ، وترك ست بنات ، فلما حضر جذاذ النخل ، قال : أتيت رسول الله ﷺ ، فقلت: قد علمت أن والدي قد استشهد يوم أحد ، وترك دينًا كثيرًا ، وإني أحب أن يراك الغرماء ، قال : اذهب فبيدر كل تمر على ناحية ، ففعلت ، ثم دعوته ، فلما نظروا إليه ، كأنهم أغروا بي تلك الساعة، فلما رأى ما يصنعون ، أطاف حول أعظمها بيدرًا ثلاث مرات ، ثم جلس عليه ، ثم قال: ادع لي أصحابك . فما زال يكيل لهم ، حتى أدى الله عن والدي أمانته ، وأنا أرضى أن يؤدي الله أمانة والدي ، ولا أرجع إلى أخواتي بتمرة ، فسلم الله البيادر كلها ، وحتى إني أنظر إلى البيدر الذي كان عليه النبي ﷺ ، كأنها لم تنقص تمرة واحدة » .

وإن هذه الأحاديث لتزيد المؤمن إيمانًا وتصديقًا ، واتباعًا وتأسيًا به ﷺ ، وهي داعية لغير المسلم للإيمان بهذا النبي الكريم ﷺ والتصديق برسالته واتباع هديه ، فهي من أوضح الأدلة الحسية والعقلية على صدق نبوته، وعظمة رسالته ، وكريم خلقه ﷺ .

* * *

فصل

في فضل الصلاة على النبي ﷺ

اعلم وفقني الله وإياك لمرضاته أن الصلاة على النبي ﷺ من أجل الطاعات ، وأعظم القربات ، ولقد أمر ربنا تبارك وتعالى بالصلاة والسلام على نبيه ﷺ فقال جل شأنه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٦] ، وفي الحديث عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام ، فقال: يا أيها الناس، اذكروا الله، اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه، قال أبي: قلت يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال: ما شئت، قال: قلت: الربع، قال: ما شئت، فإن زدت فهو خير لك، قلت: النصف؟ قال: ما شئت، فإن زدت فهو خير لك، قال: قلت: فالثلثين؟ قال: ما

شئت، فإن زدت فهو خير لك، قلت: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: إذا تكفى همك، ويغفر لك ذنبك» رواه أحمد والترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة» رواه مسلم .

وقد شرعت الصلاة على النبي ﷺ في صلاة الفريضة والنافلة ، واختلف العلماء رحمهم الله في صحة الصلاة إذا خلت من الصلاة والسلام على النبي محمد ﷺ .

قال الإمام القرطبي رحمه الله في تفسيره : اختلف العلماء في الصلاة على النبي ﷺ في الصلاة ، فالذي عليه الجم الغفير والجمهور الكثير : أن ذلك من سنن الصلاة ومستحباتها .

قال ابن المنذر : يستحب ألا يصلي أحد صلاة إلا صلى فيها على رسول الله ﷺ ، فإن ترك ذلك تارك ، فصلاته مجزية في مذهب مالك ، وأهل المدينة ، وسفيان الثوري ، وأهل الكوفة من أصحاب الرأي ، وغيرهم ، وهو قول جل أهل العلم .

وحكي عن مالك وسفيان أنها في التشهد الأخير مستحبة ، وأن

تاركها في التشهد مسيء .

وأوجب إسحاق الإعادة مع تعمد تركها دون النسيان. وقال أبو عمر:قال الشافعي: إذا لم يصل على النبي ﷺ في التشهد الأخير بعد التشهد وقبل التسليم أعاد الصلاة . قال : وإن صلى عليه قبل ذلك لم تجزه ، وهذا قول حكاه عنه حرملة ابن يحيى ، وهو من أكابر أصحابه الذين كتبوا كتبه .

وقد تكلم الإمام ابن القيم رحمه الله على هذه المسألة ، وأطال الكلام فيها في كتابه جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام ، وأيد ما ذهب إليه الإمام الشافعي رحمه الله ، ورد على القائلين بأن الشافعي شذ في هذه المسألة ، ورد عليهم من عدة وجوه ، وذكر أن مذهب الإمام أحمد وجوب الصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأخير .

قلت : والمشهور من مذهب أحمد أن الصلاة على النبي ﷺ ركن من أركان الصلاة ، لا تصح بدونه ، وأن من تركها سواء كان عمدًا أو سهوًا يلزمه إعادة الصلاة .

ثم إن ابن القيم رحمه الله سرد الأدلة على الوجوب وذكر منها :

الدليل الأول : قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

ووجه الدلالة : أن الله سبحانه أمر المؤمنين بالصلاة والتسليم على رسول الله ﷺ ، وأمره المطلق على الوجوب ما لم يقم دليل على خلافه .

وقد ثبت أن أصحابه رضي الله عنهم سألوه عن كيفية هذه الصلاة

المأمور بها ، فقال : « قولوا اللهم صل على محمد » الحديث .

وقد ثبت أن السلام الذي عُلموه هو السلام عليه في الصلاة وهو سلام التشهد ، فمخرج الأمرين واحد ، والتعليمين والمحلين واحد ، يوضحه أنه علمهم التشهد آمرًا لهم به فيه ، وفيه ذكر التسليم عليه ﷺ ، فسألوه عن الصلاة عليه ، فعلمهم إياها ، ثم شبهها بما علموه من التسليم عليه ، وهذا يدل على أن الصلاة والتسليم المذكورين في الحديث هما الصلاة والتسليم عليه في الصلاة .

ثم أطال رحمه الله مؤيدًا ما ذهب إليه الإمام الشافعي والإمام أحمد في الأخير عنه ، وأجاب عن أدلة المخالفين بما يشفي ويكفي .

مواطن استحباب الصلاة على النبي ﷺ :

ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله مواطن الصلاة على النبي ﷺ في قرابة أربعين موطنًا ، منها ما هو واجب ، ومنها ما هو مستحب ، ونريد أن نسوقها هنا على سبيل الاختصار ، وما ذكرناه آنفًا من الصلاة عليه ﷺ في التشهد الأخير من الصلاة ، هو أحد المواطن التي وردت فيها الصلاة على النبي ﷺ .

الموطن الثاني : استحباب الصلاة عليه في التشهد الأول أيضًا ، وهذا مروي عن الإمام الشافعي وبعض العلماء ، والجمهور على خلاف ذلك .

الموطن الثالث : في آخر دعاء القنوت ، كما هو مروي عن معاذ بن جبل ﷺ ، قال به الإمام الشافعي وبعض العلماء .

الموطن الرابع : الصلاة عليه عند الصلاة على الجنازة ، وبعض العلماء يرى أنها من واجبات صلاة الجنازة ، وقد روي عن ابن عباس : أنه صلى على جنازة بمكة ، فكبر ، ثم قرأ ، وجهر بالقراءة ، وصلى على النبي ﷺ ، ثم دعا لصاحبه ، فأحسن الدعاء ، ثم انصرف ، وقال : هكذا ينبغي أن تكون الصلاة على الجنازة .

الموطن الخامس من مواطن الصلاة على النبي ﷺ : الصلاة عليه في خطبة الجمعة ، وهي مؤكدة في هذا الموطن ، وقد قال الشافعي وأحمد رحمهما الله : إنها شرط لصحة الخطبة .

الموطن السادس : الصلاة عليه بعد الأذان ؛ لقوله ﷺ كما جاء في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: « سمعت رسول الله ﷺ يقول : إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ، ثم صلوا عليّ ، فإن من صلى عليّ واحدة صلى الله عليه بها عشرًا » .

الموطن السابع : الصلاة عليه عند الدعاء ، والمستحب أن يأتي بالصلاة عليه أول الدعاء وآخره ؛ لما روي عن أبي سليمان الداراني أنه قال : من أراد أن يسأل الله حاجته فليبدأ بالصلاة على النبي ﷺ ، وليسأل حاجته ، وليختم بالصلاة على النبي ﷺ، فإن الصلاة على النبي مقبولة ، والله أكرم أن يرد ما بينهما .

الموطن الثامن : عند الدخول إلى المسجد وعند الخروج منه ؛ لما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي ﷺ وليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك ، وإذا خرج فليسلم على

النبي ﷺ ، وليقل : اللهم أجرني من الشيطان الرجيم » رواه ابن خزيمة وابن حبان .

الموطن التاسع : عند الصعود على الصفا وعلى المروة ؛ لما روي عن نافع : « أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يكبر على الصفا ثلاثًا ، ويقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، ثم يصلى على النبي ﷺ ، ثم يدعو ، ويطيل القيام والدعاء ، ثم يفعل على المروة مثل ذلك » .

الموطن العاشر من مواطن الصلاة على النبي ﷺ : عند اجتماع القوم قبل التفرق ؛ لما روى ابن حبان والحاكم وغيرهما أن النبي ﷺ قال : « ما جلس قوم مجلسًا ، ثم تفرقوا ، ولم يذكروا الله ، ولم يصلوا على النبي ﷺ إلا كان عليهم من الله ترة، إن شاء عذبهم ، وإن شاء غفر لهم» ، وقد روي عن عائشة وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما أنهما قالا : « زينوا مجالسكم بالصلاة على النبي ﷺ ».

الموطن الحادي عشر : وذلك عند ذكره ﷺ ، فيرى بعض العلماء أن الصلاة عليه تتعين عند ذكره ﷺ ، وأن هذا من مواطن الوجوب ، والبعض الآخر يرى أنه مستحب ، وكل من الفريقين يستدل بأدلة . فمن أدلة الموجبين حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ صعد المنبر فقال : « آمين آمين آمين ، وكان موضع الشاهد من الحديث هو قوله : إن جبريل قال للنبي ﷺ: من ذكرت عنده فلم يصل عليك ، فمات ، دخل النار ، فأبعده الله ، قل : آمين ، فقلت : آمين » ، والحديث الآخر « رغم أنف رجل ذكرت عنده ،

فلم يصل عليك » . قال ابن القيم رحمه الله : رغم أنفه دعاء عليه وذم له ، وتارك المستحب لا يذم ، ولا يدعى عليه ، فدل على الوجوب ، ثم ذكر رحمه الله جملة من الأدلة تزيد على خمس حجج . وذكر القائلون بعدم الوجوب حججًا أخرى منها : أنها لو كانت واجبة لوجب على المؤذن - عندما يقول : أشهد أن محمدًا رسول الله - الصلاة عليه ، ولم يقل بذلك أحد ، بل ولا يشرع. وساقوا قريبًا من اثني عشر دليلًا .

الموطن الثاني عشر من مواطن الصلاة عليه ﷺ : عند الانتهاء من التلبية في الحج أو العمرة ، قال القاسم بن محمد : كان يستحب للرجل إذا فرغ من التلبية أن يصلي على النبي ﷺ.

الموطن الثالث عشر : عند استلام الحجر الأسود ، وتقدم أيضًا أنه يشرع عند الصعود على الصفا والمروة .

الموطن الرابع عشر : إذا خرج إلى السوق وكان بعض الصحابة يفعل ذلك .

الموطن الخامس عشر : إذا استيقظ من الليل ، كما روى النسائي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه « إن الله يضحك من رجلين ، فذكر منهما الرجل يقوم في جوف الليل ، لا يعلم به أحد ، فيتوضأ ، فيسبغ الوضوء ، ثم يحمد الله ، ويمجده ، ويصلي على النبي ﷺ ، ويستفتح القرآن» .

الموطن السادس عشر : عند ختم القرآن ، كما يستحب الدعاء في هذا الموطن أيضًا .

الموطن السابع عشر : يوم الجمعة ؛ لما روي عنه ﷺ أنه قال : « أكثروا من الصلاة عليّ في كل يوم جمعة ، فإن صلاة أمتي تعرض عليّ في كل يوم جمعة ، فمن كان أكثرهم عليّ صلاة كان أقربهم مني منزلة » ﷺ .

الموطن الثامن عشر من مواطن مشروعية الصلاة عليه ﷺ : عند القيام من المجلس ، وقد كان كثير من السلف يفعل ذلك إذا أراد القيام من مجلسه ، كسفيان وغيره رحمهم الله .

الموطن التاسع عشر : عند المرور على المساجد ورؤيتها ؛ لما روي عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أنه قال : « إذا مررتم بالمسجد صلوا على النبي ﷺ ».

الموطن العشرون : الصلاة عليه عند الهم والشدائد ، وعند سؤال المغفرة من الله عز وجل ، كما في الحديث الذي رواه الترمذي وحسنه ، في قصة الصحابي الذي قال : كم أجعل لك من صلاتي يا رسول الله ؟ إلى أن قال في آخر الحديث : أجعل لك صلاتي كلها ، فقال رسول الله ﷺ : « إذًا تكفي همك ، ويغفر ذنبك » ، وفي لفظ قال : « إذًا يكفيك الله ما أهمك من أمر دنياك وآخرتك » .

الموطن الحادي والعشرون : عند كتابة اسمه عليه الصلاة والسلام ؛ لما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من صلّى عليّ في كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له ، مادام اسمي في ذلك الكتاب» رواه في أدب الإملاء والاستملاء . وقد كان السلف الصالح من علماء الحديث يفعلون ذلك ، ويرجون بركته وثوابه .

الموضع الثاني والعشرون : عند ابتداء الدرس ، وإلقاء المواعظ والتذكير ، وتعليم العلم ، عند الافتتاح والاختتام .

الموضع الثالث والعشرون : عند أول النهار وآخره ؛ لما روي عن أبي الدرداء ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « من صلى عليّ حين يصبح عشرًا ، وحين يمسي عشرًا ، أدركته شفاعتي يوم القيامة » .

الموضع الرابع والعشرون : عند فعل الكفارة الواجبة لارتكاب مخالفة ؛ لقوله ﷺ : « صلوا عليّ ، فإن الصلاة عليّ كفارة لكم ، فمن صلى عليّ واحدة صلى الله عليه عشرًا » .

الموطن الخامس والعشرون : من مواضع مشروعية الصلاة عليه ﷺ عند الفقر ، أو الحاجة ، أو الخوف منها ؛ لقوله ﷺ : « كثرة الذكر والصلاة عليّ تنفي الفقر » .

الوضع السادس والعشرون : عند الخطبة للنساء ، كما هو مروي عن ابن عباس ﷺ عنهما .

الموضع السابع والعشرون : عند العطاس ، عندما يحمد الله ، يصلي على نبيه . ذكره بعضهم.

الموضع الثامن والعشرون : عند الانتهاء من الوضوء ، بعد ما ينتهي من الدعاء الوارد فيه .

الموضع التاسع والعشرون : عند دخول المنزل .

الموضع الثلاثون: كل اجتماع حصل فيه ذكر الله ودعاؤه.

الموضع الحادي والثلاثون : إذا نسي شيئًا ، وذكر الله ، استحب له الصلاة على النبي ﷺ ، كما هو مروي عن أنس رضي الله عنه.

الموضع الثاني والثلاثون : عند ما يحدث للمرء حاجة ، كما ورد في حديث جابر رضي الله عنه .

الموضع الثالث والثلاثون : عند طنين الأذن كما روي عن بعض الصحابة .

الموضع الرابع والثلاثون: عقيب الصلاة،روي عن بعض التابعين.

الموضع الخامس والثلاثون : عند الذبيحة ، كما روي ذلك عن الشافعي ، ومحلها بعد التسمية .

الموضع السادس والثلاثون : في الصلاة عند القراءة ، إذا مر ذكره ﷺ، وذلك في النفل خاصة ، كما هو مروي عن الحسن والإمام أحمد .

الموضع السابع والثلاثون : الصلاة عليه ﷺ لمن أراد الصدقة ، ولم يجد شيئًا ، كما هو مروي عن أبي سعيد مرفوعًا إلى النبي ﷺ .

الموضع الثامن والثلاثون : عند النوم بعد ما يأتي بالدعاء الوارد ، يختمه بالصلاة على النبي ﷺ .

الموضع التاسع والثلاثون : عند كل كلام خير ذي بال ؛ لما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « كل كلام لا يذكر الله فيه ، فيبدأ به فهو أقطع ، ممحوق البركة » .

الموضع الأربعون : من مواضع مشروعية الصلاة على النبي ﷺ في صلاة العيد بين التكبيرات الزوائد ؛ فإنه يستحب له أن يقول بينهن : الله أكبر كبيرًا ، والحمد لله كثيرًا ، وسبحان الله بكرةً وأصيلًا ، وصلى الله على محمد .

فهذه أربعون موطنًا ذكرتها مختصرة من كتاب الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه جلاء الأفهام .

* * *

فصل

في وجوب العمل بالسنة والتحذير من البدعة

يقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٥٣] فهو سبحانه يحث على اتباع سبيله ، الذي هو كتابه وسنة نبيه محمد ﷺ ، فإن اتباع سنن النبي ﷺ من اتباع القرآن ، وطاعة الرسول ﷺ من طاعة الله ، يقول سبحانه وتعالى : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠] ، ويقول عز وجل: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١] .

والله سبحانه يأمر باتباع سبيله ، وينهى عن السبل المخالفة لسبيله ؛ لأن اتباع السبل المخالفة هو سبب تفرق الكلمة ، وتشتت الشمل ، ولذا نرى المسلمين المتبعين لسبيل الله، قد لزموا طريقًا واحدًا ، وهو ما أمروا باتباعه، وأما أهل البدع والأهواء ، فقد افترقوا في سبلهم على حسب معتقداتهم الفاسدة، وآرائهم المتعددة، المتنوعة ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [المؤمنون : ٥٣] .

وقد ورد عن أبي مسعود ﷺ قال : « خط رسول الله ﷺ خطًا ، ثم قال: هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطًا عن يمينه، وخطوطًا عن شماله ، وقال: هذه السبل المتفرقة ، وعلى كل سبيل منها شيطان ، يدعو ، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام :١٥٣] .

ولهذا كان العلماء رحمهم الله من زمن الصحابة رضي الله عنهم إلى يومنا هذا ، يحذرون من البدع ، وينكرون ما يستنكرون ، مما لم يعهد في زمنه ﷺ .

ولهذا يروى عن أبي الدرداء ﷺ أنه قال : « لو خرج رسول الله ﷺ عليكم ما عرف شيئًا مما كان عليه أصحابه إلا الصلاة » . قال الأوزاعي رحمه الله : فكيف لو كان اليوم ؟! قال عيسى به يونس : فكيف لو أدرك الأوزاعي هذا الزمان؟!

وعن أنس ﷺ قال : ما أعرف منكم اليوم ما كنت أعهده على عهد رسول الله ﷺ غير قولكم : لا إله إلا الله ، قلنا : يا أبا حمزة الصلاة ، قال :

قد صليتم حين تغرب الشمس ، أفكانت تلك صلاة رسول الله ﷺ ؟! .

إلى غير ذلك من الآثار الدالة على أن البدع تغلب على المشروعات في أكثر الأوقات ، وأن ذلك قد كان قبل زماننا ، ولكن في زماننا قد استفحل أمرها على توال الأيام ، والسعيد من وفق لاتباع السنة وإحيائها ، والدعوة إليها ، والإنكار على من خالفها ، ومخالفة ما اعتاده الناس من البدع ، وإن ادعوا أنها سُنة ، وأن ما هم عليه هو الحق ؛ لأن كل إنسان يأتي ببدعة، لا يعترف أنها بدعة ، بل ربما رأى أنها سنة ، والتمسك بها من الدين؛ لأن الله يقول : ﴿ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [المؤمنون :٥٣] ، ويقول سبحانه : ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف :١٠٤] .

فعلى المسلم ترك كل ما لم يستند إلى كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ ، وعليه الصبر ، وعدم المبالاة بما يرميه المخالفون للسنة ، من وصفه بالتشدد، والتنطع في الدين ، فإن ذلك شيء معروف وقليل ، مما يقاسيه الآمرون بالمعروف قديمًا وحديثًا ، وعلى قدر الأذية التي تحصل يحصل الثواب ، وتحصل الإمامة في الدين ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤]. ولهذا يقول العلماء رحمهم الله : بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين .

فعلى المسلم التمسك بالسنة، ولا يوحشه كثرة المخالفين، ولا قلة الموافقين ، ولكن المهم كل المهم أن يتحقق مما هو عليه، فإذا تحقق أنه على السنة ، ولا يمكنه ذلك إلا بمعرفة سنة رسول الله ﷺ وهديه ، وما عليه هو وأصحابه ، كما قال ﷺ : لما ذكر أن هذه الأمة تفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة

كلها في النار ، فقيل يا رسول الله ، من هذه الفرقة ؟ قال : « من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي اليوم » ، فهذا ميزان لمعرفة السنة ، فما كان النبي ﷺ والصحابة يعملونه فاعمله ، وما لم يعملوه فاجتنبه ، حتى تكون حالتك كحالتهم .

وليعلم المسلم أن شريعة الله قد اكتملت وتمت ، يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣] ، فشريعة الله كاملة والحمد لله ، وليست في حاجة إلى زيادة أو نقصان ، ومن زعم أنها تحتاج إلى تكميل فهو مكذب للقرآن ، متنقص للرسول الكريم ﷺ؛ يقول النبي ﷺ : « تركتكم على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك » ، وقد قال ﷺ محذرًا من البدع : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » وكلام العلماء رحمهم الله في هذا الموضوع كثير مشهور .

يقول الإمام مالك رحمه الله : من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة، فقد زعم أن محمدًا خان الرسالة ؛ لأن الله يقول : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ فما لم يكن يومئذ دينًا فلا يكون اليوم دينًا .

وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لعدي بن أرطأة:

أما بعد ، فإني أوصيك بتقوى الله عز وجل ، والاقتصاد في أمره ، واتباع سنة نبيه ﷺ ، وترك ما أحدث المحدثون فيما قد جرت سنته ، وكفوا مؤنته ، فعليك بلزوم السنة ، فإن السنة إنما سنها من قد عرف ما في خلافها من الخطأ ، والزلل ، والحمق ، والتعمق . فارض لنفسك بما رضي به القوم

لأنفسهم ، فإنهم على علم وقفوا ، وببصر نافذ كفوا ، وهم كانوا على كشف الأمور أقوى ، وبفضل ما كانوا فيه أحرى ، فلئن قلتم أمر حدث بعدهم فما أحدثه بعدهم إلا من اتبع غير سنتهم ، ورغب بنفسه عنهم ، إنهم لهم السابقون ، فقد تكلموا فيه بما يكفي ، ووصفوا ما يشفي ، فما دونهم مقصر، وما فوقهم محسر ، لقد قصر عنهم آخرون فغلوا ، وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم ، فرحمه الله رحمة واسعة ، وألحقنا بآثارهم .

* * *

فصل

في وجوب محبته ﷺ ونصرته

والتمسك بسنته والتحذير من مخالفته

لقد شرف الله هذه الأمة ببعثة أفضل الخلق وأشرفهم، سيد الأولين والآخرين، وخاتم الأنبياء والمرسلين ، المؤيد بالآيات البينات ، والمعجزات الباهرات محمد بن عبد الله ﷺ.

أوجب الله على عباده محبته، والتمسك بسنته فقال سبحانه: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران:٣١] .

أمرنا ﷺ بالتمسك بسنته ، والسير على هديه ﷺ ، ولزوم ما كان عليه ﷺ وأصحابه .

من تمسك بسنته ﷺ رشد ، ومن سار على طريقه هدى إلى صراط مستقيم .

حذرنا من الابتداع في الدين ، وسلوك سبيل الضالين، فقال ﷺ : «عليكم بسنتي ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار» رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة .

وفي الحديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : «خط لنا رسول الله ﷺ يوما خطا ، ثم قال : هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله ، ثم قال : هذه سبل على كل سبيل منها شيطان ، يدعو إليه ، ثم قرأ : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ﴾ [الأنعام : ١٥٣] » رواه أحمد .

أوجب الله علينا الإيمان به واتباعه ، وأخذ ما أتى به ﷺ، وترك ما نهى عنه ، يقول الحق تبارك وتعالى :﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ ﴾ [الحشر:٧] ، ويقول النبي ﷺ : «بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ... » الحديث رواه البخاري ومسلم .

وحقيقة شهادة أن محمدًا ﷺ رسول الله هي: طاعته فيما أمر، وتصديقه

فيما أخبر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع .

قال الإمام أحمد رحمه الله : نظرت في المصحف فوجدت طاعة الرسول في ثلاثة وثلاثين موضعًا، ثم جعل يتلو: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور:٦٣] ، وجعل يكررها ، ويقول : وما الفتنة إلا الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيزيغ قلبه، فيهلكه، وجعل يتلو هذه الآية: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].

وقال ابن القيم رحمه الله في تفسير هذه الآية :

« أقسم سبحانه بأجل مقسم به وهو نفسه عز وجل على أنه لا يثبت لهم الإيمان ولا يكونون من أهله حتى يحكم لرسوله ﷺ في جميع موارد النزاع ، وفي جميع أبواب الدين ، فإن لفظة (ما) من صيغ العموم ، ولم يقتصر على هذا حتى ضم إليه انشراح صدروهم بحكمه ، بحيث لا يجدون في أنفسهم حرجًا وهو الضيق والحصر من حكمه ، بل يقبلون حكمه بالانشراح ويقابلونه بالقبول لا يأخذونه على إغماض، ويشربونه على قذى، فإن هذا مناف للإيمان ، بل لا بد أن يكون أخذه بقبول ورضى وانشراح صدر.

ومتى أراد العبد شاهدًا ، فلينظر حاله، ويطالع قلبه عند ورود حكمه على خلاف هواه وغرضه ، أو على خلاف ما قلد فيه أسلافه من المسائل الكبار ، وما دونها ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ

مَعَاذِيرَهُۥ ﴾ [القيامة : ١٤-١٥] .

فسبحان الله كم حزازة في نفوس كثير من النصوص، وبودهم أن لو لم ترد، وكم من حرارة في أكبادهم منها ، وكم من شجى في حلوقهم من موردها ، ثم لم يقتصر سبحانه على ذلك حتى ضم إليه قولـــه : ﴿ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسۡلِيمٗا ﴾ فذكر الفعل مؤكدًا بالمصدر القائم مقام ذكره مرتين ، وهو الخضوع والانقياد لما حكم به طوعًا ورضى وتسليمًا لا قهرًا أو مصابرة كما يسلم المقهور لمن قهره كرهًا، بل تسليم عبد مطيع لمولاه وسيده الذي هو أحب شيء إليه يعلم أن سعادته وفلاحه في تسليماته » انتهى من الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية.

وقد حذر ربنا جل وعلا من مخالفة هديه ﷺ فقـــال: ﴿ فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص: ٥٠] .

وروي عنه ﷺ أنه قال : « والله لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به » .

فإذا آمن العبد بربه جل وعلا وأطاعه ، وآمن برسوله ﷺ، وأطاعه ، واتبع سنته ، فهو محب لربه جل وعلا ، محب لرسوله ﷺ حاصل على أعلى الدرجـات في الآخرة ، كما قال سبحانه : ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [آل عمران :٣١] ، وكما قال سبحانه ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ

أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء:٦٩] .

ومن مقتضى محبته ﷺ محبة ما يحب من الأقوال والأفعال، وكره ما يكره ﷺ من الأقوال والأفعال ، وفعل ما يفعله ﷺ مما ليس من خصائصه عليه الصلاة والسلام وترك ما تركه ﷺ ونهى عنه ، ولا يحصل للعبد هذا إلا بالتسليم التام لأمر الله وأمر رسوله ﷺ ، وترك الهوى ، والحذر من اتباع الشهوات ، لئلا يكون من أهل الأهواء الذين بدلوا سنته ﷺ وابتدعوا في دينه .

يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب:٣٦] .

قال ابن القيم رحمه الله : « بحسب متابعة الرسول تكون العزة والكفاية والنصرة ، كما أن بحسب متابعته تكون الهداية والفلاح والنجاة ، فالله سبحانه علق سعادة الدارين بمتابعته،وجعل شقاوة الدارين في مخالفته، فلأتباعه الهدى والأمن ، والفلاح والعزة والكفاية والنصرة ، والولاية والتأييد ، وطيب العيش في الدنيا والآخرة ، ولمخالفيه الذلة والصغار ، والخوف والضلال ، والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة » انتهى من زاد المعاد.

والمحبة الصادقة التامة للنبي ﷺ هي تقديم محبته عليه الصلاة والسلام على النفس والوالد والولد والأهل والناس أجمعين كما قال ﷺ : «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين » متفق عليه .

وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن هشام قال : كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر : يا رسول الله ، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي ، فقال النبي ﷺ : لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك ، فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي ﷺ : الآن يا عمر » .

ومن محبته ﷺ الذب عن سنته ، وهديه ، وأهل بيته ، وزوجاته أمهات المؤمنين، وأصحابه من المهاجرين والأنصار، والثناء عليهم ومعرفة فضلهم رضي الله عنهم أجمعين .

ومن محبته ﷺ دعوة الناس إلى ما جاء به وما أمر به ، وحث عليه ، ونشر سيرته عليه الصلاة والسلام ، وبيان هديه وأخلاقه، والتحذير ممن خالف هديه وأمره .

ومن محبته ﷺ كثرة الصلاة والسلام عليه ﷺ ، فهو من أجل الطاعات، وقد أمرنا ربنا جل وعلا بذلك في كتابه فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٦]، وقال النبي ﷺ : « من صلى علي صلاة، صلى الله عليه بها عشرًا » رواه مسلم وغيره.

وليس من من محبته ﷺ الإحداث في دينه أو الزيادة فيه ، كالاحتفال بمولده أو الاحتفال بالإسراء والمعراج ، ونحو ذلك ، مما لم يأمر به ﷺ ولم يفعله ، ولا فعله أحد من أصحابه وتابعيهم بإحسان ، بل هو مما حذر منه ﷺ ، فقال: « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » رواه البخاري

ومسلم ، وقال عليه الصلاة والسلام : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » رواه أحمد وغيره .

ومن محبته ﷺ القيام بنصرته ، والذب عنه امتثالًا لأمر المولى جل وعلا ، بقوله : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة : ٤٠] .

وقال جل شأنه : ﴿ لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ [الفتح : ٩] .

من آمن به ونصره واتبع سنته وهديه فهو من المفلحين كما قال سبحانه : ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٧] .

لقد نصر الله نبيه ﷺ وحفظه ، وأرسل ملائكته لنصرته ، واختار صحبته ، يفدونه بأرواحهم وأهليهم .

ولقد توعد الله العاصين لنبيه وسائر أنبيائه المستهزئين بهم بالعقاب الأليم ، والخسران المبين ، والعذاب الشديد ، فقال سبحانه : ﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الزخرف:٦-٨] .

وقال سبحانه ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الأنعام : ١٠].

من استهزأ به خسر ، ومن ابتغى الفلاح في غير هديه ضل، ومن أراد العزة في غير دينه ذل .

كتب الله الخذلان لمن سب نبيه ﷺ ، فقال سبحانه : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ [الحجر : ٩٥] .

وقال سبحانه: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ [المسد :١-٣] .

وقال جل وعلا : ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾ [الكوثر:٣].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية : « أي إن مبغضك يا محمد ومبغض ما جئت به من الهدى والحق والبرهان الساطع والنور المبين هو الأبتر الأقل الأذل المنقطع ذكره » اهـ.

ولئن أمهل الله الظالم قليلًا فإن وعيد الله حاصل وواقع، وقد حكى الله في كتابه قصص الأنبياء وعقابه سبحانه لمن سخروا منهم وآذوهم، وكفروا بما جاء به من الآيات والنذر.

وقد بين بعض أئمة الإسلام أن الناس كانوا يستبشرون في فتوحاتهم بتعجيل الفتح إذا سمعوا الاستهزاء بالنبي ﷺ والإساءة إليه ، لعلمهم وإيمانهم بوعيد الله تعالى في حق المستهزئين برسوله ﷺ مع ما يكدرهم ويسوؤهم ، ويملأ قلوبهم من الغضب والغيظ على أعدائهم بما سمعوا

منهم، ومن ذلك ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله :

« حدثنا أعداد من المسلمين العدول أهل الفقه والخبرة عما جربوه مرات متعددة في حصر الحصون والمدائن التي بالسواحل الشامية ، لما حصر المسلمون فيها بني الأصفر في زماننا ، قالوا : كنا نحن نحصر الحصن أو المدينة الشهر أو أكثر من الشهر وهو ممتنع علينا حتى نكاد نيأس إذ تعرض أهله لسب رسول الله ﷺ والوقيعة في عرضه ، فعجلنا فتحه وتيسر ولم يكد يتأخر إلا يومًا أو يومين أو نحو ذلك ، ثم يفتح المكان عنوة ويكون فيهم ملحمة عظيمة ، قالوا : حتى إن كنا لنتباشر بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه ، مع امتلاء القلوب غيظًا عليهم بما قالوه فيه .

وهكذا حدثني بعض أصحابنا الثقات أن المسلمين من أهل الغرب حالهم مع النصارى كذلك ، ومن سنة الله أن يعذب أعداءه ، تارة بعذاب من عنده ، وتارة بأيدي عباده المؤمنين» اهـ من الصارم المسلول .

وقال فيه أيضًا :

« ومن سنة الله أن من لم يمكن المؤمنون أن يعذبوه من الذين يؤذون الله ورسوله ؛ فإن الله سبحانه ينتقم منه لرسوله ويكفيه إياه ، كما قال سبحانه ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾ [الحجر: ٩٤-٩٥]، وقد كتب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر ، وكلاهما لم يسلم لكن قيصر أكرم كتاب النبي ﷺ ، وأكرم رسوله فثبت ملكه ، فيقال : إن الملك باق في ذريته إلى اليوم، وكسرى مزق كتاب رسول الله ﷺ ، واستهزأ برسول الله ﷺ فقتله الله بعد قليل ، ومزق ملكه كل ممزق ،

ولم يبق للأكاسرة ملك ، وهذا والله أعلم تحقيق لقوله تعالى :﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾ [الكوثر:٣] ، فكل من شنأه وأبغضه وعاداه فإن الله يقطع دابره، ويمحق عينه وأثره ، وقد قيل : إنها نزلت في العاص بن وائل ، أو في عقبة بن أبي معيط ، أو في كعب بن الأشرف ، وقد رأيت صنيع الله بهم.

ومن الكلام السائر (لحوم العلماء مسمومة) فكيف بلحوم الأنبياء عليهم السلام ؟

وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال : « يقول الله تعالى : من عادى لي وليًا فقد بارزني بالمحاربة» رواه ابن ماجة ، فكيف بمن عادى الأنبياء؟ ومن حارب الله تعالى حُرِب ، وإذا استقصيت قصص الأنبياء المذكورة في القرآن تجد أممهم إنما أهلكوا حين آذوا الأنبياء ، وقابلوهم بقبيح القول أو العمل ، وهكذا بنو إسرائيل إنما ضربت عليهم الذلة ، وباؤوا بغضب من الله ، ولم يكن لهم نصير لقتلهم الأنبياء بغير حق مضمومًا إلى كفرهم كما ذكر الله ذلك في كتابه ، ولعلك لا تجد أحدًا آذى نبيًا من الأنبياء ثم لم يتب إلا ولا بد أن تصيبه قارعة » اهـ .

من استهزأ به أو شتمه أو تنقصه عليه الصلاة والسلام فهو مستحق للقتل ، مسلمًا كان أو ذميًا ، والمسلم يكفر بمثل هذا ، قال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾ [التوبة : ٦٥-

٦٦] .

قال القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله : «وتفسير هذه الآية لا يخلو أن يكون ما قالوه من ذلك جدًا أو هزلًا ، وهو كيفما كان كفر ، فإن الهزل بالكفر كفر ، لا خلاف فيه بين الأمة» .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في تفسيرها أيضًا: «تدل على أن الاستهزاء بالله كفر ، وبالرسول كفر من جهة الاستهزاء بالله وحده كفر بالضرورة ، فلم يكن ذكر الآيات والرسول شرطًا ، فعلم أن الاستهزاء بالرسول كفر ، وإلا لم يكن لذكره فائدة ، وكذلك الآيات ، وأيضًا فالاستهزاء بهذه الأمور متلازم » اهـ من مجموع الفتاوى.

وقد حذر أئمة الإسلام من شتم النبي ﷺ أو تنقصه ، وبينوا أنه موجب للقتل ، ومفض للخروج من الإسلام .

قال الإمام أحمد رحمه الله : كل من شتم النبي ﷺ أو تنقصه مسلمًا كان أو كافرًا فعليه القتل ، وأرى أن يقتل ولا يستتاب .

وقال الإمام مالك رحمه الله : من سب رسول الله ﷺ ، أو شتمه ، أو عابه ، أو تنقصه ، قتل ، مسلمًا كان أو كافرًا ، ولا يستتاب .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « إن الساب إن كان مسلمًا فإنه يكفر ويقتل ، بغير خلاف ، وهو مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم ، وممن حكى الإجماع على ذلك إسحاق بن راهويه وغيره

وإن كان ذميًا فإنه يقتل أيضًا في مذهب مالك وأهل المدينة وهو

مذهب أحمد وفقهاء الحديث » اهـ من الصارم المسلول .

فمن سب رسول الله ﷺ فإن إمام المسلمين يقتله ؛ لعظيم جرمه ، وجزاء فعله وكفره ، وليس لآحاد الناس قتل مسلم أو ذمي سب رسول الله ﷺ ، وإنما الذي يقوم بذلك هو إمام المسلمين كما هو مقرر عند أهل العلم عملًا بالأدلة الشرعية ورعاية لمصالح الأمة ، ودرءًا للشرور والمفاسد عنها.

نسأل الله أن يمن علينا جميعًا باتباع هديه ﷺ ، والتأسي به، والتمسك بسنته ﷺ ، والقيام بنصرته ، وتحقيق محبته الكاملة .

هذا ما تيسر بيانه ، وأمكن الوقت في تسطيره وإيراده، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد .

* * *



فهرس الموضوعات

(٢)

رسالة في
فضائل الصحابة

تأليف

سماحة الشيخ العلامة

محمد بن عبد الله السبيل رحمه الله

إمام وخطيب المسجد الحرام وعضو هيئة كبار العلماء وعضو المجمع الفقهي الإسلامي

(١٣٤٥ - ١٤٣٤هـ)



رسالة في فضائل الصحابة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :

فقد سألني بعض الأخوة عن فضل صحابة رسول الله ﷺ عمومًا وعن فضل الخلفاء الراشدين على وجه الخصوص ، وعن موقف المسلم مما حصل بين الصحابة رضي الله عنهم ، فأقول وبالله التوفيق :

اتفق أهل السنة والجماعة على أن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين كلهم عدول مستدلين على ذلك بالنصوص الصريحة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ الثابتة ، ومن ذلك :

قول الله عز وجل : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [محمد : ٢٩] .

ومنها : قوله سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر:٩] .

ومنها : قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال:

٧٤].

ومنها قوله جل وعلا : ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة:١٠٠]، وقال تعالى:﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٧] ، وقال تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [الحشر:٨].

فالصحابة رضي الله عنهم كلهم عدول ، ولهم من الفضل والسبق ما ليس لغيرهم ، وقد قال ﷺ مبينًا فضل أصحابه ومحذرًا من سبهم : « لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه » رواه البخاري .

وقال ﷺ : « النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد ، وأنا أمنة لأصحابي ، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون ، وأصحابي أمنة لأمتي ، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون » رواه مسلم .

وقال ﷺ : « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » رواه البخاري ومسلم .

وأجمع أهل العلم على أن الصحابة رضي الله عنهم كلهم عدول ، فهم نقلة الشريعة ، وحملة الدين ، والقدح فيهم قدح في الشريعة ورد لها ، فإن جمع القرآن ونشره كان في زمانهم ، وهم رواة السنة والمخبرون عن أفعال النبي ﷺ وأقواله ، وويل لمن تنقصهم أو سبهم أو اتهمهم بما هم منه براء رضي الله عنهم وأرضاه .

قال الإمام أحمد رحمه الله : إذا رأيت أحدًا يذكر أصحاب رسول الله ﷺ بسوء فاتهمه على الإسلام .

وقال الإمام مالك رحمه الله : من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية : ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله : ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ .

وقال الطحاوي رحمه الله : « وحب الصحابة دين وإيمان ، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان » .

وقال ابن كثير رحمه الله : «الصحابة كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة لما أثنى الله عليهم في كتابه العزيز وبما نطقت به السنة النبوية في المدح لهم في جميع أخلاقهم وما بذلوه من الأموال والأرواح بين يدي رسول الله ﷺ رغبة فيما عند الله من الثواب الجزيل والجزاء الجميل» .

وقال النووي رحمه الله : الصحابة كلهم عدول من لابس الفتنة وغيرهم بإجماع من يعتد به » .

وقد اختلف العلماء في حكم تفضيل بعض الصحابة على بعض ،

فقالت طائفة : لا نفاضل ، بل نمسك عن ذلك ، وقال الجمهور : إنهم يتفاضلون . واتفق أهل السنة والجماعة على أن أفضلهم أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي . ثم تمام العشرة ، ثم أهل بدر ، ثم أهل أحد ، ثم أهل بيعة الرضوان ، ثم أهل بيعة العقبة .. وهكذا رضي الله عنهم أجمعين .

وما حدث بين الصحابة رضي الله عنهم من قتال كان عن اجتهاد منهم لا ينقص ذلك من قدرهم ، فهم إما مجتهدون مصيبون ، وإما مجتهدون مخطئون ، فهو من موارد الاجتهاد الذي إن أصاب المجتهد فيه فله أجران ، وإن أخطأ فله أجر واحد ، والخطأ مغفور ؛ لقوله ﷺ: « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد » رواه البخاري ومسلم .

ولما لهم من الفضائل والسابقة في الإسلام ونصرته وصحبة رسول الله ﷺ والجهاد معه ؛ فهم عاشوا في خير القرون، وأفضلها. وإذا قيس هذا الذي وقع بينهم رضي الله عنهم إلى جانب ما لهم من محاسن وفضائل ؛ لم يعد أن يكون قطرة في بحر . فالله الذي اختار نبيه ﷺ هو الذي اختار له هؤلاء الأصحاب ، فهم خير الخلق بعد الأنبياء ، والصفوة المختارة من هذه الأمة التي هي أفضل الأمم .

فأفضل هؤلاء الصحابة : أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، فهو أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ ، وهو أول الخلفاء الراشدين ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، شهد المشاهد ، وصاحب النبي ﷺ في الهجرة وغيرها ، وهو المراد بقوله تعالى : ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا

فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة:٤٠] ، وهو الذي قال له النبي ﷺ وهما في الغار : «ما ظنك باثنين الله ثالثهما» رواه البخاري.

قال ابن حجر رحمه الله : « في الآية فضل أبي بكر الصديق ؛ لأنه انفرد بهذه المنقبة ، حيث صاحب رسول الله ﷺ في تلك السفرة ، ووقاه بنفسه، وشهد الله له فيها بأنه صاحب نبيه » انتهى .

وقد قال المصطفى ﷺ عنه : « إن من أَمَنِّ الناس علي في صحبته وماله أبا بكر ، ولو كنت متخذًا خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن أخوة الإسلام ومودته ، لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر » رواه البخاري .

وفي البخاري أيضًا : « سأل عمرو بن العاص النبيَّ ﷺ عن أحب الناس إليه ، فقال ﷺ : عائشة . فقال عمرو : من الرجال ؟ قال ﷺ: أبوها ، قال عمرو : ثم من ؟ فقال ﷺ : ثم عمر بن الخطاب ، وعد رجالاً » .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه ، أنه « كان بين أبي بكر وعمر كلام ، فطلب أبو بكر من عمر أن يستغفر له ، فامتنع عمر ، وجاء أبو بكر إلى النبي ﷺ ، فذكر له ما جرى ؛ ثم إن عمر ندم ، فخرج يطلب أبا بكر في بيته ، فذكر له أنه كان عند النبي ﷺ ، فلما جاء عمر أخذ النبي ﷺ يغضب لأبي بكر ؛ وقال : أيها الناس ، إني جئت إليكم فقلت : إني رسول الله إليكم ، فقلتم كذبت ، وقال أبو بكر صدقت ، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي ؟ فهل

أنتم تاركوا لي صاحبي ؟ فما أوذي بعدها » رواه البخاري .

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « إن عبدًا خيره الله بين الدنيا والآخرة ، فاختار ذلك العبد ما عند الله، فبكى أبو بكر ، فقال : بل نفديك بأنفسنا ؛ وأموالنا . قال : فجعل الناس يعجبون أن ذكر النبي ﷺ عبدا خيره الله بين الدنيا والآخرة ، فكان رسول الله ﷺ هو المخير ، وكان أبو بكر أعلمنا به » .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: « لما ثقل رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ لعبد الرحمن بن أبي بكر : ائتني بكتف أو لوح حتى أكتب لأبي بكر كتابا لا يُختلف عليه ، فلما ذهب عبد الرحمن ليقوم ، قال : أبى الله والمؤمنون أن يُختلف عليك يا أبا بكر » رواه أحمد .

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه « أن امرأة قالت يا رسول الله أرأيت إن جئت فلم أجدك ، كأنها تعني الموت ، قال : فأتي أبا بكر » رواه مسلم .

وعن أبي بكرة رضي الله عنه « أن النبي ﷺ قال ذات يوم : من رأى منكم رؤيا فقال رجل : أنا رأيت كأن ميزانا نزل من السماء ، فوزنت أنت وأبو بكر ، فرجحت أنت بأبي بكر ، ووزن أبو بكر وعمر فرجح أبو بكر ، ووزن عمر وعثمان فرجح عمر ، ثم رفع الميزان ، فرأينا الكراهية في وجه رسول الله ﷺ » رواه النسائي والترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « من أنفق زوجين في سبيل

الله دعته خزنة الجنة نودي من أبواب الجنة : يا عبد الله هذا خير ، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان ، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : بأبي وأمي يا رسول الله ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة ، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟ قال : نعم وأرجو أن تكون منهم » .

وقد تواتر في الصحيح والسنن : « أن النبي ﷺ لما مرض قال : مروا أبا بكر فليصل بالناس - مرتين أو ثلاثا - حتى قال : إنكن لأنتن صواحب يوسف ، مروا أبا بكر أن يصلي بالناس » .

والأحاديث والآثار في فضائله رضي الله عنه كثيرة.

ثم بعد الصديق عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فهو ثاني الخلفاء الراشدين ، وأحد العشرة المبشرين ، قال عنه ﷺ : « لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون ، فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر » رواه البخاري .

وقال رضي الله عنه : « وافقت ربي في ثلاث: في مقام إبراهيم، وفي الحجاب ، وفي أسارى بدر » رواه مسلم .

وفي الصحيحين : عن النبي ﷺ أنه قال : « رأيت كأني أتيت بقدح لبن، فشربت حتى إني لأرى الري يخرج من أظفاري ، ثم ناولت فضلي عمر، فقالوا : ما أولت يا رسول الله ﷺ قال : العلم».

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : «بينا أنا

نائم رأيت الناس يعرضون وعليهم قمص ، منها ما يبلغ الثـدي ومنهـا مـا يبلغ دون ذلك ، ومر عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره ، قالوا ماذا أولت ذلك يا رسول الله؟ قال الدين» رواه مسلم .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه يقول : « سمعت رسول الله ﷺ يقـول : بينا أنا نائم رأيتني على قليب عليهـا دلـو ، فنزعـت منهـا مـا شـاء الله ، ثـم أخذها ابن أبي قحافة فنزع بهـا ذنوبـا أو ذنـوبين ، وفي نزعـه والله يغفـر لـه ضعف ، ثم استحالت غربا ، فأخـذها ابـن الخطـاب ، فلـم أر عبقريًّـا مـن الناس ينزع نزع عمر بن الخطاب حتى ضرب الناس بعطن» رواه مسلم .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عـن النبـي ﷺ قـال: «دخلـت الجنة فرأيت فيها دارًا أو قصرًا ، فقلت لمن هذا ؟ فقالوا : لعمر بن الخطاب، فأردت أن أدخل ، فذكرت غيرتك ، فبكى عمر ، وقال : أي رسـول الله أو عليك يغار ؟» رواه مسلم .

وعن سعد بن أبي وقـاص رضي الله عنـه قـال : « اسـتأذن عمـر عـلى رسول الله ﷺ وعنده نساء من قريش يكلمنه ويسـتكثرنه عاليـة أصـواتهن ، فلما استأذن عمر قمن يبتدرن الحجاب ، فأذن له رسول الله ﷺ ورسـول الله ﷺ يضحك ، فقال عمر : أضحك الله سنك يا رسول الله ، فقال رسـول الله ﷺ : عجبت من هؤلاء الـلاتي كـن عنـدي، فلـما سـمعن صـوتك ابتـدرن الحجاب ، قال عمر : فأنت يا رسول الله أحق أن يهبن ، ثـم قـال عمـر : أي عدوات أنفسهن ، أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ ؟ قلن : نعم أنـت أغلـظ وأفظ من رسول الله ﷺ ، قال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده ، مـا لقيـك

الشيطان قط سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك» رواه مسلم

وفي الصحيحين : عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : «وضع عمر على سريره فتكنفه الناس يدعون ويثنون ويصلون عليه قبل أن يرفع ، وأنا فيهم ، فلم يرعني إلا رجل قد أخذ بمنكبي من ورائي ، فالتفت فإذا هو علي ، وترحم على عمر ، وقال : ما خلفت أحدا أحب إلي أن ألقى الله عز وجل بعمله منك ، وايم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك ، وذلك أني كنت كثيرا ما أسمع النبي ﷺ يقول : جئت أنا وأبو بكر وعمر ، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر ، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر ، فإن كنت أرجو أو أظن أن يجعلك الله معهما» .

والأحاديث والآثار في فضائله كثيرة رضي الله عنه .

ثم عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ثالث الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، أسلم قديمًا ، زوجه رسول الله ﷺ بابنته رقية ، ولما توفيت زوجه رسول الله ﷺ أم كلثوم ، ولما توفيت قال ﷺ : لو كان عندنا أخرى لزوجناها بعثمان ، وقد قال عنه ﷺ لما جهز جيش العسرة : «ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم » رواه الترمذي .

شهد أحد والخندق والحديبية وبايع عنه رسول الله ﷺ بإحدى يديه ، وشهد خيبر ، وعمرة القضاء ، وحضر الفتح والطائف وتبوك . ومن فضائله : ما جاء عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « كان رسول الله ﷺ مضطجعًا في بيتي كاشفًا عن فخذيه أو ساقيه ، فاستأذن أبو بكر فأذن له ، وهو على تلك الحال ، فتحدث ثم استأذن عمر ، فأذن له وهو كذلك ،

فتحدث ، ثم استأذن عثمان ، فجلس رسول الله ﷺ وسوى ثيابه - قال محمد ولا أقول ذلك في يوم واحد - فدخل فتحدث ، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله ، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله ، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك !! فقال : ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة» رواه مسلم .

وعن أبي موسى الأشعري قال : « بينما رسول الله ﷺ من حائط المدينة وهو متكئ يركز بعود معه بين الماء والطين ، إذ استفتح رجل ، فقال: افتح وبشره بالجنة ، قال : فإذا أبو بكر، ففتحت له وبشرته بالجنة ، قال : ثم استفتح رجل آخر ، فقال : افتح وبشره بالجنة ، قال : فذهبت فإذا هو عمر، ففتحت له وبشرته بالجنة ، ثم استفتح رجل آخر ، قال : فجلس النبي ﷺ فقال : افتح وبشره بالجنة على بلوى تكون ، قال : فذهبت فإذا هو عثمان بن عفان ، قال : ففتحت وبشرته بالجنة ، قال وقلت الذي قال ، فقال : اللهم صبرا ، أو الله المستعان » رواه مسلم .

وعن عثمان رضي الله عنه قال يوم الدار : «إن رسول الله ﷺ عهد إلي عهدًا، فأنا ممتثل له، وصابر عليه إن شاء الله ، فصبر حتى قتل رحمه الله شهيدا» أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجة .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ ذكر فتنة ، فقال: «يقتل هذا فيها - مظلومًا - يعني : عثمان» رواه أحمد والترمذي.

وعن عائشة رضي الله عنها : قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يا عثمان، لعل الله يقمصك قميصًا، فإن أرادوك على خلعه، فلا تخلعه حتى

يخلعوه» رواه أحمد والترمذي وابن ماجة . ويقمصك قميصًا أراد به الخلافة.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه : قال : «لما أمر رسول الله ﷺ ببيعة الرضوان، كان عثمان بن عفان رسول رسول الله ﷺ إلى أهل مكة، قال: فبايع الناس، فقال رسول الله ﷺ: إن عثمان في حاجة الله وحاجة رسوله ، فضرب بإحدى يديه على الأخرى، فكانت يد رسول الله ﷺ لعثمان خيرا من أيديهم لأنفسهم». أخرجه الترمذي.

وعن عبد الرحمن السلمي قال : «أن عثمان حين حوصر أشرف عليهم ، فقال: أنشدكم بالله - ولا أنشد إلا أصحاب رسول الله ﷺ - ، ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال : من جهز جيش العسرة فله الجنة ، فجهزتهم ؟ ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال : من حفر بئر رومة فله الجنة، فحفرتها ؟ قال : وصدقوه بما قال» رواه البخاري .

والأحاديث في فضائله رضي الله عنه كثيرة .

ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، رابع الخلفاء الراشدين ، وأحد العشرة المبشرين ، وأول من أسلم من الصبيان وتربى في حجر النبي ﷺ ، شهد بدرًا والرضوان وسائر المشاهد كلها إلا تبوك ، وزوجه رسول الله ﷺ بابنته فاطمة ، وكان أحد الستة أصحاب الشورى .

قال له رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : « أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » رواه

مسلم .

عن أبي هريرة رضي الله عنه « أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: لأعطين هذه الراية رجلا يحب الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ، قال عمر ابن الخطاب : ما أحببت الإمارة إلا يومئذ ، قال: فتساورت لها رجاء أن أدعى لها ، قال : فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ، فأعطاه إياها ، وقال : امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك ، قال : فسار عليٌّ شيئا ، ثم وقف ولم يلتفت ، فصرخ : يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس ؟ قال : قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » رواه مسلم .

وعن بريدة رضي الله عنه قال : « خرجت مع علي إلى اليمن ، فرأيت منه جفوة ، فقدمت على النبي ﷺ فذكرت عليا فتنقصته ، فجعل رسول الله ﷺ يتغير وجهه ، قال : يا بريدة ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قلت : بلى يا رسول الله ، قال : من كنت مولاه فعلي مولاه » رواه أحمد والنسائي .

وعن عمران بن حصين قال : قال رسول الله ﷺ : « إن عليا مني وأنا منه ، وهو ولي كل مؤمن بعدي» رواه أحمد والترمذي والنسائي .

وعن علي رضي الله عنه قال : « والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي إلي أن لا يحبني إلا مؤمن ، ولا يبغضني إلا منافق» رواه مسلم .

وهكذا فالأحاديث في فضائل الصحابة كثيرة .

فمن أحبهم ، وتولاهم ، وراعى حقهم ، وعرف فضلهم ، فقد اتبع قول خير المرسلين ، وقد قال ﷺ : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها» رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة .

ومن شتمهم ، أو تنقص من قدرهم ، أو قذْر واحد منهم ، فقد لحق بركاب الخوارج والروافض وغيرهم من الهالكين .

وأهل السنة متفقون على أن الخلفاء بعد رسول الله ﷺ هم : أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وقد ثبتت خلافته باختيار الصحابة واتفاقهم عليه وقولهم : رضيه رسول الله ﷺ لديننا فرضيناه لدنيانا.

ثم من بعده الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد استخلفه الصديق واتفق الصحابة عليه بعده .

ثم جاء من بعده عثمان بن عفان رضي الله عنه بإجماع أهل الشورى وإجماع الأصحاب كافة ورضاهم به ، وقد قتل مظلومًا ، وقَتَلَتُهُ فسقة،ولم يجر منه رضي الله عنه ما يقتضيه،ولم يشارك في قتله أحدٌ من الصحابة رضي الله عنهم،وإنما قتله همج ورعاع من غوغاء القبائل ، تحزبوا وقصدوه من مصر بسبب أخبار مكذوبة على عثمان رضي الله عنه وهوى من بعض الناس، وقد عجز الصحابة الحاضرون عن دفعهم ، فحصروه حتى قتلوه رضي الله عنه .

وأما علي رضي الله عنه فخلافته صحيحة بالإجماع ، وكان هو الخليفة

في وقته لا خلافة لغيره ، وقد بايعه الصحابة ورأوه أحقهم بالخلافة .

وأما معاوية رضي الله عنه فهو من العدول الفضلاء ، والصحابة النجباء رضي الله عنه ، وقد جعله النبي ﷺ من كتاب الوحي .

وأما الحروب التي جرت فكانت لكل طائفة شبهة اعتقدت تصويب أنفسها بسببها ، وكلهم عدول رضي الله عنهم ، ومتأولون في حروبهم وغيرها .

فطائفة منهم ترى أن الحق في هذا الطرف ، وأن مخالفه باغ ، فوجب عليهم نصرته ، وقتال الباغي عليه فيما اعتقدوه ، ففعلوا ذلك ، ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة إمام العدل في قتال البغاة .

وطائفة عكس هؤلاء ، ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في الطرف الآخر، فوجب عليهم مساعدته ، وقتال الباغي عليه .

وطائفة ثالثة اشتبهت عليهم القضية ، وهم أكثر الصحابة رضي الله عنهم فإنهم اعتزلوا الأمر كله ، ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين ، فاعتزلوا الفريقين ، وكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم ، لأنه لا يحل الإقدام على قتال مسلم حتى يظهر أنه مستحق لذلك ، ولو ظهر لهؤلاء رجحان أحد الطرفين ، وأن الحق معه ، لما جاز لهم التأخر عن نصرته في قتال البغاة عليه .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : « ونؤمن بالإمساك عما شجر بينهم ، ونعلم أن بعض المنقول في ذلك كذب وهم كانوا مجتهدين إما

مصيبين لهم أجران أو مثابين على عملهم الصالح مغفور لهم خطؤهم ، وما كان لهم من السيئات ، وقد سبق لهم من الله الحسنى ، فإن الله يغفرها لهم إما بتوبة أو بحسنات ماحية أو مصائب مكفرة أو غير ذلك ، فإنهم خير القرون كما قال ﷺ : «خير القرون قرني الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم» وهذه خير أمة أخرجت للناس .

ونعلم مع ذلك أن علي بن أبي طالب كان أفضل وأقرب إلى الحق من معاوية وممن قاتله ؛ لما ثبت في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين تقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق » . وفي الحديث دليل على أن مع كل طائفة حقًا ، وأن عليًا أقرب إلى الحق . وأما الذين قعدوا عن القتال في الفتنة كسعد بن أبي وقاص وابن عمر وغيرهما فاتبعوا النصوص التي سمعوها في ذلك عن القتال في الفتة وعلى ذلك أكثر أهل الحديث » .

وقال أيضًا رحمه الله : وأما الصحابة فجمهورهم وجمهور أفاضلهم لم يدخلوا في الفتنة ، ثم ساق عن ابن سيرين قوله : « هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ عشرة آلاف فما حضرها منهم مائة ، بل لم يبلغوا ثلاثين» .

فكلهم معذورون رضي الله عنهم ، ولهذا اتفق أهل الحق ومن يعتد به في الإجماع على قبول شهاداتهم ورواياتهم ، وكمال عدالتهم رضي الله عنهم أجمعين .

وأهل السنة والجماعة يعتقدون الكف عما شجر بين الصحابة، ويستثنى منه ما إذا كان الغرض بيان الحق في مسألة ما دونما انتقاص لأحد

منهم رضي الله عنهم .

وقد قرر هذا شيخ الإسلام أبو عثمان إسماعيل الصابوني في كتابه عقيدة السلف أصحاب الحديث حيث قال : « ويرون -أي أهل السنة والجماعة- الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ، وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيبا لهم ونقصًا فيهم ، ويرون الترحم على جميعهم والموالاة لكافتهم ، وكذلك يرون تعظيم قدر أزواجه رضي الله عنهن ، والدعاء لهن ومعرفة فضلهن والإقرار بأنهن أمهات المؤمنين » .

وكذا ابن بطة في الإبانة قال: « نكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ فقد شهدوا المشاهد معه ، وسبقوا الناس بالفضل ، فقد غفر الله لهم، وأمر بالاستغفار لهم ، والتقرب إليه بمحبتهم ، وفرض ذلك على لسان نبيه ﷺ وهو يعلم ما سيكون منهم ، وأنهم سيقتتلون ، وإنما فُضِّلوا على سائر الخلق ؛ لأن الخطأ والعمد قد وُضع عنهم ، وكل ما شجر بينهم مغفور لهم» وقال : « ونشهد أنهم كلهم على هدى وتقى وخالص إيمان ؛ لأنا على يقين من نص التنزيل وقول الرسول إنهم أفضل الخلق وخيره بعد نبينا محمد ﷺ؛ ولأن أحدًا ممن أتى بعدهم ولو جاء بأعمال الثقلين الإنس والجن من أعمال البر ، ولو لقي الله تعالى ولا ذنب له ولا خطيئة عليه ، لما بلغ ذلك أصغر صغيرة من حسنات أدناهم، وما فيهم دني ولا شيء من حسناتهم صغير والحمد لله» اهـ.

وكذا أبو بكر الإسماعيلي في اعتقاد أئمة أهل الحديث حيث قال : «والكف عن الوقيعة فيهم وتأويل القبيح عليهم ويَكِلونهم فيما جرى بينهم

على التأويل إلى الله عز وجل » .

وقال الإمام أحمد : « نكف عن ذكر أصحابه فيما شجر بينهم ، ونترحم عليهم ، ونقدم من قدمه رسول الله ، نرضى بمن رضي به رسول الله في حياته وبعد موته ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٤] وقال النبي ﷺ : خير الناس قرني الذين بعثت فيهم ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، وقال: لو أنفق أحدكم ملء الأرض ذهبًا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه. فالفضل لهم ، ودع عنك ذكر ما كانوا فيه ، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان ممن قال الله عز و جل فيهم : ﴿ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ [الحجر:٤٧] ، فعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول هذا لنفسه ولطلحة والزبير ويترحم عليهم أجمعين ونحن فلا نذكرهم إلا بما أمرنا الله عز و جل به ﴿ ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ [الحشر: ١٠] » اهـ . والله تعالى أعلم .

* * *

فهرس الرسالة

(٣)

رسالة في
شرح بعض مسائل الجاهلية

تأليف

سماحة الشيخ العلامة

محمد بن عبد الله السبيل رحمه الله

إمام وخطيب المسجد الحرام وعضو هيئة كبار العلماء وعضو المجمع الفقهي الإسلامي

(١٣٤٥ - ١٤٣٤هـ)



رسالة في

شرح بعض مسائل الجاهلية

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، وبعد : فهذه رسالة مختصرة في شرح بعض مسائل الجاهلية التي ذكرها الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- في كتابه القيم « مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية » . نسأل الله تعالى أن ينفع بها ، وأن يتم شرح الباقي من تلك المسائل .

تمهيد :

إن أعمال أهل الجاهلية أعمال متباينة لا تسير على نهج قويم ، ولا ترتبط بنظام ، ولا يحصرها كتاب ، ولا يحيط بها كاتب ، وقد بين القرآن الكريم والسنة النبوية بعض أعمالهم ، وحذر منها .

وقد أورد شيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- نحو مائة مسألة من أعمال الجاهلية ، التي حذرنا منها الشرع الحنيف ، جمعها -رحمه الله- من القرآن والسنة ، ثم جاء بعده الشيخ العلامة المحقق السيد محمود شكري الألوسي وشرحها شرحًا مختصرًا ، وأشار إلى ما ورد فيها من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

ونظرًا لأهمية هذه المسائل فقد رغبت في شرح بعضها تنبيهًا للغافلين، ونصيحة لإخواننا المسلمين ، فنقول وبالله التوفيق :

لقد بعث الله عز وجل رسوله محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق ؛ ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، وأنزل عليه القرآن العظيم ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، أنزله ربنا جل وعلا تبيانًا لكل شيء .

ففيه بيان العقيدة الصحيحة التي رضيها لنا سبحانه ، وأمرنا بها .

وفيه خبر الأحكام التي شرعها لعباده ، وأحسنها ، وأعدلها ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠].

فيه الدعوة لكل خير ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩] .

فيه الدعوة لخير أنواع السلوك والأخلاق ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:٩٠].

فيه الأمر بالصدق ، والصبر ، والتحمل ، والعفو ، والإعراض عن الجاهلين ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف:١٩٩] ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف:٢٠٠] .

فيه الأمر ببر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والإحسان إلى الفقراء والمساكين وأبناء السبيل ، والنهي عن قتل النفس بغير الحق، والنهي عن التكبر ، والتجبر ، وعن الظنون السيئة ، وأمر بحفظ السمع والبصر

والفؤاد عن كل ما لا يجوز ، وعن القول بلا علم ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء:٣٦] .

وبالجملة فإنه دعا إلى كل خير ، وحذر من كل شر ، وبمثل هذه الأمور جاءت السنة النبوية ، فعن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه » رواه أبو داود .

فالقرآن الكريم والسنة النبوية هما الضياء والنور ، وسبيل النجاة ، كما جاء عن العرباض بن سارية رضي الله عنه أنه قال : « وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب ، فقلنا : يا رسول الله إن هذه لموعظة مودع ، فماذا تعهد إلينا ؟ قال : قد تركتكم على البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك ، من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرًا ، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ ، وعليكم بالطاعة ، وإن عبدًا حبشيًا ، فإنما المؤمن كالجمل الأنف حيثما قيد انقاد » رواه ابن ماجه .

مسألة : التعبد بإشراك الصالحين في عبادة الله تعالى :

كان أهل الجاهلية يعبدون الله تعالى ، ولكن لا يفردونه بالعبادة ، ولا يوحدونه ، بل يعبدون معه الأصنام ، والأوثان ، والأشجار، والأحجار ، والأولياء ، والصالحين ، ويزعمون أن هذا من الدين ، وأنه يقربهم إلى الله زلفى ، وهذه المسألة من أعظم ما بُعث الرسول ﷺ بإزالتها ، بل هي طريقة أنبياء الله ورسله من أولهم إلى آخرهم ، وهي الدعوة إلى توحيد الله تعالى ، وإفراده بالعبودية سبحانه ، والحذر من الشرك ، كما قال سبحانه وتعالى :

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦]، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٢٥] ، وهذه هي ملة إبراهيم عليه السلام التي أشار إليها القرآن الكريم بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل:١٢٣] ، وملة إبراهيم هي قوله عز وجل ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ [الزخرف:٢٦] ، وهذا هو معنى كلمة الإخلاص، كلمة التوحيد ، لا إله إلا الله ، وهي العروة الوثقى التي من استمسك بها فقد فاز ونجا ، يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٥٦] .

فهذه المسألة التي هي عبادة الله تعالى والكفر بما يعبد من دون الله كائنا من كان ، من أعظم ما خالف بها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية ، فإن أهل الجاهلية لا يرون بذلك بأسًا ، بل يرونه من الدين ، ومما يقربهم إلى ربهم ؛ ولذلك لما قال لهم رسول الله ﷺ : قولوا لا إله إلا الله ، قالوا : ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴾ [ص:٥-٧] .

وما أشبه الليلة بالبارحة فإن بعض أهل هذا الزمان يعبدون الأولياء والصالحين ، وينذرون لهم النذور، ويذبحون لهم القرابين، ويهدون لهم

الهدايا ، ويزعمون أنهم بذلك على هدى وعلى طريق مستقيم ، وإذا أنذرهم منذر أو نهاهم مذكر ؛ قالوا : هؤلاء لهم جاه ومنزلة عند الله ، ونحن لا نعبدهم ، ولكن إذا دعوناهم ، وتقربنا إليهم بالنذور ، صاروا لنا وسائط وشفعاء عند الله ؛ لما لهم من الجاه والمنزلة عندهم ، ونسوا أن هذا من أعمال أهل الجاهلية التي حذرنا الإسلام منها ، فإن أهل الجاهلية كانوا يقولون : ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ، كما قال سبحانه وتعالى في محكم كتابه عنهم في أوائل سورة الزمر: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ [الزمر:٢] ، ويقول سبحانه وتعالى في سورة يونس: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس:١٨] .

فهذه أعظم مسألة خالف رسول الله ﷺ فيها أهل الجاهلية ، وأتى بإخلاص العبادة لله وحده ، وأخبر أنه دين الله الذي لا يقبل من أحد سواه، ومن أجله أنزلت الكتب ، وأرسلت الرسل ، وشرع الجهاد في سبيل الله ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾ [البقرة:١٩٣].

مسألة : التفرق :

ومن المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية : التفرق والنفرة من بعضهم لبعض ، فلا يجتمعون على أمر من الأمور ، بل كلٌّ يرى أن اتفاقه على رأي مع غيره مما فيه مصلحة ؛ يراه ذلة وهوانًا ونقصًا فيه ، وعيبًا يعاب به بين أمثاله ؛ ولذلك جرّت هذه الأمور عليهم شرورًا كثيرة ،

وحصل بسبب ذلك إراقة الدماء، واضطراب الأمن والاستقرار ، وتسلط بعضهم على بعض لأتفه سبب ؛ ولذلك أمرهم الرسول ﷺ بالاتفاق والاعتصام بدين الإسلام ، وعدم التفرق ، كما أمره الله بذلك ، يقول سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [آل عمران ١٠٢-١٠٣] ، فالله سبحانه يذكر المسلمين بنعمة الإسلام التي جمعت كلمتهم ، وجعلتهم أحبابًا متآلفين محبة قلبية ، ليست مجرد قولة باللسان ، بل التآلف حصل للقلوب والأرواح ، وهذه هي المحبة الصادقة التي هي ثمرة الأخوة الصحيحة ، الأخوة في الله ، والمحبة فيه سبحانه ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾ وكنتم على خطر أن تهووا في الهاوية ، فأنقذكم سبحانه بالإيمان ، ومتابعة نبيه ﷺ من هذه الهلكة. فتذكروا هذه النعم ، فإنه لا يعدلها أي نعمة.

قال الألوسي – رحمه الله – : « يقال : أراد سبحانه بها ذكر ما كان بين الأوس والخزرج من الحروب التي تطاولت مائة وعشرين سنة ، إلى أن ألف سبحانه بينهم بالإسلام ، فزالت الأحقاد . قاله ابن إسحاق . وكان يوم بعاث آخر الحروب التي جرت بينهم ، وقد فصل ذلك في (الكامل) .

ومن الناس من يقول : أراد ما كان بين مشركي العرب من التنازع الطويل والقتال العريض ، ومنه حرب البسوس ، كما نقل عن الحسن رضي

الله عنه . وقال تعالى : ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ ﴾ [التغابن :١٦] إلى غير ذلك من الآيات الكريمة الناصة عن النهي عن الاستبداد والتفرق ، وعدم الانقياد والطاعة، مما كان عليه أهل الجاهلية » اهـ .

وكل هذه الأمور أزالها الله بعد الإسلام ، فذكرهم هذه النعمة ، وأمرهم سبحانه بالتقوى ولزوم الجماعة ، وحذرهم من النزاع والتفرق الموجبان لسفك الدماء، ونهى عن الاستبداد والتفرق وعدم الانقياد والطاعة ، كما كانوا عليه في جاهليتهم .

مسألة : مخالفة ولي الأمر :

من المسائل أيضًا التي أمر رسول الله ﷺ بمخالفة أهل الجاهلية فيها ؛ السمع والطاعة لأولي الأمر ، فإن أهل الجاهلية كانوا يرون أن عدم السمع والطاعة من الفضائل ، وربما اتخذه بعضهم دينًا ؛ فلهذا حذر ﷺ من هذه الخصلة ، وأخبر أنها من أعمال الجاهلية ؛ لما يترتب عليها من الأمور العظام من التفرق ، وسفك الدماء ، والعداوة ، والبغضاء ، وكل هذه الأمور جاء الإسلام بإزالتها من المجتمعات ، وأمر بجمع الكلمة والوئام والتحابب ، وأمر ﷺ بالصبر على جور الولاة ، والسمع والطاعة لهم ، وغلظ في ذلك ، وأعاد وقال ﷺ : « اسمع وأطع وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك » رواه مسلم ، وقال : « اسمعوا وأطيعوا ولو استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة » رواه البخاري ، وجاء عنه ﷺ قوله : « إن الله يرضى لكم ثلاثًا : أن تعبدوه ، ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم » رواه مسلم ، وفي البخاري عن

ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « من كره من أميره شيئًا فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبرًا مات ميتة جاهلية » ، وروي عن جنادة بن أبي أمية قال : « دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض ، قلنا : أصلحك الله ، حدّث بحديث ينفعك الله به سمعته من النبي ﷺ ، قال : دعانا النبي ﷺ فبايعناه ، فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا ، وعسرنا ويسرنا ، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله ، إلا أن تروا كفرا بواحًا عندكم من الله فيه برهان » رواه مسلم . وقد كثرت الأحاديث الثابتة الصحيحة في هذا المعنى .

وعند تتبع التاريخ ترى العجائب في هذا الباب ، وأنه ما حصل سفك الدماء ، وتفرق المسلمين ، وطمع الكفار بهم ، ولم يقع خلل في الدين والدنيا إلا من الإخلال بالعمل بهذه الأحاديث وهذه الوصايا التي وصانا بها رسول الهدى ﷺ من جمع الكلمة والاتفاق وعدم التفرق والاختلاف ، ولا شك أن هذا هو الذي يقتضيه الشرع والعقل ، وقد دل الاستقراء على ما تحته من المصالح العظيمة ، وما ينتج من مخالفته من المفاسد الكثيرة . والله سبحانه وتعالى يأمر عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله وطاعة أولى الأمر، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء:٥٩] . وكان ﷺ في مبايعاته لأصحابه يأمرهم بالسمع والطاعة ، وهل يمكن أن ينتظم أمر لأحد بدون السمع والطاعة !! ولذلك جاء في الحديث « من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه » رواه مسلم ، مع أن القتل من أعظم

الذنوب وأشدها ، وفي الحديث : « لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مؤمن بغير حق » رواه الترمذي والنسائي ، ولكن لما كان يترتب على تركه ومشاقته ما يترتب من سفك الدماء ، وضعف المسلمين؛ أمر الرسول ﷺ بقتله ، وقتل رجل واحد أخف ضررًا ، وأقل شرًّا من قتل الألوف من المسلمين ، والقاعدة الشرعية أن يرتكب أدنى الضررين لدفع أعلاهما .

مسألة : التقليد :

ومن المسائل التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية ؛ التقليد ، فالرسول ﷺ نهى عن التقليد ، ومتابعة الغير بدون دليل يستند عليه عن الله ورسوله ﷺ ، وهذا في الحقيقة هو دين الجاهلية، وهو أصلهم العظيم الذي يدورون عليه ، وليس هذا خاصًا بقريش ، ولا بأهل الجاهلية في زمنه عليه الصلاة والسلام ، وإنما هو دين جميع الأمم التي بعث فيها الرسل ، فهذه عندهم قاعدة عظيمة يردون بها الحق ، ويدفعون بها دين أنبياء الله ورسله ، كما قال سبحانه وتعالى في وصف حالهم : ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴾ [الزخرف:٢٣] ، وقال عز وجل في الآية الأخرى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴾ [البقرة:١٧٠] إلى غير ذلك مما يدل على أن أهل الجاهلية كانوا في ربقة التقليد ، التقليد الأعمى الذي لا يستند على أي دليل، فهم لا يعملون لهم فكرًا ، ولا يشغلون لهم عقلاً بالتذكر والتفكر في الأمور ، فلهذا تاهوا في أودية الجهالة ، وضلوا في صحاري الغواية ، فهم

في ريبهم يترددون ، وفي حيرتهم يعمهون ، ليس لهم حكم وتدبير ، ولا عقل منير ، والقرآن يناديهم ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف:٣].

والله عز وجل يدلهم على الطريقة المثلى والمسلك القويم والصراط المستقيم ، ويقول لنبيه محمد ﷺ : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ [سبأ:٤٦] ، ولكن إذا غلبت الشقاوة فلا يؤثر فيهم لوم ولا عتاب ولا بيان ، وكم صد التقليد أشخاصًا عن الهدى ، وجلب لهم الشقا ، وفوت عليهم السعادة . فانظر إلى مضرة التقليد ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

مسألة : الاقتداء بالعالم الفاسق أو العابد الجاهل :

من مسائل أهل الجاهلية أنهم يقتدون بأناس ليسوا على طريقة مستقيمة ، إما لجهلهم بدينهم ، أو عدم استقامتهم على أمر الله ، فكانوا في الجاهلية سواء جاهلية المشركين من العرب ، أو غيرهم من أهل الكتاب يفعلون ذلك ، والقرآن الكريم نزل بالتحذير من الاقتداء بهؤلاء ، وأمر بالبعد عنهم ، فكل من لم يكن على جانب من العلم والزهد والعبادة وتقديم ما جاء عن الله وعن أنبيائه على كل شيء ، فهذا لا يقتدى به ، ولا يتابع على ما هو عليه ، فإن بعض العلماء يدعون الناس إلى الله بألسنتهم ، ويخالفون ذلك بأفعالهم، وإذا عرض لهم عارض من فضول الدنيا قدموه ، وأقاموا لأنفسهم الأعذار والمسوغات، وإن لم تكن على جادة الصواب، ولا

على سنن الهدى؛ ولذلك حذر القرآن الكريم ممن هذه أوصافهم وهذه طريقتهم ، فقال عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣٤] فهذا فيه التحذير من متابعة هؤلاء العلماء الفساق ، الذين علموا العلم ، ولكن لم يعملوا بعلمهم ، ولم يكتفوا بعدم العمل ، بل أضلوا الناس ، وصدوهم عن سبيل الهدى .

وكذلك الجهال الذين يتلبسون بالعبادة ، ويظهرون للناس النسك ، وهم بخلاف ذلك ، بل هم من الضلال الذين يضلون الناس بعبادتهم التي لم تبنى على وحي من الله ورسوله ، بل هم يتخبطون في عبادتهم ، ويتابعهم كثير من الناس ، ينخدعون بهم ، وبزيهم ، وإظهارهم النسك ، فهؤلاء يضلون الناس ؛ ولهذا قال بعض السلف رحمهم الله : من فسد من علمائنا ففيه شبه من الأحبار ، ومن فسد من عُبّادنا ففيه شبه من الرهبان ؛ ولأن من سلك طريقهم ، وسار على نهجهم ، فله نصيب من صفاتهم ، بحسب ما اتصف به ، فكل ما جاء في القرآن من ذم اليهود والنصارى وغيرهم ممن خالف أمر الله إذا اتصف به أحد ممن ينتمي للإسلام ؛ فله نصيب من ذلك؛ ولأن الله عز وجل ذكر ما ذكر من الصفات والأفعال التي عابها على المشركين من العرب وغيرهم من أهل الكتاب ، تحذيرًا لنا أن نسلكها أو نفعل كفعلهم ، فإذا فعلنا مثلهم أصابنا ما أصابهم ؛ ولذلك لما قال الله عز وجل في قصة شعيب عليه السلام عند ختمها بالآيات في سورة هود ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ

قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴾ [هود:٨٩] ، فكل من خرج عن التعاليم الإلهية ، إما عن عمد ومعاندة ، أو عن جهل وإعراض عن الحق ، فله قدر مشترك من العذاب على حسب فعله ، كما فعل بالأمم السابقة .

والحاصل أن الرسول الكريم ﷺ خالف أهل الجاهلية في متابعتهم للفساق ممن يدّعون العلم وهداية الناس ، وهم بعكس ذلك ، يصدون عن سبيل الله ، كما قال سبحانه ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة:٧٧] .

مسألة : الاحتجاج بما كان عليه الآباء بلا دليل :

إن من أعمال أهل الجاهلية التي خالفهم فيها رسول الله ﷺ ما كانوا عليه من عدم قبول الحق ، والاحتجاج بما كان عليه أسلافهم والقرون المتقدمة لهم ، بدون دليل صحيح ، وبدون رؤية وتفكير وعقل سليم ، فمجرد عمل القرون السابقة هو دليلهم على السير على مناهجهم ، ولو كان في الكفر والشرك والظلم ومخالفة الأنبياء والمرسلين ؛ ولذلك جاء القرآن الكريم بإبطال هذه الأمور في سورة طه ، عندما ذكر سبحانه قصة إرساله موسى وهارون إلى فرعون ، فقال رادًّا عليهم ، ومحتجًّا بما عليه أسلافه من أهل القرون الأولى ، قال سبحانه في محاورتهما -أي محاورة موسى وهارون لفرعون - قال : ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا

وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴾ [طه :٤٩-٥٤] وقال في سورة ص : ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَـٰقٌ ﴾ [ص:٦-٧] ، شجع بعضهم بعضا على الاستمرار بما هم عليه من الباطل ، وعدم الالتفات إلى من خالفهم ، وعدم قبول الحق ممن جاءهم به ، وأمر بعضهم بعضًا بالصبر على ذلك ، والتمسك بعبادة آلهتهم التي يعبدونها من دون الله ، وأن هذا مقصود به صدكم عن آلهتكم والتخلي منهم ، ثم استدلوا على ذلك ، وأكدوا هذا الاستمرار بأن هذه هي الطريقة المستقيمة والمحجة الواضحة بزعمهم هي الصواب ، وهي الحق ، وأن ما عداها بعيد عن الصدق ؛ ولهذا قالوا : ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَـٰقٌ ﴾ فسموا الحق اختلاقًا ، أي كذبًا ، وما هم عليه من الباطل هو الحق الذي يجب التمسك به ، والتمشي بموجبه ، والصبر على إنفاذه والاستمرار عليه . وهذه طريقة أهل الجاهلية جميعًا من زمن نوح عليه السلام إلى زمن المشركين الذين بُعث فيهم خاتم النبيين محمدﷺ، فتقدمت الآيات التي تشير إلى فعل كفار قريش ، وكذلك في قصة موسى وهارون عليهما السلام مع فرعون ، وأما في قصة نوح عليه السلام ففي قوله سبحانه في سورة المؤمنون : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ [المؤمنون:٢٣-٢٥] ، فهذه حجة الأولين والآخرين منهم ،

﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ، فجعلوا مدار احتجاجهم على عدم قبول ما جاءت به الرسل ، أنه لم يكن عليه آباؤهم وأسلافهم ، ولا عرفوه منهم ، فكيف يتبعون رجلاً يخالف آبائهم وأسلافهم الأولين ؛ ولهذا لما عاتب كعب أخاه بجيرًا على إسلامه واتباع محمد ﷺ قال في تأنيبه لبجير :

على خلق لم تلف أمًّا ولا أبًا عليه ولا تلقى عليه أخاك

فلما سمع رسول الله هذا البيت من جملة الأبيات قال ﷺ : أجل لم يلف عليه أباه ولا أمه .

وفي قصة أبي طالب أوضح دلالة وأعظم دليل على خطر هذه الكلمة، وذلك أن الرسول ﷺ حرص أشد الحرص على إسلام عمه أبي طالب ، ولما حضرته الوفاة جلس عنده ، ودعاه للإسلام ، وعرض عليه الإقرار بالتوحيد ، والاعتراف بكلمة الإخلاص ، لا إله إلا الله ، التي من كانت هذه الكلمة آخر كلامه دخل الجنة ، فقال : يا عم قل : لا إله إلا الله ، كلمة أحاج لك بها عند الله ، وكان عنده بعض كبراء قريش ، فلما أحسوا منه الإصغاء إلى قول الرسول ﷺ ، والميل إليه ، وأراد أن يقول : لا إله إلا الله ، قالوا له : أترغب عن ملة عبد المطلب ! فلما قالوا له ذلك أبى أن يقول لا إله إلاّ الله ، ومات وهو على ملة عبد المطلب ، مات على قول أهل الجاهلية ، ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٢] .

اللهم اهدنا صراطك المستقيم ، وجنبنا طريق المغضوب عليهم والضالين.

مسألة : الاحتجاج على الحق بقلة أهله :

إن من أعمال الجاهلية التي خالفها رسول الله ﷺ أنهم يحتجون على صحة باطلهم ، وردهم الحق بقلة أهله ، ويستدلون على باطلهم بكثرة أهله، والاحتجاج بالسواد الأعظم ، وإن كان على غير هدى ، وهذه حجة زائفة لا تروي غليلا ، ولا تشفي عليلا ، كيف وقد أبطلها القرآن الكريم ، وبين الحال بعكس ما ذهبوا إليه ، فإن أهل الباطل غالبًا هم الأكثر عددًا ، وهم السواد الأعظم ، فإن أغلبية الخلق ضعفت بصائرهم ، وغلب عليهم حب الشهوات ، وثقلت عليهم التكاليف الشرعية ، وضعفت عزائمهم عن مقاومة نفوسهم وميلها إلى الباطل ، وسيطرت عليهم أهواؤهم ، فقادتهم إلى الطرق المعوجة المائلة عن سبيل الإيمان ، وعن الأخلاق العالية الشريفة :

إذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى

إلى كل ما فيه عليك مقال

والله عز وجل قد أبان لنا في محكم كتابه أن الأكثرين من الناس قد انحرفوا عن طريق الصواب ، كما قال عز وجل : ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [الأنعام:١١٦-١١٧] .

فالكثرة إذا كانت على خلاف الحق لا تستوجب العدول عن اتباعه لمن كان له بصيرة وقلب يعقل ، فالحق أحق بالاتباع ، قل ناصروه أو كثروا، والله مؤيده وناصره ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء:٨١] ومن ثم قيل : للباطل جولة ثم يضمحل ، فالباطل مآله للزوال وإن كثر أعوانه وأنصاره ، والحق مآله للثبات وإن قل أنصاره وأعوانه ؛ لأن الله مع الحق ، ومن كان الله معه فهو المنصور الغالب ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴾ [الصافات :١٧٣] .

فالكثرة على خلاف الحق لا تستوجب العدول عن اتباعه ؛ لأن الله سبحانه أخبر أن البغي بين الخلطاء والشركاء كثير، وأنه لا يسلم من ذلك إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وهم قليلون بالنسبة إلى غيرهم ، كما قال سبحانه : ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ [ص:٢٤] ، فأخبر الله تعالى عن أهل الحق أنهم قليلون ، غير أن القلة لا تضرهم ، فكل من كان على جانب كبير من العلم والعمل ، أو من الشجاعة والكرم ، أو من مكارم الأخلاق والشيم ، أو الصبر والحلم ، فإنهم بالنسبة إلى من ليس كذلك قليل ، فالأكثر في الناس النقص ، وعدم الاستقامة ، وعدم الوفاء .

تعيرنا أنا قليل عديدنا فقلت لها إن الكرام قليل

فالاعتماد على السواد الأكثر والاحتجاج بما عليه الكثرة الكاثرة من غير برهان ولا دليل؛ نقص في التصور ، وخلاف المعقول والمنقول والواقع، والتوفيق بيد الله سبحانه وتعالى .

مسألة : الاستدلال على بطلان الشيء بكونه غريبًا :

إن من أعمال الجاهلية التي أنكرها النبي ﷺ وخالفهم فيها استدلالهم بردّهم الشيء ، ودعواهم ببطلانه ، بكونه غريبًا ، أي جديدًا عليهم لم يعرفوه من قبل وقد بين النبي ﷺ أن الإسلام بدأ غريبًا ، فقال ﷺ : « بدأ الإسلام غريبًا وسيعود كما بدأ غريبًا ، فطوبى للغرباء» رواه مسلم . فهو غريب بالنسبة لعمل الجاهلية ، ثم أثنى النبي ﷺ على أهله الغرباء المتمسكين به ، وفضلهم على غيرهم بقوله ﷺ : « فطوبى للغرباء » ، وهؤلاء الغرباء أخبر عنهم ﷺ « أنهم يصلحون إذا فسد الناس » أو « أنهم يصلحون ما أفسد الناس » رواه أحمد والترمذي وحسنه . فالغرابة في حد ذاتها ليست عيبًا ، بل قد تكون شرفًا ، كما في هذا الحديث . وقد روي من عدة طرق ، فقد روي عن عبد الرحمن بن سنة رضي الله عنهما بلفظ : « إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ ، وهو يأرز إلى ما بين المسجدين ، كما تأرز الحية إلى جحرها » رواه أحمد . وروي مرسلاً عن شريح بن عبيد قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا ، ألا لا غربة على المؤمن ، ما مات مؤمن في غربة غابت عنه فيها بواكيه ، إلا بكت عليه السماء والأرض ، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ [الدخان:٢٩] ، ثم قال : « إنهما لا يبكيان على كافر».

هذا وقد تكون الغرابة لقلة المشاكلة والمجانسة ، سواء في الخير أو في غيره ، فإن كان في الخير فهو في غاية المدح والثناء ؛ لكونه انفرد بهذه الخصلة

الحميدة ، أو بهذا الوصف الفضيل ، ويروي أن الإمام أحمد رحمه الله أنشد هذا البيت :

إذا مضى القرن الذي أنت فيهم وخلفت في قرن فأنت غريب

ويشبه هذا قول الطغرائي :

هذا جزاء امرئ أقرانه درجوا من قبله فتمنى فسحة الأجل

فكل من ذهب نظراؤه ، ودرج جيله الذي عاش بينهم ، يكون غريباً عند غيرهم ، لكن هذه الغربة لا تعطي وصف ذم ، بل قد يكون خيرًا ممن هو غريب بينهم .

فالحاصل أن وصف الغربة ليس بنقص ولا عيب ، بل اعرف الحق لتعرف أهله . وقد جرت في الأمثال « في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا » وذلك يعني ندرة هذا الشيء ، وقد قال الله سبحانه : ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴾ [هود:١١٦]، فقوله : ﴿ فَلَوْلَا ﴾ تفيد معنى التوجع ، أي فهلا﴿ كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ ﴾ ، أي الأقوام المتقدمة المقتربة في زمان واحد ﴿مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ ﴾ ، أي ذوو خصلة باقية من الرأي والعقل ، أو ذوو فضل من بقيتهم من خيارهم،﴿يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ الواقع فيما بينهم ، وفسر الفساد بالكفر ، وما اقترن به من المعاصي ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا ﴾ ، أي ولكن قليلًا ممن أنجيناهم ؛ لكونهم كانوا ينهون عن الفساد ، وهو قريب من قوله

عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف:١٦٤-١٦٥] ، فمدلول هذه الآيات بيان قلة القائمين بالحق، وغرابتهم بين قومهم ، فصاروا مع غربتهم هم أهل الحق ؛ لأنهم كانوا متمسكين به ، والرسول ﷺ يقول : « فطوبى للغرباء الذي يصلحون عند فساد الناس » .

مسألة : انخداع أهل القوة والحيلة بقوتهم وحيلتهم :

كان أهل الجاهلية يعتقدون أن من كان له قوة في جسمه ، وإدراك قوي في عقله ، وسعة تفكير في فهمه ، وجاه عريض ، ومال كثير ، أن ذلك يمنعهم من الضلال ، وكيف يضلون عن طريق الحق وهم على هذه الأحوال !! فرد الله عز وجل عليهم هذا الزعم ، وبين لهم أن هذا من الضلال البعيد ، كما حذر من ذلك رسول الله ﷺ ، وقد بين الله تعالى ذلك في عدة آيات من كتابه ، كما قال سبحانه : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَـٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ غَـٰفِلُونَ ﴾ [الروم:٧] ، وقال سبحانه في أهل القوة من قوم عاد، وما أعطاهم من السمع والبصر والفؤاد ، الذي به عادة يتمكن صاحبه من التفرقة بين ما ينفعه وما يضره ، قال سبحانه وتعالى عنهم : ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَـٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَـٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّـٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ

سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الأحقاف: ٢٤-٢٦] ، فهو سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ ﴾ قوينا عادا وأقدرناهم في شيء ما مكناكم فيه من السعة والبسطة في الرزق وطول الأعمار وسائر أنواع التصرفات ، فهم أقوى منكم وأشد بطشًا ، ومع ذلك فقد جعلنا لهم أسماعا وأبصارًا وأفئدة ؛ ليستعملوها فيما خلقت له، ويعرفوا لكل منها ما أنيط به معرفته من أصناف النعم ، ويستدلوا بها على نعم الله عز وجل ، الذي مَنَّ بها عليهم ، فيدعو بشكره جل ثناؤه ، فما أغنى عنهم سمعهم ، حيث لم يستعملوه في استماع الوحي ومواعظ الأنبياء ونصائحهم ، ولا أبصارهم ، حيث لم يجتلوا بها الآيات الكونية المرسومة في صحائف هذا العالم الفسيح، ولا أفئدتهم ، حيث لم يستعملوها في معرفة الله تعالى ، والاعتراف له بالتوحيد ، والإخلاص في العبادة ﴿من شيء﴾ أي ما أغنت عنهم شيئاً من الأشياء ؛ إذ كانوا يجحدون بآيات الله ، ﴿وحاق بهم﴾ أي أحاط بهم وعمهم ما كانوا يستهزؤون به من العذاب الذي كانوا قبل معاينته يستعجلونه بطريق الاستهزاء ، ويقولون : ﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [الأعراف : ٧٠] ، فأتاهم العذاب ، فأهلكهم عن آخرهم ، فهل نفعهم قوتهم وحيلهم وغلظ أجسامهم ؟ فالتوفيق بيد الله تعالى ، فحصول الإيمان بالله ورسله والإذعان للحق وسلوك سبيله إنما هو فضل من الله تعالى ، لا لكثرة مال ، ولا لحسن حال ، ومن يرد الحق ويستدل بكونه أحسن الناس حالاً ، فقد سلك سبيل الجاهلية ، وحاد عن المحجة المرضيـة .

قال الألوسي – رحمه الله – : « ومثله قوله سبحانه : ﴿ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة:٨٩] كان اليهود يعلمون من كتبهم رسالة محمد ﷺ ، وأن الله سيرسل نبيًا كريمًا من العرب ، وكانوا قبل بعثته يستفتحون على المشركين ببعثته ، ويقولون : يا ربنا أرسل النبي الموعود إرساله حتى ننتصر على الأعداء ، فلما جاءهم ما عرفوا ، وهو محمد ﷺ كفروا به ، حسدًا منهم أن تكون النبوة في العرب ، وهم بزعمهم أحسن أثاثا ورئيا» اهـ .

مسألة : انخداع أهل الثروة بثروتهم :

أن من أعمال أهل الجاهلية أنهم يستدلون بعطاء الدنيا على رضى الله على عبده ومحبته له ، ولم يعلموا أن الله يعطي الدنيا من يحب ، ومن لا يحب، وسعة الرزق وكثرة الأولاد والوجاهة في الدنيا لا تدل على محبة الله ، فقد يعطي سبحانه هذه الأشياء لعباده المؤمنين ، وقد يعطيها للكفار ، وهذا شيء معلوم ومشاهد ، ولكن أهل الجاهلية لنقص علومهم وفساد تصوراتهم يرون أن ذلك دليل على محبة الله لهم ، ورضاه عنهم ، يقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ [سبأ:٣٤-٣٥] فأكذبهم سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا

﴿وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سبأ:٣٦-٣٧]. وقال سبحانه وتعالى حكاية عن قارون حينما أعطاه الله ما أعطاه من المال الكثير والكنوز العظيمة من الذهب والفضة، قال لقومه: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾ أي لمعرفتي، وحذقي، وحسن تصرفاتي، فأضاف النعم إلى حوله وقوته وامتيازه على الناس، وهذا التصور الفاسد جعله يتكبر ويتجبر على عباد الله.

يقول سبحانه في قصته: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [القصص:٧٦-٨٢].

فبهذا تبين لك أن محبة الله ورضاه إنما تكون بطاعته والانقياد لأمره سبحانه، وأمر رسوله ﷺ، وأما كثرة المال والأولاد ونحو ذلك من نعيم

الدنيا فليست دليلاً على نجاة صاحبها ؛ لأن المنعَم عليه حقيقة هو الذي هدي إلى الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء . ولو كانت الدنيا وما فيها تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرًا شربة ماء ، كما قال سبحانه ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾ [الزخرف:٣٣] فلو قيل : إن كثرة الرزق يخشى منها الاستدراج بصاحبها ، سيما إذا لم يقم بشكرها ، لكان أقرب من القول بأنها دليل الرضا ، كما يزعم أهل الجاهلية ، وقد ورد في الأثر : « من زيد في عقله نقص من رزقه» ، فكم نرى أناسًا كثرت أموالهم وأولادهم وهم في غاية من الجهل ، وآخرين على جانب كبير من العلم والأدب رزقهم قوتًا ، أو أقل منه ؛ ولهذا يروى عن بعض أهل الأدب الأبيات المشهورة :

كم من قوي قوي في تقلبـــــــه
مهذب الرأي عنه الرزق منحرف

وكم غبي غبي في تصرفـــــــه
كأنه من خليج البحـــر يغتـــرف

فسبحانه الحكيم العليم ، إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، لا إله إلا هو العليم الحكيم .

مسألة : الاستخفاف بالحق لضعف أهله :

كان أهل الجاهلية يستخفون بالحق ، ويأنفون من قبوله ، من أجل أن الذي عليه غالبًا هم ضعفاء الناس وفقرائهم ، ومع ذلك يستدلون على

بطلان الحق بهذا السبب ، الذي هو اتباع ضعفاء الناس له ، وبزعمهم أنه لو كان حقًا لأخذ به الأقوياء والأغنياء والكبراء من الناس .

كما قال كفار قريش لنبينا محمد ﷺ ، فقد روى الإمام أحمد وابن جرير رحمهما الله عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : « مر الملا من قريش على رسول الله ﷺ وعنده خباب وصهيب وبلال وعمار وغيرهم من ضعفاء المسلمين ، فقالوا : يا محمد أرضيت بهؤلاء من قومك ؟ أهؤلاء الذين منَّ الله عليهم من بيننا ؟ أنحن نصير تبعًا لهؤلاء؟ اطردهم ، فلعلك إن طردتهم نتبعك ، فنزلت هذه الآية : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [الأنعام: ٥٢] » ، فانظر إلى مشركي العرب واحتقارهم للمؤمنين ، وطلبهم من الرسول ﷺ طردهم .

وانظر قصة هرقل لما كان له من العقل كيف قال لأبي سفيان لما سأله عن الرسول ﷺ حتى قال : « وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت ضعفاؤهم ، وهم أتباع الرسل » فأتباع الرسل هم الضعفاء ، والهداية بيد الله سبحانه وتعالى . اللهم اهدنا صراطك المستقيم ، وارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين .

مسألة : وصم أنصار الحق بما ليس فيهم :

إن أهل الجاهلية على ما هم فيه من التكبر وعدم قبول الحق يلصقون عيوبًا كثيرة في أهل الحق تنفيرًا عنهم ، ولو أنهم في باطن نفوسهم يعلمون كذب أنفسهم ، ولكن فعلوا ذلك لئلا يحتج عليهم بهؤلاء المؤمنون ، وخوفًا من أن يتبعهم الناس ، فيكثر أتباعهم ، ويبقوا وحدهم في انعزال ،

فهم يقولون : هؤلاء ، يقصدون أتباع الأنبياء ، ليس لهم قصد في الله وفي الآخرة ، ولكن يريدون الدنيا ، وليتحصلوا على غرضهم منها ، كما قال قوم نوح عليه السلام له ؛ ولذلك قال نوح عليه السلام عن الذين أسلموا من قومه : ﴿ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴾ [الشعراء:١١٣] ، فإن كان قصدهم الدنيا ، أو لهم غرض آخر فلا يلزمني التنقيب عنهم ، والبحث والفحص عما في قلوبهم ، إنما أقبل تصديقهم ، وأكِلُ سرائرهم إلى الله عالم الغيب والشهادة .

مسألة : التكبر عن نصرة الحق لأن أنصاره ضعفاء :

كان من خصال أهل الجاهلية أنهم يتركون قبول الحق ، ويُعرضون عنه تكبرًا ؛ لكون الفقراء وضعفة الناس قبلوه ، ولذلك قالوا لنوح عليه السلام : اطرد عنك هؤلاء الأرذلون ، فقال : ﴿ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء:١١٤] ، وقالوا لمحمد ﷺ : اطرد هؤلاء الأعبد ، فقال الله له : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [الأنعام:٥٢] ، وكم حصل مثل ذلك، وما يشاكله من بعض المتكبرين ، الذين يتركون طلب العلم كراهية لمجالسة الفقراء والضعفاء من طلاب العلم ، وحرموا أنفسهم الخير الكثير، وفاتهم العلم بهذا السبب ، فهم إذا جاؤوا إلى حلقات الذكر ومجالس العلماء ، ورأوا الفقراء وغيرهم جنبًا إلى جنب ، لا فرق في حال الدرس والجلوس أمام العلماء بين الغني والفقير ؛ استنكف كثير منهم أن يجالس هؤلاء ، وترك طلب العلم لهذا الغرض السيء في نفسه ، وهو الترفع والتكبر عن هؤلاء ، ولكن كيف تكون العاقبة بعد ذلك ، تكون كما

هو مشاهد ، يبقى في جهله وضلاله ، وإذا احتاج إلى معرفة مسألة من مسائل العلم ، أو وقع له مشكلة بينه وبين أحد من الناس ، أو بينه وبين أهله ، ذهب يلتمس من أولئك الذين كان يحتقرهم ، ويأبى أن يجالسهم معرفة حكم ما وقع فيه ، وجلس بين أيديهم مجلس المتعلم المسترشد المعترف بجهله، وربما تردد على باب أحدهم الأيام ؛ لينال مقصده، ويعرف حكم مسألته .

وكان العلماء رحمهم الله لا يفرقون بين أحد من الناس في العلم ، فيجعلون مجلسهم مجلسًا واحدًا للعموم، سواء الفقراء والأغنياء والملوك ، كما عرف عن الإمام مالك والبخاري وغيرهم من أئمة المسلمين .

مسألة : الغلو في الصالحين :

إن من أعمال أهل الجاهلية الغلو في الصالحين ، سواء جاهلية أهل الكتاب الذين يزعمون أنهم العلماء، ويدعون معرفة كل شيء، أو كانوا من جاهلية العرب الذين كانوا يقلدون أهل الكتاب ، ويقتبسون منهم بعض عباداتهم .

وهذا الغلو في الصالحين قد يكون سببه طلب التقرب إلى الله، والله سبحانه وتعالى أخبر عن غلو أهل الكتاب في محكم كتابه فقال عز وجل : ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟

إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣٠-٣١] ، فقولهم : عزير ابن الله - تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا - من غلوهم في العزير ، والله سبحانه وتعالى نفى ذلك عن نفسه بقوله : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ .

وكذلك مقالة النصارى مثل ذلك ﴿ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [البقرة : ١١٨] قاتلهم الله ، ثم أخبر عنهم سبحانه وتعالى بأنهم أيضاً اتخذوا علماءهم وعبادهم أربابًا من دون الله ، يحللون لهم الحرام فيحلونه ، ويحرمون عليهم الحلال فيحرمونه ، ويزعمون أنهم يتصرفون في الكون ، وفي جلب النفع ، ودفع الضرر ؛ ولذلك يدعونهم في الملحات ، ويلجأون إليهم عند طلب الحاجات .

وقد سرت هذه العدوى من اليهود والنصارى إلى العرب في جاهليتها ، ومع الأسف الشديد أنها قد فشت عند بعض المسلمين في هذه الأزمنة أكثر من ذي قبل ، فقد عمت البلوى ، وانتشر الشرك باسم تعظيم الأنبياء والصالحين ، حتى جعلوا لهم التصرف في الأمور ، فأخذوا ينذرون لهم النذور ، ويذبحون لهم الذبائح ، ويطلبون منهم أن يدفعوا عنهم البلاء، وأن يجلبوا لهم النفع ، ودعوهم في الشدائد ، وعظموا قبورهم وبنوا عليها القباب ، وجعلوا يطوفون بها ، ويقصدوها كالكعبة المشرفة ، ولكل قبر موسم من المواسم باسم عيد ميلاده ، فيا خيبة الأمل عندما تراهم يبكون حول هذه القبور ، ويستغيثون بأهلها ، ويطلبون منها المدد والعون

والنصر، كأنهم لم يقرؤوا كتاب الله ، ولم يطرق سماعهم قوله عز وجل : ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٧] ، وقوله عز وجل : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [يونس:١٠٦]، وقوله عز وجل : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأنعام:١٧]. وقوله سبحانه : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣] ، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

إن هذا المرض الخطير قد عم في كثير من بلاد المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، وهو تصديق لما أخبر به المعصوم عليه من الله أفضل الصلاة وأتم التسليم ، حيث يقول : « لتتبعن سنن من كان قبلكم باعا بباع وذراعا بذراع وشبرا بشبر حتى لو دخلوا في جحر ضب لدخلتم معهم ، قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال : فمن إذا » رواه البخاري ، وصدق الله العظيم : ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣١].

مسائل : الطعن في الأنساب ، والفخر بالأحساب ، والنياحة ، والاستسقاء بالأنواء :

إن مما نهانا عنه رسول الله ﷺ من أعمال الجاهلية : الطعن في الأنساب، والفخر بالأحساب ، والنياحة ، والاستسقاء بالأنواء ، أي

بالنجوم ، وقد حذر ﷺ من الاتصاف بها غاية التحذير ، وأكد أنها من أعمال الجاهلية ، وأخبر أن هذه الأمة لا تتركها أي أنه يبقى بقايا ولو كانوا مسلمين تدخل عليهم هذه الأمور ، ويفعلون فعل الجاهلية ، وإذا فعلوا شيئًا من ذلك فإنه نقص في إسلامهم وضعف في إيمانهم . والمعنى أنها توجد في جملة هذه الأمة ، وإن كان يوجد أناس سلموا منها ، وكلما ضعف الإيمان ، وقل العلم ، كثرت ، وكلما قوى إيمان العبد ، وأنار الله بصيرته بالعلم ، سلم منها ، فقد كانت توجد في القرون الأولى ، لكنها قلة، وهي الآن توجد بكثرة، والحديث لا يدل على أنها تكون في كل فرد من هذه الأمة، ولكن يفيد أنها لا تفقد منها ، فيتصف بها أناس دون آخرين ، والحديث الوارد فيها هو ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ حدثه قال : « أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر بالأحساب ، والطعن في الأنساب ، والاستقاء بالنجوم ، والنياحة ، أو قال: النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب ». وقد بين الألوسي – رحمه الله – وغيره من أهل العلم أن المراد بالفخر في الأحساب : افتخارهم بمفاخر آبائهم ، والطعن في الأنساب : إدخالهم العيب في أنساب الناس ، تحقيرًا لآبائهم ، وتفضيلا لآباء أنفسهم على آباء غيرهم ، والاستسقاء بالنجوم : اعتقادهم نزول المطر بسقوط نجم في المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله من المشرق ، فيقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا ، قال تعالى: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ [الواقعة:٨٢] ، والنائحة تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران : أي أن الله يجازيها على هذا العمل بلباس

من قطران ، « ودرع من جرب » ، وذلك أنها في وقت المصيبة تلبس ثيابًا خاصة لأجل المصيبة ، وترفع صوتها بالنياحة والكلام المحرم ، وإظهار الجزع ، والتبرم بهذه المصيبة ؛ ولأنها بهذه الأفعال وهذه الأقوال تصهر وتحرق قلوب أهل الميت بما تردده من أوصافه التي كان يتصف بها في حياته. فهذا الحديث دل على بطلان ما كان عليه أهل الجاهلية من هذه الخصال الرديئة ، والأفعال القبيحة .

فالواجب على كل مسلم الحذر من هذه الخصال ؛ امتثالاً لأمر الله جل وعلا وأمر رسوله ﷺ ، وأن يحذر إخوانه المسلمين من ذلك ويدعوهم برفق وحكمة للتمسك بالسنة ، والحذر من البدعة . والله الهادي والموفق .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

فهرس الرسالة



(٤)

فضل الدعوة

إلى الله تعالى وصفتها

تأليف
سماحة الشيخ العلامة
محمد بن عبد الله السبيل رحمه الله
إمام وخطيب المسجد الحرام وعضو هيئة كبار العلماء وعضو المجمع الفقهي الإسلامي
(١٣٤٥ - ١٤٣٤هـ)



فضل الدعوة إلى الله تعالى وصفتها

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وعلى آله وصحبه ، بعد :

فإن الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى من أفضل الأعمال ، وأجل الطاعات ، وهي مهمة المرسلين ، الذين اصطفاهم الله تعالى ، واختارهم لدعوة الخلق إلى ربهم وهدايتهم إليه ، وبيان الطريق الموصل إلى الله وإلى جنته !!

فالله عز وجل يقول لنبيه الكريم محمد ﷺ أفضل الأنبياء والمرسلين ، وخاتم النبيين ﷺ : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل:١٢٥] ، ويقول سبحانه : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [يوسف:١٠٨] .

وإن من أحسن الأعمال وأفضلها الدعوة إلى الله تعالى سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت:٣٣] ، فهذه الآية الكريمة ترسم لنا صفة الداعي إلى الله ، وتبين لنا أن سلوك هذه الطريقة ، التي هي أحسن الطرق وأحبها إلى الله ، وأنفعها لعباد الله من الداعين والمدعوين ، كما أنها هي طريقة المرسلين، بل هي طريقة أفضل الرسل محمد ﷺ وناهيك بها طريقة ، فقد قال كثير من المفسرين : إن المراد بذلك هو رسول الله ﷺ ، وقال آخرون : هي عامة في كل من دعا إلى الله على هذه الكيفية .

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره :

« ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ : أي دعا عباد الله ، ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ أي : وهو في نفسه مهتد بما يقوله ، نفعه لنفسه ولغيره لازم ومتعد ، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه، وينهون عن المنكر ويأتونه ، بل يأتمر بفعل الخير وترك الشر ، ويدعو الخلق إلى الخالق ، وهذه عامة في كل من دعا إلى خير وهو في نفسه مهتد ورسول الله ﷺ أولى بذلك» اهـ.

وقال الإمام ابن جرير رحمه الله في تفسيره :

« ومن أحسن أيها الناس قولا ممن قال ربنا الله، ثم استقام على الإيمان به ، والانتهاء إلى أمره ونهيه ، ودعا عباد الله إلى ما قال وعمل به من ذلك ... ثم ساق سنده عن الحسن البصري لما تلا هذه الآية ، قال : هذا حبيب الله، هذا وليّ الله، هذا صفوة الله ، هذا خيرة الله ، هذا أحب الخلق إلى الله ، أجاب الله في دعوته ، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته ، وعمل صالحًا في إجابته ، وقال إنني من المسلمين ، فهذا خليفة الله... وساق بسنده عن قتادة هذه الآية ، وقال : هذا عبد صدّق قولَه عملُه ، وموجله مخرجه ، وسره علانيته ، وشاهده مغيبه ، وإن المنافق خالف قوله عمله ، وموجله مخرجه ، وسره علانيته ، وشاهده مغيبه » اهـ .

فالداعي إلى الله تعالى لما صفت سريرته مع ربه ، واكتمل إيمانه به ، وقام بما وجب عليه من الإيمان والعمل ، صفت سريرته أيضًا مع الخلق ، فأحب لهم ما يحب لنفسه ، وأحب لإخوانه المؤمنين أن لا يراهم على ما

يخالف ما أمرهم الله به ، فأمرهم بالمعروف ، ونهاهم عن المنكر ، وأشفق عليهم كما يشفق على نفسه، كما جاء في الحديث المتفق عليه : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » بل يحب لمن لم يؤمن أن يكون مؤمنًا ، فدعاه إلى الله ، ورغبه في الخير وعمل ما في وسعه في سبيل هدايته للإسلام ، وإلى صراط الله المستقيم ، عملاً بقوله ﷺ لعلي رضي الله عنه: «فو الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حمر النعم».

وكما يعلم الجميع أن من أهم شروط الداعية الاستقامة بنفسه، وأن يكون قدوة للناس في أفعاله قبل أقواله ، فإن الاقتداء بالأفعال أبلغ من الأقوال ، ولا يخفى على الجميع أن الذين اعتنقوا الإسلام في كثير من شرقي آسيا وأواسط أفريقيا وغيرهما اعتنقوه رغبة ومحبة له ، حينما رأوا المسلمين الذين يفدون إليهم للبيع والشراء على جانب كبير من الوفاء ، والأمانة ، وحسن المعاملة ، وهؤلاء المسلمون لم يذهبوا من أجل الدعوة ، ولكنهم يضربون في الأرض ، يبتغون من فضل الله . لكن لما رأى الناس ما هم عليه من الصفات الحميدة، والوفاء بالوعود ، والعهود ، والصدق ، والإنصاف، والبر ، والإحسان ، أحبوهم وأحبوا ما هم عليه من الصفات ، وأخبرهم المسلمون أن ديننا يأمرنا بذلك ، فأحب أولئك هذا الدين ، واعتنقوه واغتبطوا به ، كما أن البلاد التي فتحها المسلمون الأولون من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين ومن بعدهم دخل أهلها بعد ذلك في الإسلام رغبة ومحبة له ، ولأهله بسبب معاملتهم الحسنة ، والعدالة فيهم ، وعدم هضمهم شيئًا من حقوقهم .

فمن أنفع طرق الدعوة استقامة الداعي واتصافه بما يأمر به واجتنابه ما ينهى عنه ، أما من خالف قوله فعله ، فهذا لا يقبل منه وعظه وتذكيره ، بل ربما كان محل سخرية للناس ، وسببًا لوقوعهم في عرضه ، وقديمًا قيل :

وغير تقي يأمر النـــاس بالتقى طبيب يداوي الناس وهو سقيم

والله سبحانه وتعالى نهى عن هذا الوصف وعابه ومقت أهله عليه ، فقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الصف:٢-٣] ، وقال سبحانه : ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة:٤٤] ، فليس من العقل أن ينصح الإنسان غيره ، ويهمل نفسه ؛ فمن وعظ غيره ولم يتعظ فكأنه أتى بما لا يقبله العقل السليم ، هذا في الدنيا ، أما في الآخرة فيكفي ما رواه البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى ، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون : يا فلان مالك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول : بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه ، وأنهى عن المنكر وآتيه » .

ومما ينبغي للداعي أيضًا أن يكون حليمًا صبورًا على ما يلاقيه من صعوبات في سبيل الدعوة ، فإن الحلم والصبر والاستمرار على الدعوة من أنفع الأمور على تحصيل المقصود ، فما نجح من نجح في دعوته إلى الله إلا بهذا ، والكل يعرف صبر الأنبياء والمرسلين في دعوتهم لقومهم ، لا سيما أفضل الخلق محمد ﷺ ، وكذلك من سار على نهجه من سائر الدعاة

والمصلحين .

وإن المسؤولية على الداعي تعظم وتخف على اختلاف أحوال الداعي وأحوال المدعو .

أما أحوال الداعي فقد يكون لديه من الحجة والبيان والبلاغة ما يستطيع أن يقنع به أغلب المدعوين ، ما عدا المعاند منهم ، فهذا لا حيلة ولا مطمع فيه ، كما قال سبحانه : ﴿ وَمَا تُغْنِي ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس:١٠١] . وقد يكون الداعي مع قوة استعداده في الإقناع له مكانه بين قومه ، وبني جنسه ، وفي محيط دعوته ، فهذا عليه من الواجب أكثر ممن هو دونه في تلك الصفات، وهكذا كلما كان أقدر على الدعوة كانت المسئولية عليه أعظم ، ولا يعني هذا أن من نقصت قدرته يتخلى أو يقول : فيه من هو أقدر مني ، فيترك الدعوة، فإنه قد يكون الأضعف درجة في هذا الباب أنفع من غيره؛ لوجود صفات أخرى فيه ، مثل المواظبة والمثابرة على الدعوة، والتحمل والصبر ، وعدم السآمة والملل . فكم من دعاة قد جعل الله لهم تأثيرًا كبيرًا ، ونفعًا عظيمًا في مجال الدعوة ، واهتدى على أيديهم فئام من الناس بسبب تواضعهم وصبرهم ومثابرتهم ، كما قال بعضهم في الحرص على طلب العلم ، وفائدة المثابرة عليه ، وعدم الملل:

اطلب العلم ولا تضجرا ... فما لطالب العلم أن يضجرا

ألم تر إلى الحبل بتكراره ... في الصخرة الصماء قد أثرا

فالشاعر يصف الحبل الذي هو أحد أدوات السقي بكثرة مروره على

حافة البئر ، قد أثر في تلك الصخرة الصلبة ، بسبب كثرة مروره عليها ، مع أنه حبل لين ، وهذه صخرة صلدة ، فهذا مثل لبيان فائدة المثابرة والاستمرارية في تحصيل المقصود ، فالاستمرار على الدعوة والمثابرة عليها ، وعدم السآمة والملل ، من أقوى أسباب تأثيرها ونفعها .

وقال آخر :

أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته

ومدمن القرع للأبواب أن يلجـــا

وإن من أكبر العون على الصبر والتحمل والمثابرة ، صدق النية ، والإخلاص ، واستحضار الثواب المترتب على ذلك ، وكذا التأسي بأنبياء الله ورسله ، والتذكر لسيرتهم ، وما كانوا يقومون به ويعانونه من الصبر وتحمل الأذى في هذا السبيل ، ولهذا يذكرنا القرآن بذلك في قوله سبحانه : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران :١٤٦] .

ويأمرنا سبحانه بالتأسي والاقتداء بهم ، كما قال سبحانه : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة :٤] ، ويقول سبحانه : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب:٢١] .

وكذلك التأسي بفعل الأنبياء والسلف الصالح من هذه الأمة من الصحابة وغيرهم ، فإذا ذكر المسلم ما مر على نبي الله إبراهيم خليل الرحمن، وعلى موسى كليم الرحمن ، وعلى محمد رفيع المقام ، عليهم من الله

أفضل الصلاة والسلام . فهذا يقذفه قومه في النار من أجل دعوته إلى توحيد الله ، وينجيه الله منها ، وهذا يضطره عدوه إلى البحر ، فيجعل الله له مخرجًا ، ويهلك عدوه . ومحمد ﷺ الكل يعرف سيرته ، وماذا حصل عليه من أجل الدعوة إلى الله ، يضع أعداؤه سلى الجزور على ظهره وهو ساجد في حرم الله ، ويوضع الشوك في طريقه ، ويرمى القذر في طريقه ، وما حصل عليه يوم الطائف ، وما لاقاه يوم أحد ، فكانت حياته ﷺ في جهاد وفي صراع مع أعداء الإسلام ، كما كان في مكة بين المشركين وكم ضايقوه وضيقوا عليه ، وفي المدينة كان برهة من الزمن بين اليهود يتربصون به الدوائر ، وكم حاولوا إيقاع الأذى به ، وحاولوا قتله مرارًا بأنواع المكر والحيل ، ولكن الله سلم وأهلك عدوه ، وكما كان ﷺ بين المنافقين يتربصون به ، ويثيرون الفتن ، ويتحينون الفرص لتفريق الكلمة ، وتشتيت الشمل ، ويعملون أسباب الفشل في بعض الغزوات ، وكم هموا بما لم ينالوا وهو ﷺ في كل هذا صابر مجاهد حتى لحق بالرفيق الأعلى .

وهؤلاء أصحابه من المهاجرين والأنصار كم بذلوا نفوسهم وأموالهم وكم هجروا أهلهم وراحتهم في سبيل الدعوة إلى الله تعالى، فهذا أبو بكر رضي الله عنه ماذا لقيه من المشركين ، حينما كان يمارس شعائر دينه ، ويدافع عن رسول الله ﷺ ، ويقيه بنفسه ، وكيف كان يدعو إلى دين الله وتوحيده بمكة . دخل في الإسلام بسبب دعوته أعيان المهاجرين الأولين ، ثم كل من هؤلاء قد قام بدور كبير في جهاد أعداء الله تعالى بالسيف وبالحكمة والموعظة الحسنة ، وكيف كانت نتيجة دعوته ، لقد كان منها إسلام سعد

ابن معاذ وأسيد بن حضير رضي الله عنهما وقومهما ، ودخل قومهما في دين الله أفواجًا ، فانظر إلى هذا الداعية المبارك ، وهذه الدعوة المؤثرة التي كانت سببًا لإسلام جل أهل المدينة .

تذكر كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ يتسابقون ويتنافسون في المسارعة إلى أعمال الخير ، والدعوة والجهاد في سبيل الله ، وكيف كانت حالة الذين تأخر إسلامهم ، وكيف كان ندمهم وأسفهم على ما فاتهم من قدم الصحبة ، والمشاركة الكريمة مع الرسول ﷺ . لقد كانوا يقومون بأعمال جليلة ، بذلون أنفسهم وأموالهم ، ويرتحلون بأهليهم إلى الثغور ، ومواطن الجهاد والدعوة ، لعلهم يلحقون بسلفهم ، ويعوضون ما فاتهم من قدم الإسلام والصحبة.

فهذا الحارث بن هشام رضي الله عنه يروي لنا أهل السير والتراجم كيفية خروجه بعد وفاة الرسول ﷺ بنفسه وأهله وماله . فيقول ابن عبد البر رحمه الله في الاستيعاب : خرج الحارث بن هشام من مكة فجزع أهل مكة جزعًا شديدًا فلم يبق أحد يطعم إلا خرج معه يشيعه حتى إذا كان بأعلى البطحاء أو حيث شاء الله من ذلك وقف ووقف الناس حوله يبكون، فلما رأى جزع الناس قال: « أيها الناس إني والله ما خرجت رغبة بنفسي عن أنفسكم ولا اختيار بلد عن بلدكم ، ولكن كان هذا الأمر فخرجت فيه رجال من قريش ، والله ما كانوا من ذوي أنسابها ولا في بيوتاتها فأصبحنا والله ، ولو أن جبال مكة ذهبًا أنفقناها في سبيل الله ما أدركنا يومًا من أيامهم ، والله لئن فاتونا به في الدنيا لنلتمس أن نشاركهم في الآخرة فاتقى

الله امرؤ فعل » .

فتوجه رضي الله عنه إلى الشام واتبعه ثقله فأصيب شهيدًا ، وقد كان من شجاعته وهو يحمل على الكفار يرتجز بقوله :

إني بربي والنبي مؤمـــن والبعث من بعد الممات موقن

أقبح بشخص للحياة موطن

وكان رضي الله عنه يضرب به المثل في كرمه وسؤدده ومكانته بين الناس ، وقد قال الشاعر :

أظننت أن أباك يوم تسبني في المجد كان الحارث بن هشام

أولى قريش بالمكارم والندى في الجاهلية كان والإســـلام

فهؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ مع ما منَّ الله عليهم به من فضل الصحبة والمكانة العالية ، كانوا يتسابقون ويتنافسون في الدعوة إلى الله ، وفي طلب الشهادة والدار الآخرة ، فينبغي أن يكون لنا بهم أسوة ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب : ٢٣] ، رضي الله عنهم وأرضاهم، ومنَّ علينا جميعًا بالاقتداء والتأسي بهم.

ولا يخفى على الجميع طريقة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، وسر نجاح دعوته ، وهو صبره وصدقه ، ثم بسبب ذلك هيأ الله له الإمام محمد بن سعود ؛ ليشد عضده ويناصره ، حتى وصلت دعوته إلى ما هو معلوم الآن للجميع ، فالصبر أساس لكل عمل ، ولذلك ذكره الله في

القرآن في أكثر من تسعين موضعًا : ﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل:١٢٧-١٢٨] .

وما أحوج الداعي إلى الصبر وإلى الحلم والعلم ، فكمال العلم بالحلم، ولين الكلام مفتاح القلوب ، فيستطيع بحلمه وحسن أسلوبه أن يعالج أمراض النفوس ، وهو هادئ البال ، مطمئن الضمير،لا يستفزه الغضب ، ولا يستثيره الحمق ، فتنفر منه القلوب ، وتشمئز النفوس ، فلا يقبل منه ، وحسبنا قوله سبحانه : ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران:١٥٩].

ومن الأمور الأساسية للدعوة: أن يكون الداعي إلى الله على بصيرة تامة بما يدعو إليه ، ولا يتكلف القول بما لم يحط به علمًا ، وأن يكون على جانب من الورع ، بحيث إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم، ولا يستنكف من ذلك ، فإن أعلم الخلق ﷺ كثيرًا ما يسأل ، ويرجئ الجواب حتى يأتيه جبريل بالجواب من عند الله ، والصحابة رضي الله عنهم كانوا يتدافعون الفتوى ، وأئمة الإسلام أجابوا في أحوال كثيرة بلا أدري ، منهم الإمام مالك والإمام أحمد وغيرهم كثير ، فالداعية عندما يسأل عن شيء ، ولا يستحضر الحكم فيه ؛ ينبغي أن يؤخر الجواب حتى يراجع أقوال العلماء ، أو يبحث مع إخوانه في ذلك ؛ ليكون على بصيرة من دعوته ومن فتواه ، وأن تكون نيته وقصده خالصًا لوجه الله ، لا يقصد بذلك رياء ولا سمعة ولا ثناء من الناس، وينبغي أن تكون هذه الآية دوامًا في ذهنه ﴿ قُلْ

﴿ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ [يوسف: ١٠٨] ، فيكون على بصيرة بما يدعو إليه وعلى بصيرة في طريق الدعوة ، وكيف يوصلها إلى المدعو بأسلوب مقنع ، يتصيد فيها قلوب المدعوين ، فإن كثيرًا من المدعوين لا توجد عندهم الرغبة التامة في قبول الحق، ولكن بالمعالجة الحكيمة والأسلوب المقنع قد يحصل المقصود، والقرآن الكريم يرشد إلى ذلك في قوله سبحانه : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾ [النحل :١٢٥] ، ويقول عز وجل : ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾ [طه:٤٤].

ونختم هذه الرسالة بجملة من الأحاديث النبوية وبعض أقوال السلف الصالح في بيان كيفية الدعوة إلى الله تعالى ؛ لتكون منهجًا وطريقًا يهتدي به الداعية في دعوته إلى الله ، ولتكون دعوته على بصيرة امتثالاً لأمر الله تعالى ، وقد جمعتها من كتب أهل العلم الناصحين لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم ، نسأل الله أن ينفع بها ويجعلها عونًا لنا على حسن الدعوة إلى الله ، فمن هذه الأحاديث :

١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم

السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه » رواه مسلم.

٢ – وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة . رواه أبو داود واللفظ له والترمذي وحسنه .

٣ – وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « لا يستر عبد عبدًا في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة » رواه مسلم .

٤ – وعن دخين أبي الهيثم ، كاتب عقبة بن عامر رضي الله عنه ، قال : قلت لعقبة بن عامر : إن لنا جيرانًا يشربون الخمر ، وأنا داع الشرط ليأخذوهم ، فقال عقبة : ويحك ، لا تفعل ، ولكن عظهم وهددهم ، قال : إني نهيتهم ، فلم ينتهوا ، وإني داع الشرط ليأخذوهم ، فقال عقبة : ويحك ، لا تفعل ، فإني سمعت رسول الله ﷺ ، يقول : « من ستر عورة مؤمن ، فكأنما استحيى موءودة في قبرها » رواه أبو داود والنسائي بذكر القصة وبدونها، وابن حبان في صحيحه واللفظ له والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد .

٥ – وعن يزيد بن نعيم عن أبيه « أن ماعزًا أتى النبي ﷺ فأقر عنده أربع مرات فأمر برجمه ، وقال لهزال : لو سترته بثوبك كان خيرًا لك » رواه أبو داود والنسائي .

٦ - وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة ، ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته » رواه ابن ماجه بإسناد حسن .

٧ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : « صعد رسول الله ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع فقال : يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ، ولا تعيروهم ، ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله » .

قال : ونظر ابن عمر يوما إلى البيت أو إلى الكعبة فقال : «ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك» . رواه الترمذي.

٨ - وعن معاوية رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إنك إن اتبعت عورات المسلمين أفسدتهم ، أو كدت تفسدهم » . رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه .

٩ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قام أعرابي فبال في المسجد ، فقام إليه الناس ليقعوا به فقال النبي ﷺ : « دعوه وأريقوا على بوله سجلاً من ماء - أو ذنوبًا من ماء- فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين » رواه الجماعة إلا مسلمًا .

١٠ - وعن أنس بن مالك قال : بينما نحن في المسجد مع رسول الله

ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد ، فقال أصحاب رسول الله ﷺ : مه مه !! قال : فقال رسول الله ﷺ : « لا تزرموه ، دعوه » فتركوه حتى بال ، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه ، ثم قال : « إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر ، إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن » أو كما قال رسول الله ﷺ . قال : فأمر رجلا من القوم فجاء بدلو من ماء فشنه عليه . متفق عليه .

١١ – وعن معاوية بن الحكم السلمي ، قال : بينما أنا أصلي مع رسول الله ﷺ ، إذ عطس رجل من القوم ، فقلت : يرحمك الله ، فرماني القوم بأبصارهم ، فقلت : واثكل أمياه ، ما شأنكم تنظرون إلي ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم ، فلما رأيتهم يصمتونني لكني سكت ، فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي ، ما رأيت معلمًا قبله ولا بعده أحسن تعليمًا منه ، فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني ، قال : إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس ، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن ، أو كما قال رسول الله ﷺ . رواه مسلم .

فهذه الأحاديث كلها عن النبي ﷺ تبين لنا المنهج الشرعي في الدعوة إلى الله تعالى .

وإن مما يحسن بالداعي معرفته المنهج الصحيح في الفتيا ، والتحذير من القول على الله بغير علم ، وقد جاء في ذلك عن السلف أقوال كثيرة ، نذكر بعضها منها ، فمن ذلك :

قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه : من كان عنده علم فليعلمه

الناس ، وإن لم يعلم فلا يقولن ما ليس له بـه علـم ، فيكـون مـن المتكلفـين ويمرق من الدين .

وقال السفاريني رحمه الله : وإن دعا الإمام -أي السلطان الأعظم- العامة إلى شيء ، وأشكل عليهم ، سألوا أهل العلم ، فإن أفتوهم بوجوبه ، قاموا به ، وإن أخبروهم بتحريمه، امتنعوا منه، وإن قالوا : مختلف فيه ، وقال السلطان : يجب ، لزمهم طاعته ، كما يجب طاعته في الحكم . ذكره القاضي .

وقال الإمام ابن عقيل رحمه الله في معتقده : ومن لم يعلم أن الفعل الواقع من أخيه المسلم جائز شرعًا أم غير جائز،فلا يحل له أن يأمر أو ينهى. وكذا ذكره القاضي . وقد روي هذا عن الإمام أحمد رحمه الله .

وقال الإمام أحمد في رواية المروذي : لا ينبغي للفقيه أن يحمل الناس على مذهبه ، ولا يشدد عليهم .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (٢٢/ ٢٥٤) :

«وجمهور المتعصبين لا يعرفون من الكتاب والسنة إلا ما شاء الله، بل يتمسكون بأحاديث ضعيفة أو آراء فاسدة ، أو حكايات عن بعض العلماء والشيوخ ، قد تكون صدقًا ، وقد تكون كذبًا ، وإن كانت صدقًا فليس صاحبها معصومًا ، يتمسكون بنقل غير مصدق عن قائل غير معصوم ، ويدعون النقل المصدق عن القائل المعصوم ، وهو ما نقله الثقات الأثبات من أهل العلم ، ودونوه في الكتب الصحاح عن النبي ﷺ » اهـ.

وقال رحمه الله في الفتاوى (٢٢/ ٣٥٧) لما ذكر ذم الاختلاف والتنازع:

« الرابع : التفرق والاختلاف المخالف للاجتماع والائتلاف ، حتى يصير بعضهم يبغض بعضًا ويعاديه ، ويحب بعضًا ويواليه على غير ذات الله، وحتى يفضي الأمر ببعضهم إلى الطعن واللعن والهمز واللمز ، وبعضهم إلى الاقتتال بالأيدي والسلاح ، وببعضهم إلى المهاجرة والمقاطعة حتى لا يصلي بعضهم خلف بعض ، وهذا كله من أعظم الأمور التي حرمها الله ورسوله ﷺ»اهـ .

وقال حماد بن سلمة : إن صلة بن أشيم مر عليه رجل قد أسبل إزاره فهم أصحابه أن يأخذوه بشدة ، فقال : دعوني أنا أكفيكم ، فقال : يا ابن أخي إن لي إليك حاجة ، قال : وما حاجتك يا عم ؟ قال : أحب أن ترفع من إزارك ، فقال : نعم وكرامة ، فرفع إزاره ، فقال لأصحابه : لو أخذتموه بشدة ، لقال: لا ولا كرامة وشتمكم .

وقال محمد بن زكريا الغلابي : شهدت عبد الله بن محمد بن عائشة ليلة ، وقد خرج من المسجد بعد المغرب يريد منزله ، وإذا في طريقه غلام من قريش سكران ، وقد قبض على امرأة فجذبها، فاستغاثت فاجتمع الناس يضربونه ، فنظر إليه ابن عائشة فعرفه ، فقال للناس : تنحوا عن ابن أخي ، ثم قال : إلي يا ابن أخي ، فاستحى الغلام ، فجاء إليه فضمه إلى نفسه ، ثم قال له : امض معي ، فمضى معه حتى صار إلى منزله ، فأدخله الدار ، وقال لبعض غلمانه : بَيِّتْهُ عندك ، فإذا أفاق من سكره فأعلمه بما كان

منه، ولا تدعه ينصرف حتى تأتيني به ، فلما أفاق، ذكر له ما جرى فاستحيا منه ، وبكى ، وهم بالانصراف ، فقال الغلام : قد أمر أن تأتيه ، فأدخله عليه ، فقال له : أما استحييت لنفسك ؟ أما استحييت لشرفك ؟ أما ترى من ولدك؟ فاتق الله، وانزع عما أنت فيه، فبكى الغلام منكسًا رأسه، ثم رفع رأسه ، وقال : عاهدت الله تعالى عهدًا يسألني عنه يوم القيامة أني لا أعود لشرب النبيذ ولا لشيء مما كنت فيه ، وأنا تائب ، فقال : ادن مني ، فقبل رأسه ، وقال : أحسنت يا بني ، فكان الغلام بعد ذلك يلزمه ويكتب عنه الحديث ، وكان ذلك ببركة رفقه ، ثم قال : إن الناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويكون معروفهم منكرًا ، فعليكم بالرفق في جميع أموركم تنالون به ما تطلبون .

وقال الخليفة العباسي المأمون لما وعظه واعظ ، وعنف له في القول ، قال له : يا رجل ارفق فقد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شر مني ، وأمره بالرفق ، فقال تعالى : ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه: ٤٤].

وقيل للإمام العلامة ابن عقيل ، كما في الفنون : أسمع وصية الله عز وجل يقول : ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت :٣٤] ، وأسمع الناس يعدون من يظهر خلاف ما يبطن منافقًا ، فكيف لي بطاعة الله تعالى والتخلص من النفاق ؟ فقال : النفاق هو إظهار الجميل ، وإبطال القبيح ، وإضمار الشر ، مع إظهار الخير لإيقاع الشر، والذي تضمنته الآية إظهار الحسن في مقابلة القبيح لاستدعاء

الحسن. قال في الآداب : فخرج من هذه الجملة أن النفاق إبطان الشر ، وإظهار الحسن ؛ لإيقاع الشر المضمر ، ومن أظهر الجميل والحسن في مقابلة القبيح ليزول الشر فليس بمنافق،لكنه يستصلح، ألا تسمع إلى قوله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت :٣٤]، فهذا اكتساب استمالة ودفع عداوة وإطفاء لنيران الحقائد ، واستنماء الود وإصلاح العقائد . فهذا طلب المودات واكتساب الرجال .

نسأل الله سبحانه أن يمن علينا جميعًا بالإخلاص في القول والعمل والتوفيق لما يحبه ويرضاه . وصلى الله وسلم على خير خلقه وأفضل رسله وعلى آله وصحبه .

* * *

الفهرس



(٥)

الأدلة الشرعية

في

بيان حق الراعي والرعية

تأليف

سماحة الشيخ العلامة

محمد بن عبد الله السبيل رحمه الله

إمام وخطيب المسجد الحرام وعضو هيئة كبار العلماء وعضو المجمع الفقهي الإسلامي

(١٣٤٥ - ١٤٣٤هـ)

خرج نصوصه وأحاديثه

خالد بن قاسم الردادي



تقريظ الرسالة
للمفتي العام للمملكة العربية السعودية
سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، والصلاة والسلام على عبده ورسوله نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . أما بعد :

فقد اطلعت على ما كتبه الأخ الكريم معالي الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي : الشيخ محمد بن عبد الله ابن سبيل في بيان حق الراعي والرعية في مقاله الذي سماه : (الأدلة الشرعية في بيان حق الراعي والرعية) فألفيته مقالاً جيدًا في موضوعه ، قد أجاد فيه معاليه وأفاد، وأوضح في هذا الباب ما ينبغي إيضاحه .

فجزاه الله خيرًا ، وضاعف مثوبته ، وزاده من العلم والإيمان ، ونفع بكتابته هذه المسلمين ، إنه سميع قريب .

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه .

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

مفتي عام المملكة العربية السعودية

ورئيس هيئة كبار العلماء

وإدارة البحوث العلمية والإفتاء[1]

---

(١) ظهرت الطبعة الأولى من الكتاب عام ١٤١٤هـ ، وكانت وفاة سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز عام ١٤٢٠هـ رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته .

المقدمة

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، محمد وآله وصحبه .

وبعد : فهذه رسالة مختصرة في بيان حق ولاة الأمور على الرعية ، وحق الرعية على الولاة ، وما يجب لكل منهم من الحقوق ، وبيان ما عليه من واجبات ، وما حمل من أمانة ومسئوليات .

رأيت الحاجة إلى بيانها في هذا الزمن داعية ، والمصلحة في إظهارها مقتضية ، وذلك لما في قيام كل من الراعي والرعية بما أوجب الله عليهم من مصالح كثيرة للعباد والبلاد دينية ودنيوية .

نسأل الله تعالى أن ينفع بها، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، وزلفى لديه إلى جنات النعيم ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

محمد بن عبد الله السبيل

إمام وخطيب المسجد الحرام

الفصل الأول

حقوق الرعية

إن للإمامة الكبرى في الإسلام شأنًا عظيمًا، ومحلاً رفيعًا، فهي أعظم المناصب قدرًا، وأجلها فخرًا، وأشرفها علوًا ، فلها بين المناصب المحل الأسنى ، والمقام الأعلى ، والقدح المعلى .

وقد منح الإسلام للأئمة والحكام سلطات على الرعية، ووكل إليهم رعاية مصالح الأمة ، والقيام بشئون حياتهم الدينية والدنيوية وأوجب عليهم حقوقًا عظيمة ، ألزمهم القيام بها وأداءها كما فرضها.

فمن أخذ الإمامة والولاية بحقها ، وأدى حق الله تعالى فيها، كان من أسباب سعادته في الدنيا ، وفوزه في الأخرى.

وقد وعد الله عز وجل الولاة العادلين القائمين بالقسط بين الناس ، المنفذين لأمر الله في الرعية للتمكين في الأرض، والحفظ من كيد الكائدين ، وشر الأعداء الحاقدين.

كما وعدهم في الآخرة بالفضل العظيم ، والثواب الجزيل ، فقال سبحانه :

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [النور:٥٥] .

قال الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآية :

« هذا وعد من الله تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض ، أي : أئمة الناس والولاة عليهم ، وبهم تصلح البلاد ، وتخضع لهم العباد ، وليبدلنهم من بعد خوفهم من الناس أمنًا وحكمًا فيهم »[١] .

وقال العلامة الشوكاني في تفسيره :

« ذكر سبحانه الاستخلاف لهم أولاً ، وهو : جعلهم ملوكًا وذكر التمكين ثانيًا ، فأفاد ذلك أن هذا الملك ليس على وجه العروض والطروء ، بل على وجه الاستقرار والثبات ، بحيث يكون الملك لهم ولعقبهم من بعدهم »[٢] .

كما بين النبي ﷺ فضل الأئمة العدول ، وعظيم ثوابهم وجزائهم عند الله سبحانه وتعالى ، فمن ذلك :

ما روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ...» الحديث[٣] .

قال الإمام ابن حجر في فتح الباري تعليقًا على هذا الحديث :

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٣٠٠ .
(٢) فتح القدير للشوكاني ٤/ ٤٧ .
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأذان ، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة ، ٢/ ١٤٣، ومسلم في الزكاة ، باب فضل إخفاء الصدقة رقم ١٠٣١ .

« الإمام العادل المراد به : صاحب الولاية العظمى ، ويلتحق به كل من ولي شيئًا من أمور المسلمين فعدل فيه ، ويؤيده رواية مسلم من حديث عبد الله بن عمرو يرفعه : « إن المقسطين عند الله على منابر من نور ، عن يمين الرحمن، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا »[١] .

ومن أحسن ما فسر به العادل : أنه الذي يتبع أمر الله، بوضع الشيء في موضعه ، من غير إفراط ولا تفريط[٢] .

وروى مسلم في صحيحه عن عياض بن حمار رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط متصدق موفق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى، ومسلم عفيف متعفف ذو عيال»[٣] .

والمراد : بالسلطان المقسط : السلطان العادل في حكمه.

فعلى ولاة أمور المسلمين من الخلفاء والحكام والسلاطين ومن دونهم: أن يتقوا الله تعالى فيما ولاهم الله عليه من أمور الرعية ، وما حملهم من المسئوليات العظمى ، والأمانة الكبرى ، وأن يؤدوها كما فرضها الله سبحانه وتعالى دون إخلال أو تقصير ، فقد قال عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾ [النساء : ٥٨] .

---

(١) أخرجه مسلم في الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل رقم ١٨٢٧ .
(٢) فتح الباري ، ٢/ ١٤٤-١٤٥ .
(٣) أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها ، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ، رقم ٢٨٦٥ ضمن حديث طويل .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعليقًا على هذه الآية الكريم في كتابه (السياسة الشرعية) :

« قال العلماء : نزلت الآية في ولاة الأمور ، عليهم أن يؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل ... وإذا كانت الآية قد أوجبت أداء الأمانات إلى أهلها ، والحكم بالعدل ، فهذان جماع السياسة العادلة والولاية الصالحة »[١] .

فأعظم ما أوجب الله على ولاة أمور المسلمين :

إقامة دين الله فيهم، وأمرهم بالمعروف الذي أمر الله به، ونهيهم عن المنكر الذي نهى الله عنه ، كما قال سبحانه وتعالى في وصف الأئمة العدول الصالحين : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحج:٤١].

وقد ذكر ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية : (أن عمر بن عبد العزيز خطب وقرأ هذه الآية ، ثم قال : « ألا إنها ليست على الوالي وحده ، ولكنها على الوالي والمولى عليه ، ألا أنبئكم بما لكم على الوالي من ذلكم وبما للوالي عليكم منه: إن لكم على الوالي من ذلكم أن يأخذكم بحقوق الله عليكم ، وأن يأخذ لبعضكم من بعض ، وأن يهديكم للتي هي أقوم ما استطاع ، وأن عليكم من الطاعة غير المبزوزة، ولا المستكره بها ، ولا المخالف سرها علانيتها »)[٢] .

---

(١) السياسة الشرعية ص : ٦ .
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٢٢٦ .

كما أن من أعظم الواجبات على ولاة أمور المسلمين: تطبيق شرع الله على عباد الله ، والحكم بينهم بما أنزل الله ، ونبذ كل ما خالف ذلك من القوانين الوضعية ، والأحكام المخالفة للشريعة الإسلامية ، فقد قال الله سبحانه وتعالى آمرًا نبيه ﷺ بالحكم بما أنزل الله ، وهو أمر للأمة كافة :

﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [المائدة:٤٩] .

كما أنكر سبحانه وتعالى على الذين يحكمون بالأحكام الجاهلية المخالفة للشريعة الإسلامية المطهرة ، ويُعرضون عن حكم الله ؛ مبينًا سبحانه أنه لا أحسن ولا أعدل حكمًا على الإطلاق مما شرعه من الأحكام ، فهو أحكم الحاكمين ، وهو العليم بمصالح عباده ، وهو سبحانه الحكيم في أقواله ، وأفعاله ، وشرعه وقدره ، وقد قال سبحانه : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة : ٥٠] .

كما وصف الله عز وجل الذين لا يحكمون بما أنزل الله مرة بالكفر ، وتارة بالظلم ، وأخرى بالفسق ، محذرًا من عملهم ، وناهيًا عنه ، وكفى بهذه الأوصاف تحذيرًا وتنفيرًا، فقال عز وجل : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة : ٤٤].

وقال تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [المائدة : ٤٥] .

وقال سبحانه : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ

ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ [المائدة : ٤٧] .

ومما يجب على الولاة :

العدل بين الناس ، والمساواة بينهم في الحقوق ، تحقيقًا لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ﴾ [النساء:٥٨] فإن العدل بين الناس من أسباب استقامة أحوال الرعية ، وثبات الدولة ودوامها .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه (الحسبة):

« وأمور الناس تستقيم في الدنيا مع العدل ، الذي فيه الاشتراك في أنواع الإثم ، أكثر مما تستقيم مع الظلم في الحقوق ، وإن لم تشترك في إثم ؛ ولهذا قيل : « إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة ، ولا يقيم الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة » ، ويقال : « الدنيا تدوم مع العدل والكفر ، ولا تدوم مع الظلم والإسلام » .

وقد قال النبي ﷺ : « ليس ذنب أسرع عقوبة من البغي وقطيعة الرحم » [(١)] .

---

(١) أخرجه ابن المبارك في الزهد ، رقم ٧٢٤ ، والطيالسي في مسنده ، رقم ٨٨٠ ، وأحمد في المسند ٥/ ٣٦، ٣٨ ، والبخاري في الأدب المفرد ، رقم ٦٧ ، وأبو داود في الأدب ، باب في النهي عن البغي رقم ٤٩٠٢ ، والترمذي في صفة القيامة رقم ٢٥١١ ، وابن ماجة في الزهد ، باب البغي رقم ٤٢١١ ، وابن أبي الدنيا في ذم البغي رقم ١ ، وابن حبان في صحيحه ٢/ ٢٠٠-٢٠١ (الإحسان) والحاكم في مستدركه ٢/ ١٦٢-١٦٣، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠/ ٢٣٤ ، والبغوي في تفسيره ٤/ ١٧ ، وفي شرح السنة ١٣/ ٢٦ ، جميعهم من حديث أبي بكرة رضي الله عنه . قال الترمذي : (حديث حسن صحيح) ، وصححه ابن حبان، والحاكم ، ووافقه الذهبي والألباني في السلسلة الصحيحة رقم ٩١٨ .

فالباغي يصرع في الدنيا وإن كان مغفورًا له مرحومًا في الآخرة، وذلك أن العدل نظام كل شيء ، فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت ، وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق، ومتى لم تقم بعدل لم تقم،وإن كان لصاحبها من الإيمان بما يجزى به في الآخرة)[1] .

كما أن مما يجب على الولاة :

رعاية مصالح الناس، والاهتمام بشئونهم ، والتفقد لأحوالهم، والرفق بهم ، وتولية الأعمال للأمناء الأكفاء ، العدول الأخيار ، فالله عز وجل يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال:٢٧] .

فإن تولية الأعمال على اختلاف أنواعها للأمناء الأكفاء، الأصلح فالأصلح من الناس ؛ من أهم الواجبات على ولي الأمر .

ومن أهم مسئوليات ولي الأمر وواجباته :

المتابعة الدائمة ، والإشراف المستمر بطرق مختلفة ، ووسائل متنوعة ؛ لمن هم تحته من مسئولي الدولة ، للاطمئنان على قيام كل مسئول بما كلف به من أعمال على أكمل وجه ممكن ، ومن ظهر منه عجز أو تقصير ، أو خيانة أو إهمال لأمور الدولة ، أو عدم اهتمام برعاية المصلحة العامة أدبه وعزره بما يراه مناسبًا من عزل أو غيره ، واستبدله بغيره ممن فيه كفاءة وأمانة .

فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كثير المتابعة والمحاسبة

---

(١) الحسبة في الإسلام لابن تيمية ص ٩١ .

لأمرائه على البلدان ، وكان بعضهم من خيار الصحابة ومشاهيرهم، كسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وهو من العشرة المبشرين بالجنة، وكأبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، وأبي هريرة رضي الله عنه ، وغيرهم . ومع ذلك لم يمنعه فضلهم في الإسلام ، ومكانتهم بين المسلمين ، وما عرفوا به من صلاح وتقوى ، من محاسبتهم على أعمالهم، ومساءلتهم عنها ، والسؤال عنهم ، بل وعزل بعضهم عن أعمالهم حينما رأى المصلحة في ذلك ، كعزله سعد بن أبي وقاص عن إمارة الكوفة ، وتحريق قصره حينما أراد أن يحتجب فيه عن الناس ، وكعزله خالد بن الوليد عن إمارة جيش الشام ، واستبداله بأبي عبيدة بن الجراح ، وغيرهم ؛ وذلك لما يعلمه رضي الله عنه من وجوب متابعة ولي الأمر لمن هم تحته من الأمراء على البلدان، وغيرهم من مسئولي الدولة، وشكر من أحسن منهم فيما ولي من عمل، ومعاقبة من أساء أو قصر في عمله ، بعزل أو غيره .

فإن ذلك من أعظم الأسباب المعينة على إقامة العدل في الرعية، واستقرار أحوال العباد والبلاد .

ومما يجب على الولاة :

حفظ البلاد عن الأعداء ، وتأمين السبل ، ونشر الأمن والاستقرار في البلاد ، وغير ذلك من الواجبات الجسيمة ، والحقوق الكثيرة للرعية على ولاتهم ، مما أوجبه الله ورسوله ﷺ ، وألزمهم القيام بها ورعايتها للسير بالرعايا والبلاد نحو الرقي والعزة ، والسعادة في الدنيا ، والأخذ بأسباب الفوز والنجاة في الآخرة .

هذا ، وقد بين الفقهاء رحمهم الله الواجبات على ولاة أمور المسلمين ، من الخلفاء والملوك والسلاطين بالتفصيل ، وأوضحوها أحسن إيضاح ، بل وصنفوا فيها مصنفات خاصة ، وهي ما يعرف بكتب الأحكام السلطانية ، وبكتب السياسة الشرعية .

وقد بينوا رحمهم الله أنه يلزم الإمام من أمور الرعية إجمالاً عشرة أمور: ذكرها القاضي أبو يعلى في كتابه (الأحكام السلطانية) وهي :

الأول : حفظ الدين على الأصول التي أجمع عليها سلف الأمة، فإن زاغ ذو شبهة عنه بين له الحجة ، وأوضح له الصواب ، وأخذه بها يلزمه من الحقوق والحدود ، ليكون الدين محروسًا من الخلل ، والأمة ممنوعة من الزلل .

الثاني : تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين ، وقطع الخصام بينهم ، حتى تظهر النصفة ، فلا يتعدى ظالم ، ولا يضعف مظلوم .

الثالث : حماية البيضة ، والذب عن الحوزة ، ليتصرف الناس في المعايش ، وينتشروا في الأسفار آمنين .

الرابع : إقامة الحدود ؛ لتصان محارم الله عن الانتهاك، وتحفظ حقوق عباده من إتلاف واستهلاك .

الخامس : تحصين الثغور بالعدة المانعة ، والقوة الدافعة، حتى لا تظفر الأعداء بغرة ينتهكون بها محرمًا ، ويسفكون فيها دمًا لمسلم أو معاهد .

السادس : جهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة حتى يسلم أو يدخل

في الذمة .

السابع : جباية الفيء والصدقات على ما أوجبه الشرع نصًا واجتهادًا من غير عسف .

الثامن : تقدير العطاء ، وما يستحق في بيت المال ، من غير سرف ولا تقصير فيه ، ودفعه في وقته ، لا تقديم فيه ولا تأخير .

التاسع : استكفاء الأمناء ، وتقليد النصحاء ، فيما يفوضه إليهم من الأعمال ، ويكله إليهم من الأموال ، لتكون الأعمال مضبوطة ، والأموال محفوظة .

العاشر : أن يباشر بنفسه مشارفة الأمور ، وتصفح الأحوال ؛ ليهتم بسياسة الأمة ، وحراسة الملة ، ولا يعول على التفويض ؛ تشاغلاً بلذة أو عبادة ، فقد يخون الأمين ، ويغش الناصح . وقد قال الله تعالى: ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ ﴾ [ص:٢٦].

فلم يقتصر سبحانه على التفويض دون المباشرة ، وقد قال النبي ﷺ : « كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته»[(١)(٢)] .

فعلى ولاة أمور المسلمين : أن يتقوا الله تعالى في أنفسهم وأهليهم وما ولوا ، وأن يكونوا قدوة صالحة لرعاياهم ، حتى يسيروا على نهجه ،

---

(١) أخرجه البخاري في الاستقراض ، باب العبد راع في مال سيده ٥/ ٦٩ (مع الفتح) ومسلم في الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل رقم ١٨٢٩ من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٢) الأحكام السلطانية لأبي يعلى ص ٢٨ .

ويقلدوه في صالح أعماله ، فإنه إذا استقامت الولاة استقامت الرعية ، وإذا فسدت الولاة كثر الفساد في الرعية ، كما قيل : الناس على دين ملوكهم .

وباستقراء التاريخ الإسلامي نجد أنه كلما كان الخلفاء والملوك صالحين مستقيمين في أنفسهم ؛ انعكس ذلك على الرعية بالخير والاستقامة، والعكس بالعكس .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه (السياسة الشرعية) :

« ينبغي أن يعرف أن أولي الأمر كالسوق ، ما نفق فيه جلب إليه ، هكذا قال عمر بن العزيز، فإن نفق فيه الصدق، والبر ، والعدل ، والأمانة، جلب إليه ذلك، وإن نفق فيه الكذب والجور،والخيانة، جلب إليه ذلك »[(١)] .

ومما روي في ذلك :

أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لما دخل قصر كسرى ، بعد انتصاره على الفرس ، في وقعة القادسية ؛ أخذ كل ما في القصر ، وأرسله إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فلما وصلت إلى عمر أخذ يقلبها ، ويقول : « إن قومًا أدوا هذا لأمناء » فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « لقد عففت فعفت رعيتك ، ولو رتعت لرتعت » ، ثم قسم عمر ذلك في المسلمين[(٢)] .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « إن الناس لم يزالوا مستقيمين

---

(١) السياسة الشرعية ص ٤٠ .

(٢) انظر : مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، لابن الجوزي ص ٩١ ، عيون الأخبار ، لابن قتيبة ١/ ٥٢-٥٣ .

ما استقامت لهم أئمتهم وهداتهم »[١] .

وقال أيضًا رضي الله عنه : « الرعية مؤدية إلى الإمام ما أدى الإمام إلى الله ، فإن رتع الإمام رتعوا »[٢] .

وكان من سيرته رضي الله عنه ما ذكره سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه قال : كان عمر إذا أراد أن ينهى الناس عن شيء تقدم لأهله فقال : « لا أعلمن أحدًا وقع في شيء مما نهيت عنه إلا أضعفت له العقوبة »[٣] .

فعلى ولاة أمر المسلمين أن يحذروا من مخالفة شرع الله، ومن مغبة التقصير والإخلال فيما أوجب الله عليهم في أنفسهم ، وما أوجب عليهم من رعاية أمور الدولة ، والاهتمام بحقوق الرعية ، فقد ثبت عن النبي ﷺ التهديد البليغ ، والوعيد الشديد لمن ولي أمور المسلمين ، فلم يحطهم برعايته ، ولم ينصح لهم في ولايته ، ولم يقم بما أوجب الله عليه من حقوق وواجبات .

فمن ذلك : ما رواه البخاري ومسلم عن معقل بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ما من وال يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم ؛ إلا حرم الله عليه الجنة »[٤] .

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى : ٣/ ٢٩٢ ، والبيهقي ٨/ ٦٢ ، وابن عبد البر في جامع بيان العلم : ١/ ١٨٥ ، وقال السخاوي في تخريج أحاديث العادلين من الولاة ص ٧٨-٧٩ : وسنده صحيح .
(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٣/ ٢٩٢ .
(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٣/ ٢٨٩ .
(٤) أخرجه البخاري في الأحكام ، باب من استرعى رعية فلم ينصح ١٣/ ١٢٧ (مع الفتح) ، ومسلم في الإيمان ، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار رقم ١٤٢ .

قال ابن بطال تعليقًا على هذا الحديث ، كما في فتح الباري : «وهذا وعيد شديد على أئمة الجور ، فمن ضيع من استرعاه الله ، أو خانهم ، أو ظلمهم ، فقد توجه إليه الطلب بمظالم العباد يوم القيامة، فكيف يقدر على التحلل من ظلم أمة عظيمة !!»[١] .

وروى البخاري في صحيحه عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من عبد يسترعيه الله رعية ، فلم يحطها بنصحه ؛ لم يجد رائحة الجنة»[٢] .

وروى مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم فاشقق عليه ، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم فارفق به»[٣] .

وروى مسلم في صحيحه أيضًا عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ألا تستعملني ؟ قال : فضرب بيده على منكبي ، ثم قال : « يا أبا ذر إنك ضعيف ، وإنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزي وندامة ، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها »[٤] .

هذا ، ويحسن أن نختم هذا الفصل بكلام نفيس لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتابه (السياسة الشرعية)، بين فيه المقصود الشرعي من الولايات ، والواجب على الأئمة في ذلك ، وفضل أئمة العدل ، وخطر

---

(١) فتح الباري ١٣/ ١٢٨ .

(٢) أخرجه البخاري في الأحكام ، باب من استرعى رعية فلم ينصح ١٣/ ١٢٦-١٢٧(مع الفتح).

(٣) أخرجه مسلم في الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل رقم ١٢٨ .

(٤) أخرجه مسلم في الإمارة ، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة رقم ١٨٢٥ .

أئمة الجور والظلم على العباد والبلاد ؛ فقال رحمه الله :

(فالمقصود الواجب بالولايات : إصلاح دين الخلق ، الذي متى فاتهم خسروا خسرانًا مبينًا ، ولم ينفعهم ما نعموا به في الدنيا ، وإصلاح ما يقوم الدين إلا به من أمر دنياهم ، وهو نوعان : قسم المال بين مستحقيه ، وعقوبات المعتدين .

فمن لم يعتد أصلح له دينه ودنياه ، ولهذا كان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يقول : « إنما بعثت عمالي إليكم ليعلموكم كتاب ربكم وسنة نبيكم ، ويقيموا بينكم دينكم» .

فلما تغيرت الرعية من وجه ، والرعاة من وجه ، تناقضت الأمور ، فإذا اجتهد الراعي في إصلاح دينهم ودنياهم بحسب الإمكان ، كان من أفضل أهل زمانه ، وكان من أفضل المجاهدين في سبيل الله ، فقد روي : «يوم من إمام عدل أفضل من عبادة ستين سنة »[1] .

وفي مسند الإمام أحمد عن النبي ﷺ أنه قال : « أحب الخلق إلى الله إمام عادل ، وأبغضهم إليه إمام جائر »[2])[3] .

---

(١) جاء في هذا حديث مرفوع عن النبي ﷺ ، أخرجه الطبراني في الكبير ١١/ ٣٣٧ ، وفي الأوسط ، كما في مجمع البحرين ل ٢١٧ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٨/ ١٦٢ ، وفي شعب الإيمان ٦/ ١٩، وإسحاق بن راهويه في مسنده كما في نصب الراية للزيلعي ٤/ ٦٧ من حديث عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما . وقال المنذري في الترغيب ١/ ١٦٧ : رواه الطبراني في الكبير والأوسط وإسناده حسن . وانظر تخريج أحاديث العادلين من الولاة للسخاوي ص ٥٣-٥٨ .

(٢) أخرجه أحمد ٣/ ٢٢ ، ٥٥ ، والترمذي في الأحكام ، باب ما جاء في الإمام العادل رقم ١٣٢٩ ، وقال : حديث حسن غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وأبو نعيم في الحلية ١٠/ ١١٤ ، والبيهقي ١٠/ ٨٨ ، والبغوي في شرح السنة ١٠/ ٦٥ جميعهم من طريق عطية العوفي ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . وعطية بن سعد العوفي ضعيف مدلس، قال الذهبي في الكاشف ٢/ ٢٧ : ضعفوه . وانظر السلسلة الضعيفة للألباني رقم ١١٥٦ .

(٣) السياسة الشرعية ص ٣٠ .

ثم قال في موضع آخر من الكتاب المذكور :

(يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين إلا بها ، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع ؛ لحاجة بعضهم إلى بعض ، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس ، حتى قال النبي ﷺ : « إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم » رواه أبو داود من حديث أبي سعيد وأبي هريرة[١] .

وروى الإمام أحمد في المسند عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال : « لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمروا عليهم أحدهم »[٢] .

فأوجب ﷺ تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر تنبيهًا بذلك على سائر أنواع الاجتماع ، ولأن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ، ولا يتم ذلك إلا بقوة وإمارة ، وكذلك سائر ما أوجبه من : الجهاد، والعدل ، وإقامة الحج ، والجمع ، والأعياد ، ونصر المظلوم، وإقامة الحدود ، لا تتم إلا بالقوة والإمارة ، ولهذا روي : «إن السلطان ظل الله في الأرض »[٣] .

---

(١) أخرجه أبو داود في الجهاد ، باب في القوم يسافرون يؤمرون أحدهم رقم ٢٦٠٨ ، والبيهقي ٥/ ٢٥٧ من حديث أبي سعيد رضي الله عنه . وأخرجه أبو داود رقم ٢٦٠٩، والبيهقي ٥/ ٢٥٧ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . وهو حديث صحيح، انظر السلسلة الصحيحة رقم ١٣٢٢ ، وإرواء الغليل ٨/ ١٠٦ .

(٢) أخرجه أحمد ٢/ ١٧٧ .

(٣) جاء هذا مرفوعًا عن النبي ﷺ : أخرجه ابن أبي عاصم في السنة ٢/ ٤٩٢، والبيهقي في شعب الإيمان ٦/ ١٧ من حديث أبي بكرة رضي الله عنه . وحسنه الألباني في ظلال الجنة ، وفي السلسلة الصحيحة رقم ٢٢٩٧ . وانظر مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٥/ ٤٥-٤٦ ، والدرر المنتثرة للسيوطي ص ٨٢-٨٣ .

ويقال : « ستون سنة من إمام جائر أصلح من ليلة بلا سلطان» . والتجربة تبين ذلك .

ولهذا كان السلف كالفضيل بن عياض ، وأحمد بن حنبل وغيرهما يقولون : (لو كان لنا دعوة مجابة لدعونا بها للسلطان)[١] .

وقال النبي ﷺ : « إن الله يرضى لكم ثلاثًا : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم»رواه مسلم[٢] .

وقال ﷺ : « ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم : إخلاص العمل لله ، ومناصحة ولاة الأمور ، ولزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم» رواه أهل السنن[٣] .

---

(١) أما قول الفضيل بن عياض رحمه الله : فأخرجه ابن كامل في زيادته على شرح السنة للبربهاري رقم ١٣٦ ، والخلال في السنة رقم ٩ ، وأبو نعيم في الحلية ٨/ ٩١ . وأما قول الإمام أحمد رحمه الله ، فأخرجه حنبل بن إسحاق في محنة الإمام أحمد ص٧٤-٧٥، والخلال في السنة رقم١٤ نحوه.

(٢) أخرجه مسلم في الأقضية ، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة رقم ١٧١٥ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) جاء هذا من حديث عدد من الصحابة : فأخرجه الترمذي في العلم ، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع رقم ٢٦٥٨ ، وابن أبي عاصم في السنة ٢/ ٥١٧-٥١٨ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .
وأخرجه أحمد ٥/ ١٨٣ ، والدارمي رقم ٢٣٥ ، وابن ماجة في المقدمة ، باب من بلغ علمًا رقم ٢٣٠ وابن أبي عاصم في السنة ١/ ٤٥ ، ٢/ ٥١٨، وابن حبان ١/ ٢٧٠ الإحسان ، من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه.
وأخرجه أحمد ٤/ ٨٠-٨٢ ، وابن أبي عاصم ٢/ ٥١٦ ، وابن ماجة في المناسك ، باب الخطبة يوم النحر رقم ٣٠٥٦ ، والحاكم ١/ ٨٦-٨٧ من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه .
والحديث صحيح ، صححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي . وانظر مجمع الزوائد للهيثمي ١/ ١٣٧-١٣٩ ، وإتحاف السادة المتقين للزبيدي ١٠/ ٤٢-٤٣ .

وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال : « الدين النصيحة ، الدين النصيحة ، الدين النصيحة . قالوا : لمن يا رسول الله ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم »[1] .

فالواجب اتخاذ الإمارة دينًا وقربة يتقرب بها إلى الله ، فإن التقرب إليه فيها بطاعته وطاعة رسوله ﷺ من أفضل القربات ، وإنما يفسد فيها حال أكثر الناس لابتغاء الرئاسة أو المال بها .

ولما غلب على كثير من ولاة الأمور إرادة المال والشرف؛ صاروا بمعزل عن حقيقة الإيمان ، وكمال الدين .

ثم منهم : من غلب الدين وأعرض عما لا يتم الدين إلا به من ذلك .

ومنهم : من رأى حاجته إلى ذلك ، فأخذه معرضًا عن الدين ؛ لاعتقاده أنه مناف لذلك ، وصار الدين عنده في محل الرحمة والذل ، لا في محل العلو والعز .

وكذلك لما غلب على كثير من أهل الديانتين العجز والكسل عن تكميل الدين ، والجزع لما قد يصيبهم في إقامته من البلاء ، استضعف طريقتهم واستذلها من رأى أنه لا تقوم مصلحته ومصلحة غيره بها .

وهاتان السبيلان الفاسدتان : سبيل من انتسب إلى الدين ولم يكمله بما يحتاج إليه من السلطان والجهاد والمال ، وسبيل من أقبل على السلطان والمال والحرب ولم يقصد بذلك إقامة الدين . وهما سبيل المغضوب عليهم

---

(١) أخرجه مسلم في الإيمان ، باب بيان أن الدين النصيحة رقم ٥٥ من حديث تميم الداري رضي الله عنه .

والضالين . الأولى للضالين (النصارى) والثانية للمغضوب عليهم (اليهود) .

وإنما الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، هي سبيل نبينا محمد ﷺ ، وسبيل خلفائه وأصحابه ، ومن سلك سبيلهم ، وهم : السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان ، رضي الله عنهم ورضوا عنه ، وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا ذلك الفوز العظيم.

فالواجب على المسلم: أن يجتهد في ذلك بحسب وسعه. فمن ولي ولاية يقصد بها طاعة الله ، وإقامة ما يمكنه من دينه، ومصالح المسلمين ، وأقام فيها ما يمكنه من ترك المحرمات ، لم يؤاخذ بما يعجز عنه ، فإن تولية الأبرار خير للأمة من تولية الفجار .

ومن كان عاجزًا عن إقامة الدين بالسلطان والجهاد ، وفعل ما يقدر عليه من الخير لم يكلف ما يعجز عنه . فإن قوام الدين بالكتاب الهادي والحديث الناصر ، كما ذكره الله تعالى) انتهى كلامه رحمه الله[1] .

---

(١) السياسة الشرعية ص ١٧٦-١٨١ .

الفصل الثاني

حقوق الراعي

تمهيد :

إن دين الإسلام دين عدل وإنصاف في كل الأمور والمجالات، فكما أن على ولاة أمور المسلمين حقوقًا عظيمة، وواجبات جسيمة ، نحو القيام على الرعية بما يصلح أمور دينهم ودنياهم - كما سبق بيانه - فإن لولاة الأمور على الرعية حقوقًا أوجبها الإسلام ، وأكد على الاهتمام بها ، ورعايتها ، والقيام بها ، فإن مصالح الأمم والمجتمعات لا تتم ولا تنتظم إلا بالتعاون بين الآمر والمأمور ، وقيام كل بما يجب عليه من واجبات ، وأداء ما حمل من أمانة ومسئوليات.

ونظرًا لأهمية حقوق ولاة الأمور على الرعية ، وعظيم ما لهم من حقوق وواجبات ، اهتم أهل السنة والجماعة بإيضاحها وبيانها ، والتأكيد على رعايتها ، والقيام بها ، فمن مظاهر هذا الاهتمام :

أنهم نصوا على هذه الحقوق في كتب العقائد والتوحيد، وبينوا أن مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الأمر هو مقتضى ما دل عليه الكتاب والسنة ، من وجوب السمع والطاعة لولاة الأمور ، إلا أن يأمروا بمعصية، فإن أمروا بمعصية ، فلا طاعة لهم ؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

ويرون النصح والدعاء لهم ، وإعانتهم على الحق ، وتحريم الخروج عليهم ، ونزع الطاعة من أيديهم ، سواء كانوا أئمة عدولاً صالحين ، أم

كانوا من أئمة الجور والظلم، ما دام أنهم لم يخرجوا عن دائرة الإسلام ، فإن الصبر على جور الأئمة وظلمهم مع ما فيه من ضرر ، فإنه أخف ضررًا، وأيسر خطرًا من ضرر الخروج عليهم ، ولهذا جاء الأمر من الشارع بوجوب السمع والطاعة،وتحريم الخروج على الأئمة والولاة، وإن جاروا وظلموا ، إلا أن يرتكبوا كفرًا بواحًا .

كما نص أهل السنة والجماعة على أن من حقوق ولاة الأمور على الرعية : إجلالهم ، وتوقيرهم ، وتعظيمهم في النفوس ؛ لأن ذلك أوقع في هيبتهم ، حتى يحذرهم أهل الفسق والفجور .

كما حذر أهل السنة والجماعة من الوقيعة في أعراض الأئمة ، والتنقص لهم ، أو الدعاء عليهم ؛ لأن هذه الأمور من أسباب وجود الضغائن والأحقاد بين الولاة والرعية ، ومن أسباب نشوء الفتن والنزاع بين صفوف الأمة .

والواجب على المسلم : أن يسعى جهده في الإصلاح بين المؤمنين ، وجمع كلمة المسلمين ، والتأليف بين قلوبهم ، لا سيما إن كان من أهل العلم والدعوة ، أو ممن له تأثير على قومه ومجتمعه ، فإن الواجب عليه في ذلك أكبر ، والمسئولية عليه أعظم في الحرص على جمع كلمة المسلمين، وتوحيد صفوفهم، والعمل على حصول الألفة والمحبة بين الولاة والرعية ؛ لما فيه من نفع عظيم للإسلام والمسلمين .

فهذا مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة في حقوق ولاة الأمور على الرعية .

ويمكن إيضاح أهم حقوق الولاة على الرعية بالتفصيل على النحو التالي :

حق السمع والطاعة لولاة الأمور
وتحريم الخروج عليهم

وهذا أكبر الحقوق على الرعية ، وأعظم الواجبات عليهم نحو ولاة أمورهم ، ذلك أن الطاعة من أعظم الأسس والدعائم لانتظام أمور الدول والجماعات ، وتحقيق أهدافها ومقاصدها الدينية والدنيوية ؛ لأن الولاة لا بد لهم من أمر ونهي ، ولا يتحقق المقصود من الأمر والنهي إلا بالسمع والطاعة من الرعية ، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « لا إسلام بلا جماعة ، ولا جماعة بلا أمير ، ولا أمير بلا طاعة»[(١)] .

ولما خطب عمر بن عبد العزيز مبينًا حق الوالي والمولى عليهم ، قال في بيان حق الوالي على الرعية : « وإن عليكم من ذلك : الطاعة غير المبزوزة ، ولا المستكره بها ، ولا المخالف سرها علانيتها » .

فالواجب على كل فرد من أفراد الدولة : السمع والطاعة لولاة الأمور ، ما لم يأمروا بمعصية ؛ فإن أمروا بمعصية فلا طاعة لهم في المعصية؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ؛ ولقول النبي ﷺ: « إنما الطاعة في

(١) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم ١/ ٦٢ .

المعروف»[١].

كما أن على المسلم أن يتذكر أن طاعة ولاة الأمور من أجل الطاعات ، وأفضل القربات ، سواء كانوا أئمة عدولاً صالحين ، أم كانوا من أئمة الجور والظلم ، ما دام أنهم لم يخرجوا عن دائرة الإسلام ، فإن طاعتهم فيما يأمرون به ، وينهون عنه ، من طاعة الله ورسوله .

فعلى المسلم الامتثال والإذعان لما يأمرون به من المعروف ، وما ينهون عنه من المنكر؛ طلبًا لرضا الله سبحانه وتعالى ، وامتثالاً لأمره، ورجاء ثوابه، وحذرًا من عقوبة المخالفة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى: «فطاعة الله ورسوله واجبة على كل أحد ، وطاعة ولاة الأمور واجبة على كل أحد ، ومن كان لا يطيعهم إلا لما يأخذه من الولاية والمال، فإن أعطوه أطاعهم، وإن منعوه عصاهم ، فما له في الآخرة من خلاق »[٢] .

وما ذكر من وجوب السمع والطاعة لولاة الأمور ، أبرارًا كانوا أم فجارًا ، ما دام أنه لم ير منهم كفر بواح ، يخرجهم عن الإسلام ، هو مذهب أهل السنة والجماعة ، استنادًا للأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة ، كقوله سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ

(١) أخرجه البخاري في المغازي ، باب سرية عبد الله بن حذافة السهمي : ٨/ ٥٨ (مع الفتح) ، ومسلم في الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ، رقم ١٨٤٠ من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه .
(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٥/ ١٦-١٧ .

ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [النساء : ٥٩] .

فقد دلت هذه الآية الكريمة بصريح المنطوق على وجوب طاعة ولاة الأمور ، ووجوب طاعتهم تستلزم النهي عن عصيانهم ، إلا أن طاعتهم مقيدة بطاعتهم لله ورسوله ، فإن أمروا بما فيه معصية لله ولرسوله فلا طاعة لهم في ذلك .

قال الإمام ابن حجر في فتح الباري :

«قال الطيبي : أعاد الفعل في قوله:﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ﴾ إشارة إلى استقلال الرسول بالطاعة ، ولم يعده في أولي الأمر إشارة إلى أنه يوجد فيهم من لا تجب طاعته ، ثم بين ذلك في قوله : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ ﴾ كأنه قيل: فإن لم يعملوا بالحق ، فلا تطيعوهم ، وردوا ما تخالفتم فيه إلى حكم الله ورسوله »[1] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في منهاج السنة:

« إنهم – أي أهل السنة والجماعة – لا يجوزون طاعة الإمام في كل ما يأمر به ، بل لا يوجبون طاعته إلا فيما تسوغ طاعته فيه في الشريعة ، فلا يجوزون طاعته في معصية الله وإن كان إمامًا عادلاً ، فإذا أمرهم بطاعة الله أطاعوه ، مثل أن يأمرهم بإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والصدق ، والعدل، والحج ، والجهاد في سبيل الله ، فهم في الحقيقة إنما أطاعوا الله.

والكافر والفاسق إذا أمر بما هو طاعة لله لم تحرم طاعته ، ولا يسقط

---

(١) فتح الباري ١٣ / ١١١-١١٢ .

وجوبها ؛ لأمر ذلك الفاسق بها ، كما أنه إذا تكلم بحق ، لم يجز تكذيبه ، ولا يسقط وجوب اتباع الحق ؛ لكونه قد قاله فاسق »[١] .

هذا وقد جاءت السنة بتأكيد ما أمر الله به من طاعة أولي الأمر؛ حيث ورد الأمر بوجوب السمع والطاعة لولاة الأمور في غير معصية ، وتحريم الخروج عليهم ، وإن جاروا وظلموا ، إلا أن يرى منهم كفر بواح في أحاديث كثيرة ، فمن ذلك :

١ – ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية ؛ فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة »[٢] .

٢ – وروى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اسمعوا وأطيعوا ، وإن استُعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة »[٣] .

٣ – وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك، ومنشطك ومكرهك، وأثرة عليك »[٤] .

٤ – وروى البخاري ومسلم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه

---

(١) منهاج السنة ٣/ ٣٨٧ .
(٢) أخرجه البخاري في الأحكام ، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية ١٣/ ١٢١-١٢٢ (مع الفتح) ، ومسلم في الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية رقم ١٨٣٩ .
(٣) أخرجه البخاري في الأحكام ، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية ١٣/ ١٢١ (مع الفتح) .
(٤) أخرجه مسلم في الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية رقم ١٨٣٦ .

قال : « بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره ، وعلى أثرة علينا ، وعلى ألا ننازع الأمر أهله ، وعلى أن نقول الحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم » وفي رواية لمسلم : «إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم فيه من الله برهان»[1] .

٥ – وروى مسلم في صحيحه عن وائل بن حجر رضي الله عنه قال : سأل سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله ﷺ فقال : يا نبي الله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ، ويمنعونا حقنا ، فما تأمرنا ؟ فأعرض عنه ، ثم سأله، فقال رسول الله ﷺ : « اسمعوا وأطيعوا ، فإنما عليهم ما حملوا ، وعليكم ما حملتم »[2] .

٦ – وروى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها . قالوا : يا رسول الله ، كيف تأمر من أدرك منا ذلك ؟ قال: تؤدون الحق الذي عليكم ، وتسألون الله الذي لكم »[3] .

٧ – ورويا أيضًا عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « من رأى من أميره شيئًا فليصبر ، فإنه من خرج من السلطان

(١) أخرجه البخاري في الأحكام ، باب كيف يبايع الإمام الناس : ١٣/ ١٩٢ (مع الفتح) ، ومسلم في الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية رقم ١٠٧٩ .
(٢) أخرجه مسلم في الإمارة ، باب في طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق رقم ١٨٤٦ .
(٣) أخرجه البخاري في الفتن ، باب قول النبي ﷺ : « سترون بعدي أمورًا تنكرونها » ١٣/ ٥ (مع الفتح) ، ومسلم في الإمارة ، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول رقم ١٨٤٣ .

شبرًا ، مات ميتة جاهلية »[١] .

٨ – وروى مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من خلع يدًا من طاعة لقي الله يوم القيامة ، ولا حجة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية »[٢] .

٩ – وروى مسلم في صحيحه عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: « قلت : يا رسول الله إنا كنا بشر ، فجاء الله بخير، فنحن فيه ، فهل من وراء هذا الخير شر؟ قال : نعم، قلت : وهل من وراء ذلك الشر خير ؟ قال: نعم ، قلت: فهل من وراء ذلك الخير شر ؟ قال : نعم ، قلت: كيف ؟ قال : يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي، ولا يستنون بسنتي ، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس، قال: قلت : كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع للأمير ، وإن ضرب ظهرك ، وأخذ مالك ، فاسمع وأطع »[٣] .

فقد دلت هذه الأحاديث الصحيحة وغيرها كثير على وجوب السمع والطاعة لولاة الأمور في غير معصية،وتحريم الخروج عليهم، ونزع الطاعة من أيديهم ، وإن جاروا وظلموا ، إلا أن يرى منهم كفر بواح .

كما يجب التنبيه إلى أن عدم طاعتهم في المعصية لا يعني عدم طاعتهم مطلقًا ، وإنما المقصود عدم طاعتهم في الأمر الذي فيه معصية بخصوصه ،

---

(١) أخرجه البخاري في الفتن ، باب قول النبي ﷺ : « سترون بعدي أمروًا تنكرونها » ١٣/ ٥(مع الفتح) ، ومسلم في الإمارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين رقم ١٨٤٩ .
(٢) أخرجه مسلم في الإمارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين رقم ١٨٥١ .
(٣) أخرجه مسلم في الإمارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين رقم ١٨٤٧ .

مع وجوب السمع والطاعة فيما عدا ذلك ، كما هو ظاهر الأحاديث .

وعلى ما ذكر جرى اعتقاد وعمل السلف الصالح رضوان الله عليهم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة الإسلام المتبوعين ، وغيرهم من العلماء المشهورين .

فمما جاء عن الصحابة في ذلك :

- ما روى الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : « حق على الإمام أن يحكم بما أنزل الله ، وأن يؤدي الأمانة ، فإذا فعل ذلك فحق على الناس أن يسمعوا له ، ويطيعوا ، ويجيبوه إذا دعا »[(١)] .
- وقال أيضًا : « إن الناس لا يصلحهم إلا إمام بر أو فاجر ، إن كان فاجرًا عبد المؤمن فيها ربه ، وحمل الفاجر فيها إلى أجله»[(٢)] .
- وروى مسلم في صحيحه : أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما جاء إلى عبد الله بن مطيع ، لما خرج على يزيد ابن معاوية في زمن الحرة ، منكرًا عليه خروجه عن طاعة الخليفة ، فلما جاءه قال عبد الله بن مطيع : اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة ، فقال : إني لم آتك لأجلس ، أتيتك لأحدثك حديثًا ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من خلع يدًا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له ، ومن مات ليس في عنقه

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ٥/ ١٤٥ .

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ٦٥ ، وانظر جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ٢/ ١١٧ .

بيعة مات ميتة جاهلية »[١] .

فقد أنكر ابن عمر رضي الله عنهما على ابن مطيع خروجه على الخليفة يزيد بن معاوية ، مع ما كان عليه يزيد بن معاوية .

كما أنه قد تولى الخلافة والإمارة على بعض البلدان في عهد الصحابة وهم متوافرون بعض الخلفاء والأمراء الذين فيهم شيء من الظلم والجور أو الفسق ، مثل يزيد بن معاوية، ومروان بن الحكم ، والوليد بن عقبة ، والحجاج بن يوسف ، وغيرهم ، ومع ذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم ، كابن عمر ، وابن مسعود ، وأنس بن مالك ، وهم من فضلاء الصحابة وخيارهم ، يسمعون لهم ، ويطيعون في المعروف ، ويصلون خلفهم الجمع والأعياد ، ولم يأمروا الناس بالخروج عليهم،ونزع الطاعة من أيديهم، بسبب ما هم عليه من الجور، والظلم ، أو الفسق ، الذي لم يخرجهم عن الإسلام ، بل كانوا يحثون الناس على السمع والطاعة لهم في المعروف ، والصبر على ما ينالهم من ظلم وجور ، لما يعلمونه رضي الله عنهم ، من وجوب السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين،وإن جاروا، وظلموا ، وحرصًا على جمع كلمة المسلمين ، واعتصامهم ، والتأليف بين قلوبهم ، ودرءًا لفتن أعظم من فتنة ظلم الولاة وجورهم.

وأما الأئمة من بعدهم :

فقد نقل عنهم الكثير في هذا الباب ، أخذًا بالأدلة السابقة ، وعملاً بها ، فمن ذلك : ما قاله التابعي الجليل الإمام الحسن البصري رحمه الله :

---

(١) مضى تخريجه ص ٤٥ .

«الأمراء يلون من أمورنا خمسة : الجمعة ، والجماعة ، والعيد ، والثغور ، والحدود ، والله ما يستقيم الدين إلا بهم وإن جاروا ، وظلموا ، والله لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون»[1] .

ومِن أكثر من روي عنه في ذلك ، إمام أهل السنة الجماعة أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ، حيث حصل في زمنه امتحان الخلفاء للناس بالقول بخلق القرآن ، فامتنع الإمام أحمد من إجابتهم ، وأبى أن يقول ما أرادوا من القول بخلق القرآن ، وعارضهم في ذلك ، مبينًا الحق الذي يعتقده، وهو أن القرآن كلام الله ، منـزل غير مخلوق.

ومع ذلك كان ملتزمًا لهم بالطاعة ، معترفًا لهم بالولاية، ويحث الناس على السمع والطاعة لهم في المعروف، وربما دعا لهم ، كما ذكره عنه حنبل بن إسحاق في كتابه محنة الإمام أحمد[2] .

كما ذكر أيضًا أن الواثق لما أظهر القول بخلق القرآن ، جاء نفر من فقهاء بغداد إلى الإمام أحمد ، فقالوا : يا أبا عبد الله إن هذا الأمر قد فشا وتفاقم - يعنون القول بخلق القرآن- وهذا الرجل يفعل ويفعل ، وقد أظهر ما أظهر ، ونحن نخافه على أكثر من هذا ، فقال لهم أبو عبد الله : فماذا تريدون ؟ ، قالوا : أتيناك لنشاورك فيما نريد ، قال : فماذا تريدون ؟ قالوا : ألا نرضى بإمرته ولا سلطانه ، فناظرهم أبو عبد الله ساعة حتى قال لهم : «فماذا يضركم إن لم يتم هذا الأمر ، أليس قد صرتم من ذلك إلى المكروه ؟

---

(١) ذكره ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم ٢/ ١١٧ .
(٢) انظر كتاب محنة الإمام أحمد ، لحنبل بن إسحاق ، ص ٧١، ٧٥ ، ٧٦ .

عليكم النكرة بقلوبكم ، ولا تخرجوا يدًا من طاعة ، ولا تشقوا عصا المسلمين معكم ، ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين، انظروا في عاقبة أمركم ، ولا تعجلوا ، واصبروا حتى يستريح بركم ، أو يستراح من فاجركم » .

ودار بينهم في ذلك كلامًا كثيرًا لم أحفظه .

واحتج عليهم أبو عبد الله بهذا ، فقال بعضهم : إنا نخاف على أولادنا إذا ظهر هذا لم يعرفوا غيره، ويمحوا الله الإسلام ، ويدرس. فقال أبو عبد الله : « كلا إن الله عز وجل ناصر دينه ، وإن هذا الأمر له رب ينصره ، وإن الإسلام عزيز منيع » ، فخرجوا من عند أبي عبد الله ، ولم يجبهم إلى شيء مما عزموا عليه ، فلما انصرفوا دخلت أنا وأبي على أبي عبد الله، فقال أبو عبد الله لأبي : (يا أبا يوسف ، هؤلاء قوم قد أشرب قلوبهم ، ما يخرج منها فيما أحسب ، فنسأل الله السلامة ، ما لنا ولهذا الأمر ، وما أحب لأحد أن يفعل هذا ، فقلت له : يا أبا عبد الله وهذا عندك صواب – يعني الخروج على الواثق ؟- قال : لا، هذا خلاف الآثار التي أُمرنا فيها بالصبر ، ثم قال أبو عبد الله: قال النبي ﷺ : « إن ضربك فاصبر ، وإن حرمك فاصبر » .

وقال المروزي : سمعت أبا عبد الله ، وذكر له السنة والجماعة والسمع والطاعة ، فحث على ذلك ، وأمر به ، وقال: السمع والطاعة ما لم يؤمر بمعصية .

وقال : سمعت أبا عبد الله وذكر الخليفة المتوكل رحمه الله ، فقال ك

إني لأدعو له بالصلاح والعافية ، وقال : سمعت أبا عبد الله يأمر بكف الدماء ، وينكر الخروج إنكارًا شديدًا . وذكر أبو عبد الله الحسن بن صالح، فقال : كان يرى السيف ، ولا نرضى مذهبه .

وقال أبو الحارث الصائغ : سألت أبا عبد الله في أمر كان حدث ببغداد ، وهم قوم بالخروج ، فقلت : يا أبا عبد الله، ما تقول في الخروج مع هؤلاء ؟ فأنكر ذلك عليهم ، وجعل يقول : سبحان الله ، الدماء ، الدماء ، لا أرى ذلك، ولا آمر به ، الصبر على ما نحن فيه خير من الفتنة ، يسفك فيها الدماء ، ويستباح فيها الأموال ، وينتهك فيها المحارم ، أما علمت ما كان الناس فيه – يعني أيام الفتنة ؟ – قلت : والناس اليوم أليسوا هم في فتنة يا أبا عبد الله؟ قال: وإن كان، فإنما هي فتنة خاصة ، فإذا وقع السيف عمت الفتنة ، وانقطعت السبل ، الصبر على هذا ، ويسلم لك دينك خير لك . ورأيته ينكر الخروج على الأئمة ، قال : الدماء ، الدماء ، لا أرى ذلك ولا آمر به .

وقال عبدوس بن مالك : سمعت أحمد يقول : « ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين ، وقد كان الناس اجتمعوا عليه ، وأقروا له بالخلافة بأي وجه كان ، بالرضا أو الغلبة ، فقد شق هذا الخارج عصى المسلمين ، وخالف الآثار عن رسول الله ﷺ ، فإن مات الخارج مات ميتة جاهلية ، ولا يحل قتال السلطان ، ولا الخروج عليه لأحد من الناس ، فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق » .

وقد ذكر هذه الأقوال عن الإمام أحمد وغيرها ، الخلال في كتابه

السنة[١] .

وقال الإمام ابن حجر في فتح الباري : « وكان الإمام أحمد يكره تحديث الأحاديث التي ظاهرها الخروج على السلطان »[٢] .

وعقد الإمام اللالكائي ، المتوفى سنة ٤١٨هـ ، في كتابه السنة[٣] فصلاً في سياق ما روي عن السلف من أمور الاعتقاد، والحث على التمسك بها ، والوصية بحفظها ، ومنها اعتقادهم وجوب السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين، أبرارًا كانوا أم فجارًا، ونقل في هذا الباب اعتقاد كثير من أئمة السلف رحمهم الله ، فمن ذلك :

- اعتقاد الإمام سفيان الثوري رحمه الله ، وجاء فيه قوله لأحد تلاميذه : « يا شعيب : لا ينفعك ما كتبت حتى ترى الصلاة خلف كل بر وفاجر ، والجهاد ماض إلى يوم القيامة ، والصبر تحت لواء السلطان ، جَارَ أم عَدَلَ » .

- ثم ذكر اعتقاد الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ، وفيه : «والسمع والطاعة للأئمة ، وأمير المؤمنين ، البر والفاجر ، ومن ولي الخلافة ، فاجتمع الناس عليه ورضوا به ، والغزو ماض مع الأمراء إلى يوم القيامة ، البر والفاجر ، لا يترك ، وقسمة الفيء ، وإقامة الحدود إلى الأئمة ماض ، ليس لأحد أن يطعن عليهم ، ولا ينازعهم» .

---

(١) السنة للخلال ص ٧٣-٨٩ .
(٢) فتح الباري ١/ ٢٢٥ .
(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ص ١٥١-١٧٦ .

- وذكر اعتقاد الإمام علي بن المديني رحمه الله ، وفيه:

« ثم السمع والطاعة للأئمة ، وأمراء المؤمنين ، البر والفاجر ، ومن ولي الخلافة بإجماع الناس ورضاهم ، لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ليلة إلا عليه إمام ، برًا كان أو فاجرًا ، فهو أمير المؤمنين ، والغزو مع الأمراء ماض إلى يوم القيامة ، البر والفاجر ، لا يترك ، وقسمة الفيء، وإقامة الحدود للأئمة ماضية ، ليس لأحد أن يطعن عليهم ، ولا ينازعهم ، ودفع الصدقات إليهم جائزة نافذة ، قد برأ من دفعها إليهم ، وأجزأت عنه، برًا كان أو فاجرًا ، وصلاة الجمعة خلفه وخلف من ولاه جائزة ، قائمة ركعتان، من أعادها فهو مبتدع تارك للإيمان ، مخالف ، وليس له من فضل الجمعة شيء ؛ إذا لم ير الجمعة خلف الأئمة من كانوا، برهم وفاجرهم ، والسنة أن يصلوا خلفهم، لا يكون في صدورهم حرج من ذلك ، ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين ، وقد اجتمع عليه الناس ، فأقروا له بالخلافة بأي وجه كانت ، برضى كانت أو بغلبة، فهو شاق هذا الخارج عليه العصى ، وخالف الآثار عن رسول الله ﷺ، فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية ، ولا يحل قتال السلطان ، ولا الخروج عليه لأحد من الناس ، فمن عمل ذلك فهو مبتدع على غير السنة » .

ثم ذكر الإمام اللالكائي قول الإمام البخاري رحمه الله: «لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم : أهل الحجاز ، مكة والمدينة ، والكوفة ، والبصرة ، وواسط ، وبغداد ، والشام ، ومصر ، لقيتهم كرّات ... وأدركتهم وهم متوافرون منذ أكثر من ست وأربعين سنة ... وأنهم كلهم

يعتقدون هذه العقيدة ، ثم سردها ، وفيها :

« وأن لا ننازع الأمر أهله ؛ لقول النبي ﷺ : « ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم : إخلاص العمل لله ، وطاعة ولاة الأمر ، ولزوم جماعتهم ؛ فإن دعوتهم تحيط من ورائهم»[(١)] » .

كما ذكر اعتقاد الإمام أبي زرعة الرازي ، وأبي حاتم الرازي ، وجماعة من السلف ، وفيه :

« ونقيم فرض الجهاد والحج مع أئمة المسلمين في كل دهر وزمان ، ولا نرى الخروج على الأئمة ، ولا القتال في الفتنة ، ونسمع ونطيع لمن ولاه الله عز وجل أمرنا ، ولا ننزع يدًا من طاعة ، ونتبع السنة والجماعة ، ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة » .

وقال الإمام أبو عثمان الصابوني، المتوفى سنة ٤٩٩هـ ، في كتابه عقيدة أصحاب الحديث :

« ويرى أصحاب الحديث : الجمعة والعيدين وغيرهما من الصلوات خلف كل إمام مسلم ، برًا كان أو فاجرًا ، ويرون الدعاء لهم بالتوفيق والصلاح ، ولا يرون الخروج عليهم ، وإن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحيف »[(٢)] .

وقال الإمام أبو بكر الإسماعيلي ، المتوفى سنة ٣٧١هـ في كتابه اعتقاد أهل الحديث :

---

(١) مضى تخريجه .
(٢) عقيدة أصحاب الحديث ، للصابوني ، ص ١٠٦ ، الطبعة الثانية ، تحقيق بدر البدر .

« ويرون الصلاة والجمعة وغيرها خلف كل إمام مسلم، برًا كان أو فاجرًا ، فإن الله عز وجل فرض الجمعة، وأمر بإتيانها فرضًا مطلقًا ، مع علمه تعالى بأن القائمين يكون منهم الفاجر والفاسق ، ولم يستثن وقتًا دون وقت ، ولا أمرًا بالنداء للجمعة دون أمر ، ويرون جهاد الكفار معهم وإن كانوا جورة ، ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والعطف إلى العدل ، ولا يرون الخروج بالسيف عليهم ، ولا القتال في الفتنة »[1] .

وقال الإمام الطحاوي رحمه الله في عقيدته :

« ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا ، وإن جاروا ، ولا ندعو عليهم ، ولا ننـزع يدًا من طاعتهم ، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة ، ما لم يأمروا بمعصية ، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة » .

قال شارح الطحاوية رحمه الله بعد سوقه الأدلة الدالة على وجوب السمع والطاعة لولاة الأمور :

« فقد دل الكتاب والسنة على وجوب طاعة أولي الأمر، ما لم يأمروا بمعصية ، فتأمل قوله تعـالى : ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ كيف قال : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ ، ولم يقل : وأطيعوا أولي الأمر منكم ؛ لأن أولي الأمر لا يفردون بالطاعة ، بل يطاعون فيما هو طاعة لله ورسوله ، وأعاد الفعل مع الرسول للدلالة على أن من أطاع الرسول ، فقد أطاع الله، فإن الرسول لا يأمر بغير طاعة الله ، بل هو معصوم في ذلك ، وأما ولي الأمر فقد يأمر بغير طاعة الله ، فلا يطاع إلا فيما هو طاعة لله

(١) اعتقاد أئمة الحديث ص ٧٥-٧٦ ، تحقيق د. محمد الخميس .

ورسوله، وأما لزوم طاعتهم وإن جاروا ؛ فلأنه يترتب على الخروج من طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم ، بل في الصبر على جورهم تكفير السيئات ، ومضاعفة الأجور ، فإن الله تعالى ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا ، والجزاء من جنس العمل ؛ فعلينا الاجتهاد بالاستغفار والتوبة وإصلاح العمل ، قال تعالى : ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٌ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَـٰذَا ۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ ۗ ﴾ [آل عمران : ١٦٥] . وقوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٩] .

فإذا أراد الرعية أن يتخلصوا من ظلم الأمير، فليتركوا الظلم، وقال مالك بن دينار : إنه جاء في بعض كتب الله : « أنا الله مالك الملك ، قلوب الملوك بيدي ، فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة ، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة ، فلا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك ، ولكن توبوا أعطفهم عليكم»[١] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى :

« وأما أهل العلم والدين والفضل فلا يرخصون لأحد فيما نهى الله عنه من معصية ولاة الأمور ، وغشهم ، والخروج عليهم بوجه من الوجوه، كما قد عرف من عادات أهل السنة والدين قديمًا وحديثًا ، ومن سيرة غيرهم »[٢] .

وقال الإمام النووي في شرحه لمسلم :

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٥٤٢-٥٤٤ ط د. التركي .
(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٥/ ١٢ .

« وأما الخروج عليهم – يعني الأئمة – وقتالهم ؛ فحرام بإجماع المسلمين ، وإن كانوا فسقة ظالمين ، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته ، وأجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق . وسبب عدم انعزاله، وتحريم الخروج عليه، ما يترتب على ذلك من الفتن وإراقة الدماء ، وفساد ذات البين ؛ فتكون المفسدة في عزله أكثر منها في بقائه »[١] .

ونقل ابن حجر في فتح الباري عن ابن بطال قوله :

« وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب، والجهاد معه، وأن طاعته خير من الخروج عليه ، لما في ذلك من حقن للدماء وتسكين الدهماء ... ولم يستثنوا من ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح »[٢] .

وقد سار على هذا المعتقد ، ونهج هذا المنهج ؛ علماء نجد الأعلام ، من عهد الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله إلى يومنا هذا .

وقد جاء في كتاب (الدرر السنية في الأجوبة النجدية) رسائل كثيرة لعدد من علماء نجد المعروفين ، وفقهائها المشهورين ، بينوا فيها وجوب السمع والطاعة لولاة الأمور، والسير على معتقد أهل السنة والجماعة في ذلك . وقد رأينا نقل بعض رسائل علماء نجد في منتصف القرن الرابع عشر الهجري ؛ لأنه ظهر في ذلك الوقت فئة من الناس أظهروا بعض المخالفة لولي الأمر ، وحصل منهم افتيات عليه في بعض الأمور والتصرفات ،

---

(١) شرح مسلم للنووي ١٢/ ٢٢٩ .
(٢) فتح الباري ١٣/ ٧ .

فأنكر العلماء عليهم ذلك أشد الإنكار، وكتبوا في ذلك الرسائل الكثيرة، والنصائح المتكررة؛ أوضحوا فيها ما يجب على الرعية من السمع والطاعة لولي الأمر ، وتحريم معصيته إلا أن يأمر بمعصية ، وتحريم الخروج عليه ، ونزع الطاعة من يده ، وحذروا من مغبة مخالفة هذا المنهج القويم، والمسلك الرشيد، الذي سار عليه الصحابة ، والتابعون ، ومن بعدهم من أئمة أهل السنة والجماعة في مختلف العصور .

فمن تلك الرسائل التي وردت في الكتاب المذكور :

- رسالة العلامة الشيخ : عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ ، حيث قال رحمه الله بعد سوقه الأدلة الدالة على وجوب السمع والطاعة لولاة الأمور :

« وبهذه الأحاديث وأمثالها عمل أصحاب رسول الله ﷺ بها ، وعرفوا أنها من الأصول التي لا يقوم الإسلام إلا بها، وشاهدوا من يزيد بن معاوية والحجاج ، ومن بعدهم – خلا الخليفة الراشد عمر ابن عبد العزيز – أمورًا ظاهرة ليست خفية ، ونهوا عن الخروج عليهم ، والطعن فيهم ، ورأوا أن الخارج عليهم خارج عن دعوة المسلمين إلى طريقة الخوارج .

ولهذا لما حج ابن عمر رضي الله عنهما مع الحجاج وطعن في رجله ، قيل له : أنبايعك على الخروج على الحجاج وعزله ؟ – وهو أمير من أمراء عبد الملك بن مروان – غلظ الإنكار عليهم ، وقال : «لا أنزع يدًا من طاعة» واحتج عليهم بالحديث الذي تقدم ذكره .

فإذا فهمتم ذلك فاشكروا نعمة الله عليكم بها من به من إمامة إسلامية ، تدعوكم إليه ظاهرًا وباطنًا ، مما سمعتم وصدقه الفعل ، من بذل المال ، والسلاح ، والقوة ، وإعانة المهاجر لأجل دينه ، لا لقصد سوى ذلك، يعرف ذلك من عرفه ، ولا يجحده إلا منافق فارق بقلبه ونيته ما اعتقده المسلمون وقاموا به .

وأما الطعن على العلماء ، فالخطأ ما يعصم منه أحد ، والحق ضالة المؤمن ، فمن كان عنده علم يقتضي الطعن فليبين لهم جهارًا ، ولا يخاف في الله لومة لائم ، حتى يعرفوا حقيقة الطعن وموجبه .

واحذروا التمادي في الضلالة ، والخروج عن الجماعة، فالحق عيوف ، والباطل شنوف ، والشيطان متكئ على شماله ، يدأب بين الأمة بالعداوة والشحناء ، عياذًا بالله من فتنة جاهل مغرور ، أو خديعة فاجر ذي دهى وفجور ، يميل به الهوى ، ويزين له الشيطان طريق الغواية والردى ... »[1] .

- وقال الشيخ محمد عبد اللطيف آل الشيخ ، والشيخ سعد بن حمد ابن عتيق ، والشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري ، والشيخ عمر بن محمد ابن سليم ، والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ؛ في رسالة كتبوها في بيان خطر القول على الله بلا علم ، وبيان حقوق الراعي والرعية ، والحث على الاعتصام ، والنهي عن الفرقة والاختلاف . فمما جاء في هذه الرسالة قولهم رحمهم الله بعد سياق الأدلة الدالة على وجوب السمع والطاعة ، ونقل كلام بعض العلماء في ذلك :

---

(١) الدرر السنية ٧/ ٢٧٦-٢٧٧ .

« إذا فهم ما تقدم من النصوص القرآنية والأحاديث النبوية ، وكلام العلماء المحققين ؛ في وجوب السمع والطاعة لولي الأمر ، وتحريم منازعته ، والخروج عليه ، وأن المصالح الدينية والدنيوية لا انتظام لها إلا بالإمامة والجماعة؛ تبين أن الخروج عن طاعة ولي الأمر، والافتيات عليه بغزو أو غيره؛ معصية ، ومشاقة لله ورسوله ، ومخالفة لما عليه أهل السنة والجماعة ... فإن قصر عن القيام ببعض الواجب ، فليس لأحد من الرعية أن ينازعه الأمر من أجل ذلك ، كما ثبتت بذلك الأخبار عنه ﷺ بوجوب السمع والطاعة ، والوفاء بالبيعة،إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم فيه من الله برهان»[1] .

- وقال الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ ، والشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري رحمهما الله في رسالة لهما ، جاء فيها :

« ومما أدخل الشيطان على بعض المتدينين ؛ اتهام علماء المسلمين بالمداهنة ، وسوء الظن بهم ، وعدم الأخذ عنهم . وهذا سبب لحرمان العلم النافع . والعلماء هم ورثة الأنبياء في كل زمان ومكان ، فلا يتلقى العلم إلا عنهم ، فمن زهد في الأخذ عنهم ، ولم يقبل ما نقلوه ؛ فقد زهد في ميراث سيد المرسلين ، واعتاض عنه بأقوال الجهلة الخابطين ، الذين لا دراية لهم بأحكام الشريعة ، والعلماء هم الأمناء على دين الله .

فواجب على كل مكلف أخذ الدين عن أهله ، كما قال بعض السلف:

---

(١) الدرر السنية ٧/ ٢٩٠ .

إن هذا العلم دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم[١] ... » إلى أن قالا :

(ومما أدخل الشيطان أيضًا ؛ إساءة الظن بولي الأمر ، وعدم الطاعة له ؛ فإن هذا من أعظم المعاصي ، وهو دين الجاهلية ، الذين لا يرون السمع والطاعة دينًا ، بل كل منهم يستبد برأيه .

وقد تظاهرت الأدلة من الكتاب والسنة في وجوب السمع والطاعة لولي الأمر ، في العسر واليسر ، والمنشط والمكره ، حتى قال ﷺ : « اسمع وأطع ، وإن أخذ مالك وضرب ظهرك »[٢] .

فتحرم معصيته ، والاعتراض عليه في ولايته ، وفي معاملته ، وفي معاقدته ، ومعاهدته ؛ لأنه نائب المسلمين ، والناظر في مصالحهم ، ونظره لهم خير من نظرهم لأنفسهم؛ لأن بولايته يستقيم نظام الدين ، وتتفق كلمة المسلمين ، لا سيما وقد من الله عليكم بإمام ولايته ولاية دينية ، وقد بذل النصح لعامة رعيته من المسلمين – خصوصًا المتدينين – بالإحسان إليهم ، ونفعهم ، وبناء مساجدهم ، وبث الدعاة فيهم ، والإغضاء عن زلاتهم وجهالاتهم ، ووجود هذا في آخر هذا الزمان من أعظم ما أنعم الله به على أهل هذه الجزيرة؛ فيجب عليهم شكر هذه النعمة ، ومراعاتها ، والقيام بنصرته، والنصح له باطنًا وظاهرًا ، فلا يجوز لأحد الافتيات عليه ، ولا المضي في شيء من الأمور إلا بإذنه ، ومن افتات عليه فقد سعى في شق

(١) أخرجه مسلم في المقدمة ، باب أن الإسناد من الدين ١/ ١٤ من قول الإمام محمد بن سيرين رحمه الله . وانظر الكفاية ، للخطيب البغدادي ص ١٦١ .

(٢) قطعة من حديث أخرجه مسلم في الإمارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ٣/ ١٤٧٦ من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه .

عصى المسلمين، وفارق جماعتهم)[١] .

- وقال الشيخ عمر بن محمد بن سليم رحمه الله في رسالة له جاء فيها:

(ومن كيد الشيطان أيضًا : إساءة الظن بولي الأمر ، وعدم الطاعة له، وهو من دين أهل الجاهلية ، الذين لا يرون السمع والطاعة دينًا ، بل كل منهم يستبد برأيه وهواه.

وقد تظاهرت الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب السمع والطاعة لولي الأمر ، في العسر واليسر ، والمنشط والمكره ، حتى قال ﷺ : « اسمع وأطع وإن أخذ مالك وضرب ظهرك »[٢] .

فتحرم معصية ولي الأمر ، والاعتراض عليه في ولايته ، وفي معاملته ، وفي معاقدته ، ومعاهدته ، ومصالحته الكفار ؛ فإن النبي ﷺ حارب وسالم ، وصالح قريشًا صلح الحديبية ، وهادن اليهود ، وعاملهم في خيبر ، وصالح نصارى نجران ، وكذلك الخلفاء الراشدون من بعده ، ولا يجوز الاعتراض على ولي الأمر في ذلك ؛ لأنه نائب المسلمين ، والناظر في مصالحهم ، ولا يجوز الافتيات عليه بالغزو ، وعقد الذمة والمعاهدة إلا بإذنه ، فإنه لا دين إلا بجماعة ، ولا جماعة إلا بإمامة ، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة . فإن الخروج عن طاعة ولي الأمر من أعظم أسباب الفساد في البلاد والعباد)[٣] .

- وقال الشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري رحمه الله في رسالة له ،

---

(١) الدرر السنية ٧/ ٢٩٧-٢٩٨ .
(٢) مضى تخريجه قريبًا .
(٣) الدرر السنية ٧/ ٣١٥ .

بعد سوقه الأدلة على وجوب السمع والطاعة ونقل كلام بعض العلماء في ذلك :

« إذا فهم ما تقدم من النصوص القرآنية ، والأحاديث النبوية، وكلام العلماء المحققين ، في وجوب السمع والطاعة لولي الأمر ، وتحريم منازعته ، والخروج عليه ، وأن المصالح الدينية والدنيوية لا انتظام لها إلا بالإمامة والجماعة ؛ تبين أن الخروج عن طاعة ولي الأمر، والافتيات عليه بغزو أو غيره؛ معصية ، ومشاقة لله ولرسوله، ومخالفة لما عليه أهل السنة والجماعة .

وأما ما قد يقع من ولاة الأمور من المعاصي ، والمخالفات التي لا توجب الكفر ، والخروج من الإسلام ؛ فالواجب فيها مناصحتهم على الوجه الشرعي برفق ، واتباع ما كان عليه السلف الصالح من عدم التشنيع عليهم في المجالس ، ومجامع الناس ، واعتقاد أن ذلك من إنكار المنكر الواجب إنكاره على العباد ؛ وهذا غلط فاحش ، وجهل ظاهر، لا يعلم صاحبه ما يترتب عليه من المفاسد العظام في الدين والدنيا ، كما يعرف ذلك من نوَّر الله قلبه ، وعرف طريقة السلف الصالح . هذا الذي نعتقده ، وندين الله به ، ونبرأ إلى الله ممن خالفه واتبع هواه)[1] .

- وقال سماحة مفتي عام المملكة العربية السعودية ، شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز حفظه الله ، لما سئل عن معنى قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ ﴾ الآية :

«أولوا الأمر هم العلماء والأمراء . أمراء المسلمين وعلماؤهم يطاعون

---

(١) المصدر السابق ٧/ ٣٢٦-٣٢٧ .

في طاعة الله إذا أمروا بطاعة الله ، وليس في معصية الله ؛ لأن بهذا تستقيم الأحوال، ويحصل الأمن، وتنفذ الأوامر، وينصف المظلوم، ويردع الظالم.

أما إذا لم يطاعوا فسدت الأمور،وأكل القوي الضعيف. فالواجب أن يطاعوا في طاعة الله ، سواء كانوا أمراء أو علماء ، فالعالم يبين حكم الله ، والأمير ينفذ حكم الله ، هذا هو الصواب في معنى ﴿ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ ﴾ هم العلماء بالله وبشرعه ، وهم أمراء المسلمين عليهم أن ينفذوا أمر الله، وعلى الرعية السمع والطاعة للعلماء والأمراء في الحق ، أما إذا أمروا بمعصية الله، سواء كان أميرًا أو عالمًا، فلا طاعة لهم في ذلك ، إنما الطاعة في المعروف ، كما قال النبي ﷺ : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق »[1] .

لكن لا يجوز الخروج على الأئمة وإن عصوا ، بل يجب السمع والطاعة بالمعروف ، ولكن لا نطيعهم في المعصية ، ولا ننـزعن يدًا عن طاعة » .

ثم ساق حفظه الله عددًا من الأحاديث الدالة على ذلك، ثم قال :

« فالمقصود أن الواجب السمع والطاعة في المعروف لولاة الأمور من الأمراء والعلماء ، فبهذا تصلح الأحوال ، ويأمن الناس ، وينصف المظلوم ، ويردع الظالم ، وتؤمن السبل .

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ الخطيب البغدادي في تاريخه ١٠/ ٢٢ ، وأبو نعيم في أخبار أصبهان ١/ ١٣٣ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .
وأخرجه الخطيب في تاريخه ٣/ ١٤٥ من حديث عمران بن الحصين رضي الله عنه.
وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٢/ ٥٤٦ من حديث الحسن البصري رحمه الله مرسلاً .
والحديث صحيح ، وله طرق وألفاظ عديدة ، انظر في بيانها : السلسلة الصحيحة للألباني رقم ١٧٩-١٨٠ .

ولا يجوز الخروج على ولاة الأمور ، وشق العصى ، إلا إذا وجد منهم كفر بواح ، عند الخارجين فيه برهان من الله ، وهم قادرون على ذلك ، على وجه لا يترتب عليه ما هو أنكر ، وأكثر فسادًا » .

فهذه النقولات عن أئمة أهل السنة والجماعة في مختلف العصور - وغيرها كثير تركته اختصارًا - تبين بكل جلاء ووضوح أن مذهب أهل السنة والجماعة الذي لا يجوز العدول عنه ، ولا اعتقاد غيره ؛ وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين ، وحكامهم ، وأمرائهم ، في غير معصية الله ورسوله ، وإن ظهر منهم ما ظهر من الجور ، والظلم ، والفسق ، ما لم يخرجوا عن دائرة الإسلام ، ويحكم عليهم بالكفر الذي لا شبهة فيه ، كما قال عليه الصلاة والسلام : «إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم فيه من الله برهان »[1] . فإن الصبر على جور الأئمة وظلمهم ، مع كونه هو الواجب شرعًا؛ فإنه أخف من ضرر الخروج عليهم ، ونزع الطاعة من أيديهم ؛ لما ينتج عن الخروج عليهم من المفاسد العظيمة ، فربما سبب الخروج حدوث فتنة يدوم أمدها ، ويستشري ضررها ، ويقع بسببها سفك للدماء ، وانتهاك للأعراض ، وسلب للأموال ، وغير ذلك من أضرار كثيرة، ومصائب جسيمة على العباد والبلاد .

فالواجب على كل فرد من أفراد الرعية أن يتقي الله في كل أحواله ، وأن يراقب الله تعالى في أقواله وأعماله ، وأن يلتزم بما أوجب الله تعالى عليه

---

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري في الفتن ، باب قول النبي ﷺ : سترون بعدي أمورًا تنكرونها، ١٣/ ٥ (مع الفتح) ، ومسلم في الإمارة ، وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ٣/ ١٤٧٠- ١٤٧١ من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه .

من السمع والطاعة لولاة الأمور ، وأن لا يشق عصى الطاعة ، وأن يلتزم بما درج عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين ، ومن بعدهم من أئمة الإسلام ، في السمع والطاعة لولاة الأمور ، والحذر من الخروج عليهم ، أو التحريض عليهم ، والتعرض لهم بالتنقص من أقدارهم ، والوقوع في أعراضهم ، فقد روى الترمذي في سننه ، وحسنه ، وأحمد في مسنده عن زياد بن كسيب العدوي قال : كنت مع أبي بكرة رضي الله عنه تحت منبر ابن عامر، وهو يخطب وعليه ثياب رقاق؛ فقال أبو بلال: انظروا إلى أميرنا يلبس لباس الفساق . فقال أبو بكرة : اسكت ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله »[(١)] .

وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه : « ما مشى قوم إلى سلطان الله في الأرض ليذلوه إلا أذلهم الله قبل أن يموتوا »[(٢)] .

كما يجب البعد عن كل أسلوب فعلي أو قولي فيه بذر للفتنة بين المسلمين ، وتهييج للعامة على ولاة الأمور ؛ لما قد يسببه ذلك من فساد عظيم ، وشر مستطير على العباد والبلاد، يخشى إن وقع في الأمة أن يلحق بها مصائب عظمى ، وفجائع كبرى ، لا تقاس بأضرار الصبر على جور الولاة وظلمهم .

---

(١) أخرجه أحمد ٥/ ٤٢ ، ٤٨-٤٩ ، والترمذي في الفتن ، رقم ٢٢٢٤ ، وقال : حديث حسن غريب ، وابن أبي عاصم في السنة ٢/ ٤٨٩ ، والبيهقي ٨/ ١٦٣-١٦٤ ، والشجري في الأمالي الخميسية ٢/ ٢٢٦ ، وأبي الخير التبريزي في النصيحة للراعي والرعية ص ٩٤ .
وقال الهيثمي في المجمع ٥/ ٢١٥ : ورجال أحمد ثقات ، وحسنه الألباني في ظلال الجنة .

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ١١/ ٣٤٤ ، وابن زنجويه في الأموال : ١/ ٨٥، وابن قتيبة في عيون الأخبار ١/ ٢٣ .

حق النصيحة لولاة الأمور

النصيحة لولاة أمور المسلمين من أعظم حقوقهم على الرعية، جاء الإسلام بالأمر بها ، والتأكيد على أهميتها ، والقيام بها على الوجه المشروع ، لما في ذلك من مصالح كثيرة للعباد والبلاد ، وهي نوع من أنواع التعاون على البر والتقوى، المأمور به في قوله سبحانه : ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ [المائدة:٢] .

وقد بين النبي ﷺ في أحاديث كثيرة أن من حقوق أئمة المسلمين وولاتهم على الرعية ؛ النصح لهم . فمن ذلك:

- قوله ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن تميم الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « الدين النصيحة، قلنا : لمن؟ قال : لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم »[١] .

- وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن الله يرضى لكم ثلاثًا ، ويكره لكم ثلاثًا ، يرضى لكم أن تعبدوه ، ولا تشركوا به شيئًا ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا، ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم »[٢] .

- وروى الإمام أحمد في مسنده ، وابن ماجه في سننه عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في خطبته بالخيف في منى : « ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم : إخلاص العمل لله ، ومناصحة ولاة

---

(١) مضى تخريجه .
(٢) مضى تخريجه .

الأمور، ولزوم جماعة المسلمين »[١] .

وقد بين العلماء معنى النصيحة في اللغة ، فنقل ابن رجب في جامع العلوم والحكم عن ابن الصلاح قوله في بيان معناها : « إنها كلمة جامعة ، تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادة وفعلاً »[٢] . ونقل ابن رجب أيضًا عن الخطابي قوله في بيان معناها : « النصيحة : كلمة يعبر بها عن جملة هي إرادة الخير للمنصوح له ، قال : وأصل النصح في اللغة : الخلوص، يقال نصحت العسل إذا خلصته من الشمع »[٣] .

ولعله من خلال بيان معنى كلمة النصيحة من حيث معناها اللغوي يتضح المراد من معناها الشرعي ، فالعلاقة بين المعنيين اللغوي والشرعي ظاهرة . فالنصيحة لولاة الأمور تعني : اعتقاد ولايتهم ، ووجوب السمع والطاعة لهم ، وإعانتهم على الحق ، ومناصرتهم عليه ، والدعاء لهم بالخير والهداية والصلاح ، وأمرهم بالمعروف ، ونهيهم عن المنكر ، وتذكيرهم به برفق ولين ، والنصح فيما يتولى لهم المرء من أعمال ، أو ما يكلفونه به من أمور تقتضيها مصالح العباد والبلاد ، والقيام بها بكل صدق وأمانة وإخلاص ، دون إخلال أو تقصير ، أو غش أو خيانة ، وغير ذلك من الأمور التي تندرج في معنى إرادة الخير والصلاح لهم وللرعية .

فهذه جمل مما قاله العلماء رحمه الله في بيان معنى النصح لولاة الأمور ،

---

(١) مضى تخريجه .
(٢) جامع العلوم والحكم ١/ ٢٢٢ ، وانظر : صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط لابن الصلاح ص ٢٢٣ .
(٣) جامع العلوم والحكم ١/ ٢١٩ .

ويحسن ذكر المزيد من كلامهم رحمهم الله في بيان معنى النصيحة زيادة في إيضاح المعنى ، وتأكيدًا له . فمن ذلك :

ما قاله الإمام محمد بن نصر المروزي في كتابه تعظيم قدر الصلاة ، فيما نقله عنه ابن رجب في جامع العلوم والحكم :

« قال بعض أهل العلم : جماع تفسير النصيحة هي : عناية القلب للمنصوح له ، كائنًا من كان ... إلى أن قال : وأما النصيحة لأئمة المسلمين ، فحب صلاحهم ورشدهم ، وعدلهم ، وحب اجتماع الأمة عليهم ، وكراهة افتراق الأمة عليهم ، والتدين بطاعتهم في طاعة الله عز وجل ، والبغض لمن رأى الخروج عليهم ، وحب إعزازهم في طاعة الله عز وجل ...»[(١)] .

وقال الإمام النووي في شرح مسلم :

« وأما النصيحة لأئمة المسلمين ، فمعاونتهم على الحق ، وطاعتهم فيه، وأمرهم به ، وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف ، وإعلامهم بما غفلوا عنه ، ولم يبلغهم من حقوق المسلمين ، وترك الخروج عليهم ، وتألف قلوب الناس لطاعتهم .

قال الخطابي رحمه الله :

ومن النصيحة لهم: الصلاة خلفهم، والجهاد معهم ، وأداء الصدقات إليهم، وترك الخروج بالسيف عليهم، إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة،

---

(١) تعظيم قدر الصلاة للمروزي ٢/ ٦٩١-٦٩٤ ، وجامع العلوم والحكم ١/ ٢٢٠-٢٢٢ .

وأن لا يغروا بالثناء الكاذب عليهم، وأن يدعى لهم بالصلاح»[١] .

وقال الإمام أبو عمرو بن الصلاح ، فيما نقله عنه الإمام ابن رجب في جامع العلوم والحكم :

« والنصيحة لأئمة المسلمين : معونتهم على الحق ، وطاعتهم فيه ، وتذكيرهم به ، وتنبيههم في رفق ولطف ، ومجانبة الوثوب عليهم ، والدعاء لهم بالتوفيق ، وحث الأغيار على ذلك »[٢] .

وقال العلامة الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في بهجة قلوب الأبرار :

« وأما النصيحة لأئمة المسلمين ، وهم ولاتهم من الإمام الأعظم إلى الأمراء والقضاة إلى جميع من له ولاية عامة أو خاصة : فباعتقاد ولايتهم ، والسمع والطاعة لهم ، وحث الناس على ذلك ، وبذل ما يستطيعه من إرشادهم وتنبيههم إلى ما ينفعهم ، وينفع الناس ...»[٣] .

فالنصيحة في دين الإسلام أصل من أصوله العظيمة ، ومبانيه الجليلة، ولذا عدها بعض العلماء من أصول أهل السنة والجماعة في باب الاعتقاد .

وقد كان النبي ﷺ إذا بايع أحدًا من الناس على الإسلام بايعه على النصح لكل مسلم ، كما في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن جرير ابن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال : « بايعت رسول الله ﷺ على إقام

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ٢/ ٣٨ .
(٢) صيانة صحيح مسلم لابن الصلاح ص ٢٢٤ ، وجامع العلوم والحكم ١/ ٢٢٣ .
(٣) بهجة قلوب الأبرار ص ١٩ .

الصلاة، وإيتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم »[١] .

وفي رواية عند البخاري : « أتيت النبي ﷺ قلت : أبايعك على الإسلام ، فشرط عليَّ النصح لكل مسلم ، فبايعته على هذا ...»[٢] .

فالنصيحة لعموم المسلمين من آكد ما أمر به الإسلام ، وحث عليه ، وهي لولاة أمور المسلمين أحق وآكد ؛ لأن النصح لهم يتعدى نفعه ، وتعم فائدته وأثره على الرعية .

فالواجب على كل مسلم أن يعنى بالنصح لولاة الأمور وأن يخلص نيته لله في ذلك ؛ ابتغاء لرضا الله سبحانه وتعالى ، ورجاء ثوابه ، وحبًا في الخير لإخوانه المسلمين .

* * *

---

(١) أخرجه البخاري في الإيمان ، باب قول النبي ﷺ : « الدين النصيحة » : ١/ ١٣٧ (مع الفتح) ، ومسلم في الإيمان ، باب أن الدين النصيحة رقم ٥٦ .
(٢) أخرجه البخاري في الإيمان ، باب قول النبي ﷺ : « الدين النصيحة» ١/ ١٣٩ (مع الفتح) .

تذكير ولاة الأمور بالمعروف

ونهيهم عن المنكر

وما ينبغي أن يكون عليه ذلك

إن من آكد أنواع النصح لولاة الأمور وأهمها : تذكيرهم بالمعروف ، وإعانتهم عليه ، ونهيهم عن المنكر ، وتحذيرهم منه ؛ لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الواجبات الشرعية ، التي أوجبها الإسلام على الأمة ؛ لما فيه من مصالح كثيرة للعباد والبلاد .

وقد جاء الأمر بالقيام به ، والتأكيد على أهميته ، وتعظيم شأنه، في أدلة كثيرة من الكتاب والسنة ، كقوله سبحانه : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران:١١٠] . وقوله عز وجل : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

كما عاب سبحانه وتعالى على بني إسرائيل تركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مبينًا سبحانه أن ذلك من أسباب لعنهم وطردهم من رحمته ، فقال سبحانه : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة : ٧٨-٧٩] .

وروى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال :

سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان »[1] .

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابًا منه ، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم » رواه الترمذي وقال : حديث حسن[2] .

وروى مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها ، عن النبي ﷺ أنه قال : « إنه يستعمل عليكم أمراء ، فتعرفون وتنكرون ، فمن كره فقد برئ ، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع . قالوا : يا رسول الله ، ألا نقاتلهم ؟ قال : لا ، ما أقاموا فيكم الصلاة»[3] .

قال الإمام النووي رحمه الله في كتابه رياض الصالحين تعليقًا على هذا الحديث :

« معناه : من كره بقلبه ، ولم يستطع إنكارًا بيد ، ولا لسان ؛ فقد برئ من الإثم ، وأدى وظيفته ، ومن أنكر بحسب طاقته فقد سلم من هذه المعصية ، ومن رضي بفعلهم وتابعهم فهو العاصي»[4] .

---

(١) أخرجه مسلم في الإيمان ، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان رقم ٤٩ .
(٢) أخرجه أحمد ٥/ ٣٨٨-٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، والترمذي في الفتن ، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر رقم ٢١٦٩ ، وهو حديث حسن ، انظر : جامع الأصول لابن الأثير ١/ ٣٣٢ .
(٣) أخرجه مسلم في الإمارة ، باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع ، وترك قتالهم ما صلوا ٣/ ١٤٨١ .
(٤) رياض الصالحين للنووي ص ١٠٤ .

فعلى الأمة الإسلامية القيام بما أوجب الله عليها من الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، فإنه من أسباب صلاح العباد والبلاد، وسعادتهم في الدنيا والآخرة .

ومن آكد ذلك وأوجبه ؛ تذكير ولاة أمور المسلمين من الملوك، والرؤساء ، والحكام ، والأمراء ، وكل من ولي أمرًا من أمور المسلمين ؛ بالمعروف ، وإعانتهم عليه ، ونهيهم عن المنكر ، وتحذيرهم منه .

وإن المسئولية الكبرى ، والواجب الأعظم ، في القيام بهذا الأمر الجليل ؛ يقع على عاتق علماء الأمة ، ودعاتها المخلصين ، وهو من أعظم حقوق ولاة أمور المسلمين على الرعية ، ومن النصح الواجب لهم ، الذي أمر به الإسلام وحث عليه .

فعلى علماء الإسلام أن يقوموا بما أوجب الله عليهم من بيان الحق والتذكير به ، وأمر ولاة أمور المسلمين بالمعروف وإعانتهم عليه ، ونهيهم عن المنكر ، وتحذيرهم منه، وبيان سوء عاقبته وخطره على الأمة ، في عاجل أمرها وآجله ؛ فإن فشو المنكرات وكثرتها من أسباب حصول البلاء ، ووقوع العذاب ، وزوال الدول والملوك ، وانتشار الفساد في الأرض، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم : ٤١] .

ومما يجدر التنبيه إليه : أنه ينبغي أن يراعى عند إرادة نصح ولاة أمور المسلمين من الملوك ، والرؤساء ، وغيرهم ؛ الأوقات المناسبة ، والأساليب الحسنة ، فيذكرون بالمعروف، وينهون عن المنكر ، بأدب ولطف ، ورفق

ولين ، وأن يراعى في ذلك مكانتهم في الأمة ، وعلو قدرهم فيها ، حتى لا تنتهك حرمتهم ، ولا ينتقص من قدرهم ، فإن ذلك أحرى بالقبول ، وحصول المقصود ، وهو الأسلوب الذي أمر به القرآن ، وسار عليه رسول الهدى ﷺ في دعوته للناس، فقد قال سبحانه وتعالى آمرًا موسى وهارون ، عليهما الصلاة والسلام ، عند دعوة فرعون ، وهو أطغى خلق الله ، بالرفق واللين فقال سبحانه : ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه : ٤٤]. وقال سبحانه مخاطبًا نبيه محمدًا ﷺ ، وهو خطاب للأمة ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل :١٢٥] .

وقد سار ﷺ في دعوته إلى دين الله ، وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ؛ وفق هذا التوجيه الإلهي الكريم ، فكان كما وصفه ربه سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

فكان عليه الصلاة والسلام رفيقًا في دعوته ، حكيمًا في أمره ونهيه ، ووجه أمته إلى التحلي بذلك والاتصاف به ، فقال عليه الصلاة والسلام : «ما كان الرفق في شيء إلا زانه ، وما نزع من شيء إلا شانه »(١) .

وقد نهج السلف الصالح هذا النهج الإلهي ، والهدي النبوي ، في دعوة الناس إلى دين الله ، وأمرهم بالمعروف ، ونهيهم عن المنكر ، برفق

---

(١) أخرجه مسلم في البر والصلة ، باب فضل الرفق ، رقم ٢٥٩٤ ، من حديث عائشة رضي الله عنها بلفظ : « إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا ينزع من شيء إلا شانه » .

ولين ، وخصوصًا ولاة الأمور .

وقد تقدم ما يدل على ذلك من كلام السلف الصالح رضوان الله عليهم ، ومن ذلك أيضًا :

قول الإمام أحمد رحمه الله : « لا يتعرض للسلطان ، فإن سيفه مسلول وعصاه ، فأما ما جرى للسلف من التعرض لأمرائهم ، فإنهم كانوا يهابون العلماء ، فإذا انبسطوا عليهم احتملوهم في الأغلب »[1] .

كما ينبغي على من أراد مناصحة ولاة الأمور وموعظتهم ، وتذكيرهم بالحق عند مخالفته وبيانه لهم ؛ أن يكون سرًا فيما بينه وبينهم ، عملاً بالتوجيه النبوي الشريف، كما في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده ، وابن أبي عاصم في السنة : « من أراد أن ينصح السلطان بأمر؛ فلا يبذل له علانية ، ولكن ليأخذ بيده ، فيخلو به ، فإن قبل منه ذلك ، وإلا كان قد أدى الذي عليه »[2] .

وقد سار وفق هذا التوجيه النبوي سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين ، ومن بعدهم من أئمة الإسلام المشهورين، ومما جاء عنهم في ذلك :

قول أم الدرداء رضي الله عنها : « من وعظ أخاه سرًا فقد زانه، ومن

---

(١) ذكره ابن مفلح في الآداب الشرعية ١/ ١٧٦ .

(٢) أخرجه أحمد ٣/ ٤٠٤ ، وابن أبي عاصم في السنة ٢/ ٥٢١ ، وابن عدي في الكامل ٤/ ٣٩٣ ، والحاكم ٣/ ٢٩٠ ، والطبراني في الكبير ١٧/ ٣٦٧ من طرق عن عياض ابن غنم رضي الله عنه به مرفوعًا . وقال الهيثمي في المجمع ٥/ ٢٣٠ : (رجاله ثقات ، وإسناده متصل) . وصححه الألباني في ظلال الجنة .

وعظه علانية فقد شانه »[١] .

وروى حنبل بن إسحاق في كتابه (محنة الإمام أحمد) بسنده عن سعيد ابن جبير قال : قلت لابن عباس : آمر أميري بالمعروف ؟ قال: « إن خفت أن يقتلك فلا تغتب الإمام ، وإن كنت لابد فاعلاً ففيما بينك وبينه »[٢] .

وروى البخاري في صحيحه بسنده عن أبي وائل قال : قيل لأسامة بان زيد : لو أتيت فلانًا - يعنون : عثمان بن عفان رضي الله — فكلمته . قال: « إنكم لترون أني لا أكلمه إلا أن أسمعكم ، إني أكلمه في السر دون أن أفتح باباً لا أكون أول من فتحه » وفي رواية للبخاري أيضًا قال:كلمته دون أن أفتح بابًا أكون أول من فتحه »[٣] .

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري :

« قال المهلب : أرادوا من أسامة أن يكلم عثمان ، وكان من خاصته ، وممن يخف عليه في شأن الوليد بن عقبة؛ لأنه كان يظهر عليه ريح نبيذ، وشهر أمره ، وكان أخًا لعثمان لأمه، وكان يستعمله ، فقال أسامة: قد كلمته سرًا دون أن أفتح بابًا، أي : باب الإنكار على الأئمة علانية ، خشية أن تفترق الكلمة »[٤] .

وقال في الفتح أيضًا : « وقال عياض : ومراد أسامة أنه لا يفتح باب

---

(١) أخرجه الخلال في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ٣٩ .
(٢) أخرجه حنبل بن إسحاق في محنة الإمام أحمد ص ٨٤ .
(٣) أخرجه البخاري في بدء الخلق ، باب صفة النار وأنها مخلوقة ، ٦/ ٣٣١ (مع الفتح) ، وفي الفتن، باب الفتنة التي تموج موج البحر، ١٣/ ٤٨ (مع الفتح)، ومسلم في الزهد، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله ، رقم ٢٩٨٩ .
(٤) فتح الباري ١٣/ ٥٢ .

المجاهرة بالنكير على الإمام ؛ لما يخشى من عاقبة ذلك ، بل يتلطف به، وينصحه سرًا، فذلك أجدر بالقبول»[1] .

وجاء في (ترتيب المدارك) عن إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله؛ قوله : « حق على كل مسلم أو رجل جعل الله في صدره شيئًا من العلم والفقه ؛ أن يدخل على ذي سلطان يأمره بالخير ، وينهاه عن الشر ، ويعظه ؛ لأن العالم إنما يدخل على السلطان يأمره بالخير ، وينهاه عن الشر، فإذا كان فهو الفضل الذي ليس بعده فضل» [2] .

ويروى عن الإمام الشافعي رحمه الله قوله :

(تعمدني النصيحة في انفرادي وجنبني النصيحة في الجماعة

فإن النصــح بين الناس نوع من التوبيخ لا أرضى استماعه

فإن خالفتني وعصيت أمري فلا تجزع إذا لم تعط طاعة)[3]

وجاء في كتاب (الدرر السنية في الأجوبة النجدية) رسالة لعدد من علماء نجد الأعلام في منتصف القرن الرابع عشر الهجري، وهم : الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ، والشيخ سعد بن حمد ابن عتيق ، والشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري ، والشيخ عمر ابن محمد بن سليم ، والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، جاء فيها قولهم :

« وأما ما قد يقع من ولاة الأمور من المعاصي والمخالفات التي لا

---

(١) المصدر السابق .
(٢) ترتيب المدارك ٢/ ٩٥ .
(٣) ديوان الإمام الشافعي ص ٥٦ .

توجب الكفر والخروج من الإسلام ؛ فالواجب فيها مناصحتهم على الوجه الشرعي برفق ، واتباع ما كان عليه السلف الصالح من عدم التشنيع عليهم في المجالس ، ومجامع الناس ، واعتقاد أن ذلك من إنكار المنكر الواجب إنكاره على العباد؛ وهذا غلط فاحش، وجهل ظاهر، لا يعلم صاحبه ما يترتب عليه من المفاسد العظام في الدين ، كما يعرف ذلك من نور الله قلبه ، وعرف طريقة السلف الصالح ، وأئمة الدين »[1] .

فهذا هو الأسلوب الأمثل ، والمنهج الأقوم الذي ينبغي أن يسلك ، ويحتذى في مناصحة ولاة أمور المسلمين ، وتذكيرهم بالمعروف ، ونهيهم عن المنكر .

أما سلوك غير ذلك من الأساليب المنكرة ، والمناهج المحدثة ، كالجهر بالإنكار على الولاة أمام الملأ ، وفي المحافل العامة ، والتشهير بهم ، والتنقص لأقدارهم ، وتغليظ القول في الإنكار عليهم ، دون مراعاة لمكانتهم ، وإجلال لأقدارهم؛ فإنه مع كونه خلاف التوجيه الإلهي ، والهدي النبوي ، والمنهج السوي ، الذي سار عليه سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين ، وأئمة الإسلام المخلصين ؛ فإن له آثارًا سيئة ، ومفاسد عظيمة على الأمة ، إذ يكون سببًا في إيغار صدور الرعية على ولاتهم ، وحصول العداوات والبغضاء فيما بينهم ، وربما ثار بسببه فتن ، ينتج عنها مفاسد كثيرة ، وأضرار عظيمة على العباد والبلاد .

---

(١) الدرر السنية ٧/ ٢٩٠ .

الخاتـــمة

وإلى هنا انتهى ما قصدنا إلى جمعه في هذه الرسالة المختصرة ، والتذكير به من حقوق الراعي والرعية في الإسلام.

فنسأل الله تعالى أن ينفع بها ، وأن يوفق المسلمين وولاة أمورهم للتمسك بدينهم ، والبصيرة فيه ، وأن يعز دينه ، ويعلي كلمته ، وأن يجمع كلمة المسلمين على الحق والهدى ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وكتبه

محمد بن عبد الله السبيل

إمام وخطيب المسجد الحرام

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس الموضوعات

* * *



(٦)

الإيضاحات الجلية

في الكشف عن حال القاديانية

تأليف

سماحة الشيخ العلامة

محمد بن عبد الله السبيل رحمه الله

إمام وخطيب المسجد الحرام وعضو هيئة كبار العلماء وعضو المجمع الفقهي الإسلامي

(١٣٤٥ - ١٤٣٤هـ)

المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وآله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فهذه رسالة مختصرة في بيان حال الفرقة الضالة المسماة « القاديانية » والتحذير منها ، وبيان كفرها وخروجها عن الإسلام ، كنت كتبتها لمؤتمر السيرة النبوية المنعقد في الباكستان في عام ١٣٩٦هـ ، وطبعت في الباكستان آنذاك ، ثم رأيت إعادة طباعتها مع بعض الإضافات المفيدة إن شاء الله ، فأسأل الله تعالى أن ينفع بها ، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم وزلفى لديه إلى جنات النعيم ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

محمد بن عبد الله السبيل

مكة المكرمة في ٢٠/ ١/ ١٤٢٢هـ

نشأة القاديانية

هجمت أوربا على الدول الإسلامية في القرن التاسع عشر الميلادي ، وبسطت سلطتها على كثير من دول الشرق الأقصى والأوسط ، وكان في مقدمتها بريطانيا التي تولت هذا الهجوم السياسي والمادي ، واستولت على الهند ومصر وغيرها ، وأصبحت مسيطرة على شبه القارة الهندية حتى صارت رهينة وأسيرة في يدها .

ولا يخفى على كل مسلم ما يحاوله المستعمرون من صد المسلمين عن دينهم وإبعادهم عنه لما يكنونه من عداوة وبغضاء للإسلام والمسلمين .

وإن من محاولات المستعمرون البريطانيين في صد المسلمين عن دينهم إظهارهم لرجل يدعي النبوة وهو المسمى (غلام أحمد مرزا) الذي لو قال: إنه نبي لبريطانيا ورسول لها وداع من دعاتها لكان صادقًا في ذلك ؛ لأنه يشيد بفضلها ، ويفضلها على كل أحد ، ويدعو لها ، وينبري ضد المسلمين في الدفاع عنها ، ويصفها بالعدل والفضل على الناس كما سيتبين ذلك مفصلاً إن شاء الله تعالى ، ومن ولائه لبريطانيا عداوته للمسلمين ، وتكفيره لهم ، تمشيًا مع خطتها التي رسمتها له ، فلذلك يبطل الجهاد ، ويزعم أنه نُسخ ؛ لأن بريطانيا تخاف من المسلمين إذا جردوا سيوفهم لله ، وقاموا بنصرة دين الله ، وجاهدوا أعداء الله ؛ لأن الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم ؛ إنما فتحوا البلاد وتغلبوا على الأمم بجهادهم وتمسكهم

بدين ربهم ، ودعوتهم إليه فإذا بطل الجهاد ، كما يدعي هذا المتنبئ ؛ أمن الكفار من سيطرة المسلمين، ومن امتداد ملكهم، وتغلبهم على من سواهم.

وقد كان ظهور المدعو المرزا غلام أحمد القادياني المولود سنة ١٨٤٠م في الهند في منطقة « بنجاب » بلدة « قاديان » حيث ادعى النبوة في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، وزعم أنه يوحى إليه ، وكفَّر من لم يؤمن بنبوته الكاذبة ، وظهرت بذلك فرقته التي عرفت باسم (القاديانية) و(الأحمدية) ، وقد اتخذ مولده « القاديان » مركزًا لنشر دعوته في الهند إلى أن هلك في عام ١٩٠٨م في شهر مايو بمرض الكلوليرا .

* * *

مبادئ القاديانية ومعتقداتهم

تتلخص معتقداتهم فيما يلي :

١ – إنكار ما ثبت بالقرآن الكريم والسنة المتواترة من كون رسول الله ﷺ خاتم النبيين فقد قال عز وجل: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب :٤٠] ، وقد أجمع العلماء على أن من أنكر حرفًا واحدًا من القرآن فهو كافر .

٢ – إنكار أن عيسى عليه السلام من أم بلا أب فيقولون له أب ، فيكذبون الله بذلك في قوله : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ

مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران : ٥٩] وهذا يوجب كفرهم ؛ لتكذيبهم القرآن ، ورميهم مريم عليها السلام بما برأها الله منه ، واتفاقهم مع اليهود في ذلك .

٣ – اعتقاد أن عيسى عليه السلام لم يرفعه الله إليه ، وفي هذا تكذيب لقوله جل وعلا : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء:١٥٧-١٥٨] .

٤ – إنكار معجزات الأنبياء التي بلغت حد التواتر ، ونطق بها القرآن في عدة مواضع في قصة (صالح ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد ، صلى الله عليهم أجمعين) .

٥ – ادعاء نسخ الجهاد الذي جاء الأمر به في الكتاب والسنة ، وأجمع العلماء على أنه باق ، وأنه يجب وجوبًا كفائيًا على الأمة الإسلامية ، ويجب وجوباً عينيًا في مواضع .

٦ – ادعاء القادياني أنه (المهدي) وأنه (عيسى ابن مريم) وتصديقهم له بذلك .

٧ – عداؤهم العظيم للمسلمين ، وموالاتهم للكفار سيما بريطانيا التي تغدق عليهم الأموال الطائلة لنشر عقائدهم الباطلة ، ولذلك قل أن نجد بلدًا قد استعمرها الانجليز إلا ولهم فيها مراكز ودعاة ، حتى إنهم أقاموا مركزًا لهم في إسرائيل ، ويلقون منها كل دعم وتأييد ، حتى أصدروا

هناك مجلة شهرية تسمى « بشرى » كل ذلك وغيره مما يأتي في ثنايا البحث يدل على نواياهم الخبيثة ضد المسلمين وعلى مبادئهم الهدامة التي تخالف الملة الإسلامية مخالفة صريحة ، وتناقض أصول الدين وقواعده .

* * *

متنبي هذا الزمان

كان المدعو المرزا غلام أحمد القادياني في مبدأ ظهوره يدعي أنه هو المهدي ثم ترقى – فيما يزعم – وادعى أنه نبي ، وأنه عيسى الذي سينزل في آخر الزمان ، وأنه ابن الله – تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتاب النبوات ص ٢٢ مبينًا أحوال المكذبين وعلاماتهم وما يظهره الله عز وجل من أمارات تدل على كذبهم وبهتانهم ، قال : « وقد دل القرآن على أنه سبحانه لا يؤيد الكذاب عليه ، بل لابد أن يظهر كذبه ، وأن ينتقم منه ... فقال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴾ [الحاقة :٤٤-٤٧] . ذكر هذا – سبحانه – بعد قوله : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ

قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الحاقة : ٣٨-٤٣] .

ثم قال رحمه الله ص ٢٣٠ : (إن من حكمته – سبحانه – أنه لا يسوي بين الصادق بما يظهر به صدقه ، وبأن ينصره ويعزه ويجعل له العاقبة، ويجعل له لسان صدق في العالمين ، والكاذب عليه يبين كذبه ويخذله ويذله ويجعل عاقبته عاقبة سوء ، ويجعل له لسان الذم واللعنة في العالمين كما قد وقع) .

ولعل شيخ الإسلام رحمه الله يشير بذلك إلى ما وقع للمدعين للنبوة ممن صار له صولة وجولة ، ثم ما لبث أن تشتت أمره ، وقتل ، وصار عبرة للعالمين ، واكتسب الخزي والعار في الدنيا والعذاب والنار في الآخرة. وذلك أمثال الأسود العنسي ، والمختار بن أبي عبيد الثقفي ، ومسيلمة الكذاب ، وأمثال هؤلاء .

وذلك أن الأسود العنسي واسمه عبهلة بن كعب بن غوث ، من بلد يقال لها : كهف حنان في اليمن ، ادعى النبوة ، وخرج في سبعمائة مقاتل ، وكتب إلى عمال النبي ﷺ يقول لهم : أيها المورودون علينا أمسكوا علينا ما أخذتم من أرضنا ، ووفروا ما جمعتم ، فنحن أولى به ، وأنتم على ما أنتم عليه .

انظر إلى الكتابة ممن يدعي النبوة ، وقارن بينها وبين كتاب رسول الله حقاً محمد ﷺ بقوله : « سلام على من اتبع الهدى ...﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا

وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:٦٤] » .

فهذا كتاب رسول الله ﷺ يتضمن الدعوة إلى الله والى دينه ، وعبادته وحده لا شريك له ، وأما الأسود العنسي فهو يطالب بالأرض والمال فقط ، ثم إنه قد حصل لباطله جولة وصولة ، واستولى لمدة ثلاثة أشهر على نجران وصنعاء ، ولكن كما قيل : للباطل جولة ثم يضمحل . فإنه قتل شر قتله ، وهو في بيته ، وعند زوجته ، وحرسه محيط به ، ما ردوا عنه ...ولما قتله فيروز ، وجعل يخور كما يخور الثور ... قال الحرس : ما بال سيدنا ؟ فقالت زوجته : إن النبي يوحى إليه ، وقد علم ﷺ بقتله في تلك الساعة ، وهو بالمدينة والأسود باليمن بصنعاء ، فقال لأصحابه : « قتل الأسود العنسي البارحة ، قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين » قيل : ومن يا رسول الله ﷺ ؟ قال : « فيروز . فيروز » .

وكذلك مسيلمة الكذاب فإنه ادعى النبوة ، ومع ذلك كان يعترف بنبوة محمد ﷺ ، ولكن يقول : إنه شريك له في النبوة ، ويزعم أنه يوحى إليه، وكان مما يزعم أنه وحي قوله : « لقد أنعم الله على الحبلى ، أخرج منها نسمة تسعى ، من بين صفاق وحشا » .

ثم إنه أحل لقومه الزنا والخمر ووضع عنهم الصلاة .

ومن مكاتباته أنه كتب لرسول الله ﷺ كتابًا يقول فيه : من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله : فإني أُشركْتُ في الأمر معك ، وإن لنا نصف الأمر ، ولقريش نصف الأمر ، وليس قريش قومًا يعدلون . فقدم

رسوله بهذا الكتاب ، فكتب رسول الله ﷺ : « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب : سلام على من اتبع الهدى . أما بعد : ﴿ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف : ١٢٨]» .

وكان مسيلمة يزعم أيضًا أنه نزل عليه وحي ، يعارض به سورة الكوثر ، فقال : « يا وبر يا وبر إنما أنت أذنان وصدر ، وسائرك حقر نقر » فانظر الفرق بين الكتابين وبُعْد ما بينهما كما بين السماء السابعة والأرض السافلة .

وممن ادعى النبوة بعد العنسي ومسيلمة الكذب ، المختار بن أبي عبيد الثقفي ، وكان أبوه عبيد ممن أسلم في حياة النبي ﷺ ، ولم تقدر له الصحبة ، وقُتل شهيدًا ، وكان المختار كذابًا ، يزعم أنه يأتيه الوحي على يد جبريل عليه الصلاة والسلام ، وقد روي الإمام أحمد عن رفاعة بن شداد قال : دخلت على المختار فألقى إليَّ وسادة وقال : لولا أن أخي جبريل قام عن هذه ؛ لألقيتها لك ، قال : فأردت أن أضرب عنقه ، فذكرت قوله ﷺ : (أيما مؤمن أمن مؤمنًا على دمه فقتله ، فأنا من القاتل بريء) وقد قيل لابن عمر رضي الله عنهما : إن المختار يزعم أن الوحي يأتيه ، فقال : صدق ، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ ﴾ [الأنعام : ١٢١] .

وقد أخبر ﷺ عن خروج المختار بن أبي عبيد ، وعن كذبه ، وعن الحجاج ، فقال ﷺ : « إن في ثقيف كذابًا ومبيرًا » وفسر العلماء رحمهم الله

الكذاب بالمختار بن أبي عبيد ، والمبير بالحجاج بن يوسف ، وكلاهما من قبيلة ثقيف .

وهكذا لا يزال أدعياء النبوة لهم وجود في أكثر الأزمنة ، خصوصًا في وقت دولة بني العباس فقد كثرت الأخبار عنهم ، إلاّ أنهم لقوة الدولة يقضي عليهم قبل أن يتبين شرهم للعامة .

ومن جملة ذلك ما روي أن رجلاً ادعى النبوة في زمن خالد بن عبد الله القسري ، وعارض القرآن ، فأتى به خالد فقال : ما تقول ؟ قال : عارضت في القرآن ما يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾ فقلت أنا ما هو أحسن من هذا : « إنا أعطيناك الجماهر ، فصل لربك وجاهر ، ولا تطع كل ساحر وكافر » فأمر به خالد فضربت عنقه ، وصلب على خشبة ، فمر به خلف بن خليفة الشاعر وقال : « إنا أعطيناك العمود ، فصل لربك على عود ، وأنا ضامن عنك ألا تعود » .

ولقي رجل ابن عياش وكان مغرمًا بالشراب فقال له : أشعرت أنه نبي يُحل الخمرَ ؟ قال : إذًا لا يقبل منه حتى يبرئ الأكمه والأبرص ، وأتى به عامل الكوفة فاستتابه ، فأبى أن يتوب ويرجع ، فأتته أمه تبكي وتتلطف له عند الوالي ، فقال لها : تنحي ، ربط الله على قلبك كما ربط على قلب أم موسى ، وأتاه أبوه يطلب منه أن يرجع عما يدعيه ، فقال : تنح يا آزر ، ثم أمر به العامل فقتل .

وفي أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ظهر هذا المدعو (غلام أحمد) وادعى أنه نبي ، وأنه عيسى الذي سينزل في آخر الزمان ، وكان من شأنه ما تقدم ذكره .

ولذا فهو يستحق أن يسمى (الكذاب) كما سمى رسول الله ﷺ مدعي النبوة في زمنه (مسيلمة الكذاب) فهذا ينبغي أن يعطى لقب (غلام أحمد الكذاب) .

وهؤلاء الذين استجابوا لدعوته فصدقوه بدون برهان بيِّن ، وبدون دليل واضح ، بل بمجرد أن دعاهم استجابوا له بدون تمحيص لقوله ، وفحص لدعواه لو كان عندهم شيء من العلم بأحكام دين الإسلام وآيات القرآن ومعجزات الأنبياء والمرسلين لما استجابوا لدعوة هذا الكذاب وقبلوا قوله وإفكه ، فإن الأنبياء لابد أن يكون لديهم من المعجزات والدلائل على نبوتهم ما يوجب تصديقهم مما لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله .

فهذا موسى عليه السلام يلقي عصاه فتكون حية تسعى .

وهذا إبراهيم خليل الرحمن ألقي في النار العظيمة ، فكانت عليه بردًا وسلامًا .

وهذا عيسى يبرئ الأكمه والأبرص ، ويحيى الموتى بإذن الله .

وهذا محمد ﷺ نزل عليه القرآن تحدى جميع العرب الأولين والآخرين أن يأتوا بمثله ، أو عشر سور مثله ، أو سورة واحدة ، ولم يستطيعوا . وقد

انشق له القمر . ونبع الماء من بين أصابعه حتى روى جميع الجيش ، وهو ألف وخمسمائة أو أكثر . ونادى الشجرة وأتته ثم أمرها بالعودة ، ورجعت إلى مكانها . وتكلم الضب له ، وقال : أشهد أنك رسول الله . وصعوده ﷺ إلى السماء في قصة الإسراء . وقصة حنين جذع النخلة حينما ترك الوقوف عليه ﷺ . ورده ﷺ عين قتادة بعد ما سقطت على وجنته ، وكان ابنه يفتخر بعد ذلك ، وقال بين يدي عمر بن عبد العزيز ﷺ عنه الأبيات المشهورة :

أنا ابن الذي سالت عينه على عينه فردت بكف المصطفى أيما رد

فعادت كما كانت لأحسن حالها فيا حسن ما عين ويا حسن ما رد

وكذلك قصة شاة أم معبد الذي قد نشف ضرعها من الهزال ولم تستطع الذهاب للمرعى ، فمسح ﷺ ضرعها حتى درت في الحال وشربوا جميعاً ، وملأ القدح ووضعه عند أم معبد ... إلى غير ذلك مما يطول لو ذكرنا ما ذكره العلماء رحمهم الله مما ثبت في الصحاح والمسانيد والسنن وغيرها .

فهؤلاء القاديانيون هلا طالبوا نبيهم المزعوم بشيء من ذلك ، حتى يكون دليلاً على صدقه ؟ ولكنه من مكره وخداعه أنكر معجزات الأنبياء ، خوفاً من أن يطالب بشيء مثلها فما أبلد متبعيه ، وما أجهلهم حيث تابعوه بلا برهان ولا دليل ، بل وجود الدلائل على بطلان قوله وكذبه أبين من النهار ، وأوضح من الصبح بعد الإسفار ، ولكن صدق الله العظيم ﴿ وَمَا تُغْنِي ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس:١٠١] ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

نقولات من أقول كذابهم

إن النقولات الكثيرة التي سنوردها ها هنا عن زعيمهم وكذابهم تعطي للمسلم برهان ساطعًا عن حقيقة هذه الطائفة الضالة ومبادئها الكفرية .

فمن ذلك قول كذابهم : « أحلف بالله الذي في قبضته روحي ، هو الذي أرسلني وسماني نبيًا وناداني بالمسيح الموعود وأنزل لصدق دعواي بينات بلغ عددها ثلاث مائة ألف بينة » تتمة حقيقة الوحي ص ٦٨.

وقوله : « هو الإله الحق الذي أرسل رسوله في القاديان (اسم بلده) وإن الله يحفظ القاديان ويحرسها من الطاعون ولو يستمر إلى سبعين سنة ؛ لأنها مسكن رسوله وفي هذا آية للناس » دافع البلاء ص ١٠ و ١١ .

وقوله : (قد نفخ فيَّ روح عيسى ، كما نفخ في مريم ، وحبلت بصورة الاستعارة ، وبعد أشهر لا تتجاوز عن عشرة أشهر ، حولت عن مريم ، وجعلت عيسى ، وبهذا الطريق صرت ابن مريم) سفينة نوح ص ٤٧.

ويقول : « إن الله سماني بمريم التي حبلت بعيسى وأنا المقصود من قوله تعالى في سورة التحريم : ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ لأني أن الوحيد الذي ادعيت بأني مريم ، وأنه نفخ فيَّ روح عيسى » هامش حقيقة الوحي ص ٣٣٧.

وعلى هذا الأساس تعتقد القاديانية بأن غلام أحمد هو ابن الله ، بل هو عين الله ، ويقول : « خاطبني الله بقوله : اسمع يا ولدي » البشرى ١/ ٤٩ .

ويقول أيضًا : « قال لي الرب : أنت مني ، وأنا منك ، ظهورك ظهوري » وحي المقدس ص ٦٥٠ .

ويقول : « إن الله نزل فيّ ، وأنا واسطة بينه وبين المخلوقات كلها » كتاب البرية ص ٧٥ .

ويقول : « لقد رأيت في إلهامي أني أنا الله فأيقنت أني هو » ويزعم أن قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ منزل في حقه وكذلك كثير من الآيات التي أنزلت على محمد ﷺ ينزلها على نفسه ويدعي أنه هو المراد ، فمنها قوله تعلى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٌ يُوحَىٰ ﴾ ومنها قوله تعالى : ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ ويزعم أن سورة الكهف نزلت في حقه . وينسب قصة الإسراء لنفسه ، ويزعم أن الآيات التي نزلت فيها تعينه هو .

وأنت بهذا تراه حينًا يدعي النبوة وحينًا يدعي الألوهية ، مما يدل على حمقه وجهله واختلال عقله ، كيف يدعي أنه الله ثم يدعي أنه رسول من عند الله ، وحينًا يدعي أنه عيسى ابن مريم ، وحيناً يدعي أنه أفضل من عيسى ، وحينًا يدعي أن القرآن أخبر عنه ، وأن عيسى بشر به وغير ذلك مما يوضح لك تخبطه الفكري واضطرابه النفسي فضلاً عن مخالفته لصريح الكتاب والسنة وإجماع الأمة ، ويجب القول بخروجه من الملة ، وقد جاء في

كتاب (موقف الأمة الإسلامية من القاديانية) لجماعة من علماء الباكستان ص ٥٧ قولهم عن القاديانيين : (وقد بلغ من جسارتهم الخبيثة المؤلمة المثيرة الوقحة أن أحد دعاتهم ، وهو المسمى (سيد زين العابدين ولي الله شاه) ألقى كلمة مفصلة في مؤتمر القاديان السنوي سنة (١٩٣٤م) وعنوانها (اسمه أحمد) ادعى فيها أن المراد من هذه الآية هو مرزا غلام أحمد ، وليس بمحمد ﷺ وحاول أن يثبت أن جميع بشائر النصر والفتح التي وردت في سورة الصف في حق الجماعة القاديانية ، وليست للصحابة . فيقول مخاطبًا جماعته : فهذه الأخرى – يشير إلى الآية الكريمة- : ﴿ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ [الصف:١٣] نعمة غالية كان الصحابة يتمنونها ولكنهم لم يستطيعوا أن يحصلوا عليها وإنها تحصل لكم . هكذا أساءوا إلى النبي ﷺ وأهانوا صحابته الكرام ، وسخروا بالآيات القرآنية بكل وقاحة متسترين بأسماء المسلمين) انتهى .

وهكذا نجد فيهم شبهًا كبيرًا من اليهود ؛ لأنهم يحرفون الكلم عن مواضعه ، وينسبون فضائل غيرهم لهم وهم يعلمون كذب أنفسهم .

ومن جملة افتراءاته وكذبه على الله قوله :

« أنت مني بمنزلة توحيدي وتغريدي ، فحان أن تُعان وتُعرف بين الناس ، أنت مني بمنزلة عرشي ، أنت مني بمنزلة ولدي ، أنت مني بمنزلة لا يعلمها الخلق (اهـ) . تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا ... يتقول على الله الكذب ويكذب القرآن ، ويقول عن الله أنه يقول له : أنت مني بمنزلة ولدي ، هذا تكذيب للقرآن ينسب للرحمن ولدًا ، والله عز وجل يقول :

﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾ [مريم : ٨٨-٩٣]. ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص : ١-٤] ونسبة الولد إلى الله كفر ؛ لأنه تكذيب للقرآن وتنقص لجناب الربوبية ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا .

ومما قاله في تعظيم بلدته وتفضيلها على مكة والمدينة ومطالبته الحج إليها دون مكة قوله : « إن القرآن الكريم قد ذكر أسماء ثلاث قرى بإكرام واحترام : مكة والمدينة والقاديان » حاشية إزالة الأوهام ص ٣٤ .

وقوله : « إن القاديان هي أم القرى فالذي ينقطع عنها يقطع ويمزق، فاتقوا من أن تقطعوا وتمزقوا ، وقد انقطع ثمرة مكة والمدينة ولكن ثمرة القاديان ما زالت طازجة » حقيقة الرؤيا ص ٤٦ .

وقوله : « أن مؤتمرنا السنوي هو الحج ، وإن الله اختار المقام لهذا الحج القاديان ...وممنوع فيه الرفث والفسوق والجدال » بركات الخلافت ص ٥و٧ لابن القادياني .

ومما قاله في تعظيم الانجليز وثنائه عليهم ومنافحته عنهم قوله ص١٥ في كتاب ترياق القلوب : « لقد قضيت معظم عمري في تأييد الحكومة الانجليزية وتصرفها ، وقد ألفت في منع الجهاد ووجوب طاعة

أولى الأمر الانجليز من الكتب والنشرات ما لو جمع بعضها إلى بعض لملأ خمسين خزانة » اهـ

ثم يقول : « لقد ظللت منذ حداثة سني – وقد ناهزت اليوم الستين– أجاهد بلساني وقلمي ، لأصرف قلوب المسلمين إلى الإخلاص للحكومة الانجليزية ، والنصح لها والعطف عليها ، وأنفي فكرة الجهاد التي يدين بها بعض جهالهم ، والتي تمنعهم من الإخلاص لهذه الحكومة » اهـ .

ثم يقول في موضع آخر : « يجب على كل مسلم أن يطيع هذه الحكومة بكل إخلاص » .

ويقول في موضع آخر : « ففكروا قليلاً ...أي أرض في الدنيا تؤويكم ؛ إن فارقتم ظل هذه الحكومة » .

ويقول في موضع آخر : « ألا إن الحكومة البريطانية رحمة لكم وبركة ...» .

ثم يقول أيضًا : « والانجليز خير لكم ألف مرة من هؤلاء المسلمين الذين يخالفونكم ...» .

ثم يذهب أيضًا قائلا : « الواقع أن الحكومة البريطانية جنة لنا ...» إلى آخر تصريحاته .

وإنما سقنا بعضًا منها ، كدلالة على أنه نبي مرسل من عند بريطانيا ضد المسلمين ، يوضح ذلك أيضًا قوله : « إن حكومة من الحكومات الإسلامية تعض عليكم الأنامل من الغيظ ، وتتربص بكم الدوائر ،

وتتحين الفرص لقتلكم ؛ لأنكم قد أصبحتم في نظرها كفارًا مرتدين ، فاعرفوا لهذه النعمة الإلهية ، ونعمة وجود الحكومة البريطانية قدرها ...» .

فتراه بهذا يعترف على نفسه بأن الحكومات الإسلامية ضده وضد دعوته ؛ لأنه يعلم علم اليقين أنه فارق جماعة المسلمين ، وارتد عن دينهم ، بقيامه بهذه الدعوة التي هي ضد الإسلام .

هذا قليل من كثير لو أردنا سرده لطال بنا الكلام ، ولكن هذه الترهات وهذه المغالطات والكفريات لا تروج إلا على السذج والطغام ممن لا يعرف دين الإسلام ، ولا يعرف شيئًا عن خاتم النبيين ﷺ .

* * *

الحكم على القاديانية

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب : ٤٠] .

هذه الآية الكريمة بمنطوقها تدل على أن محمدًا ﷺ رسول من عند الله ، وأنه خاتم النبيين وقد تواترت الأحاديث عنه ﷺ بأنه خاتم النبيين لا نبي بعده .

قال ابن عطية رحمه الله في تفسيره على كلمة (خاتَم) بفتح التاء : والمعنى أنهم به ختموا ، وقرأ الجمهور (خاتِم) بكسر التاء : والمعنى أنه ختمهم أي جاء آخرهم ، ثم قال رحمه الله : « هذه الألفاظ عند جماعة علماء الأمة خلفًا وسلفًا ؛ متلقاة على العموم التام مقتضية نصًا أنه لا نبي بعده ﷺ» .

وقال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية : « هذه الآية نص في أنه لا نبي بعده ، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بعده بطريق الأولى والأحرى ؛ لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبي، ولا ينعكس» قال : وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ من حديث جماعة من الصحابة رضي الله عنهم ، ثم ساق رحمه الله عددًا من الأحاديث التي تدل على ختم النبوة والرسالة به ﷺ :

منها : ما رواه البخاري ومسلم رحمهما الله عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : « إن مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بني بيتًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » هذا لفظ البخاري .

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : «فضلت على الأنبياء بست ، أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لي الغنائم ، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا ، وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بي النبيون » .

وروى البخاري ومسلم عن جبير بن مطعم ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لي أسماء ، أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد » وهذا لفظ مسلم . والعاقب : الذي ليس بعده نبي .

فهذه الأحاديث الثابتة الصحيحة الصريحة وغيرها مما بلغ حد التواتر تدل دلالة قطعية أنه لا نبي بعده ﷺ .

قال ابن كثير رحمه الله : والأحاديث في هذا كثيرة ، فمن رحمة الله تعالى بالعباد إرسال محمد ﷺ إليهم ، ثم من تشريفه لهم ختم الأنبياء والمرسلين به ، وإكمال الدين الحنيف له . قال : وقد أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه ، ورسوله ﷺ في السنة المتواترة عنه أنه لا نبي بعده ، ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب ، أفاك ، دجال ، ضال ، مضل ، ولو تخرق شعر ذؤابتيه بأنواع السحر ، والطلاسم ، والنيرنجيات ، فكلها محال وضلال عند أولى الألباب ، كما أجرى الله سبحانه على يد الأسود العنسي باليمن ؛ ومسيلمة الكذاب باليمامة ؛ من الأحوال الفاسدة والأقوال الباردة ما علم كل ذي لب وفهم وحجي أنهما كاذبان ضالان لعنهما الله ، وكذلك كل مدَّع لذلك إلى يوم القيامة ، حتى يُختموا بالمسيح الدجال .

فكل واحد من هؤلاء الكذابين يخلق الله تعالى معه من الأمور ما يشهد العلماء والمؤمنون بكذب ما جاء به ، وهذا من تمام لطف الله تعالى بخلقه ، فإنهم بضرورة الواقع لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر إلا على سبيل الاتفاق ، أو لما لهم فيه مقاصد إلى غيره ، ويكون في غاية الإفك

والفجور في أقوالهم وأفعالهم ، كما قال تعالى : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ .... ﴾ الآيات [الشعراء : ٢٢١-٢٢٢].

وهذا بخلاف حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فإنهم في غاية البر والصدق والرشد والاستقامة والعدل فيما يقولون ويفعلون ويأمرون به وينهون عنه ، مع ما يؤيدون به من الخوارق للعادات والأدلة الواضحات والبراهين الباهرات ، فصلوات الله وسلامه عليهم دائمًا مستمرًا ما دامت الأرض والسموات (اهـ كلام ابن كثير رحمه الله) .

وهؤلاء القاديانيون إذا تأملت عقائدهم ، وما هم عليه ، عرفت تمام المعرفة ، وأيقنت تمام اليقين ؛ أن بعضًا مما هم عليه يوجب تكفيرهم ، وعداوتهم ومنابذتهم ، وأن من شك في كفرهم وتردد في ذلك بعد معرفته بدعواهم ؛ فهو كافر .

فقد قال العلماء رحمهم الله :

إن من ادعى النبوة بعد محمد ﷺ أو صدق من ادعاها فهو كافر ؛ لأنه مكذب لقوله سبحانه : ﴿ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وهؤلاء القاديانية كفرهم مما لا شك فيه .

وليس تكفيرهم من طريق واحد ، بل من عدة طرق : فإن من ادعى النبوة كفر ، ومن زعم أن عيسى ولد من أب فهو كافر ، وكذلك من أنكر أن الله رفع عيسى إليه فهو كافر ، ومن أنكر معجزات الأنبياء التي أخبر عنها في كتابه ، أو أخبر عنها رسوله ﷺ بالسنة المتواترة فهو كافر . ومن

فضل الكفار على المسلمين ، أو تولاهم من دون المؤمنين فهو كافر ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [المائدة :٥١].

وهؤلاء القاديانيون قد اجتمعت فيهم هذه الأمور كلها ؛ ولذا فإن القول بتكفيرهم أمر لاشك فيه ولا مراء .

وإن أتباع القادياني تنطبق عليهم هذه الآية الكريمة، وهي قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ﴾ [إبراهيم : ٢٢] .

* * *

القرارات الصادرة من الهيئات الشرعية

بكفر القاديانية

لقد صدر عدد من المجامع الفقهية والمجالس العلمية الإسلامية عدد من القرارات في بيان كفر هذا المدعي للنبوة وضلاله ، وتكفير من انتسب إليه من الطوائف على اختلاف مسمياتها (القاديانية) أو (الأحمدية) فمن ذلك ما يأتي :

قرار رابطة العالم الإسلامي :

في ربيع الأول سنة ١٣٩٤هـ الموافق أبريل ١٩٧٤م انعقد مؤتمر كبير في مكة المكرمة للجمعيات الإسلامية في جميع العالم الإسلامي ، وحضر مندوبو ١٤٤ جمعية إسلامية ليس من بلاد إسلامية فحسب بل من بلاد العالم ، ومثَّل هذا المؤتمر المسلمون من المغرب إلى إندونيسيا ، وأصدروا بالإجماع قرارًا بكفر القاديانية وضلالها ، وفيما يلي نص القرار :

« القاديانية نحلة هدامة تتخذ من اسم الإسلام شعارًا لستر أغراضها الخبيثة ، وأبرز مخالفتها للإسلام :

ادعاء زعيمها النبوة ، وتحريف النصوص القرآنية ، وإبطالهم للجهاد.

القاديانية ربيبة الاستعمار البريطاني ، ولا تظهر إلا في ظل حمايته .

تخون القاديانية قضايا الأمة الإسلامية وتقف موالية للاستعمار والصهيونية ، تتعاون مع القوى المناهضة للإسلام ، وتتخذ هذه القوى واجهة لتحطيم العقيدة الإسلامية وتحريفها ، وذلك بما يأتي :

أ - إنشاء معابد تمولها القوى المعادية ، ويتم فيها التضليل بالفكر القادياني المنحرف .

ب - فتح مدارس ومعاهد وملاجئ للأيتام ، وفيها جميعًا تمارس القاديانية نشاطها التخريبي لحساب القوى المعادية للإسلام ، وتقوم القاديانية بنشر ترجمات محرفة لمعاني القرآن الكريم بمختلف اللغات العالمية.

ولمقاومة خطرها قرر المؤتمر ما يأتي :

١ – تقوم كل هيئة إسلامية بحصر النشاط القادياني في معابدهم ومدارسهم وملاجئهم ، وكل الأمكنة التي يمارسون فيها نشاطهم الهدام في منطقتها ، وكشف القاديانين ، والتعريف بهم للعالم الإسلامي تفاديًا للوقوع في حبائلهم .

٢ – إعلان كفر هذه الطائفة وخروجها عن الإسلام .

٣ – عدم التعامل مع القاديانيين أو الأحمديين ومقطعتهم اقتصاديًا واجتماعيًا وثقافيًا ، وعدم التزوج منهم ، وعدم دفنهم في مقابر المسلمين ، ومعاملتهم باعتبارهم كفارًا .

٤ – مطالبة الحكومات الإسلامية بمنع كل نشاط لأتباع مرزا غلام أحمد مدعي النبوة واعتبارهم أقلية غير مسلمة ، ويمنعون من تولي الوظائف الحساسة للدولة .

٥ – نشر مصورات لكل التحريفات القاديانية في القرآن الكريم مع حصر الترجمات القاديانية لمعاني القرآن والتنبيه عليها ، ومنع تداول هذه الترجمات » انتهى .

قرار المجمع الفقهي المنعقد بمكة المكرمة :

ومن هذه القرارات أيضًا قرار مجلس المجمع الفقهي المنعقد بمكة المكرمة في العاشر من شعبان ١٣٩٨هـ الموافق ١٥/ ٧/ ١٩٧٨م ، وقد

درس المجلس نحلتهم التي قام بالدعوة إليها مؤسس هذه النحلة ميرزا غلام أحمد القادياني سنة ١٨٧٦م ، وأصدر المجمع القرار التالي :

« الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه ، وبعد :

فقد استعرض مجلس المجمع الفقهي موضوع الفئة القاديانية التي ظهرت في الهند في القرن الماضي (التاسع عشر الميلادي) والتي تسمى أيضًا (الأحمدية) ودرس المجلس نحلتهم التي قام بالدعوة إليها مؤسس هذه النحلة ميرزا غلام أحمد القادياني سنة ١٨٧٦م مدعيًا أنه نبي يوحى إليه ، وأنه المسيح الموعود ، وأن النبوة لم تختم بسيدنا محمد بن عبد الله رسول الإسلام ﷺ (كما هي عليه عقيدة المسلمين بصريح القرآن العظيم والسنة) وزعم أنه قد نزل عليه ، وأوحى إليه أكثر من عشرة آلاف آية ، وأن من يكذبه كافر ، وأن المسلمين يجب عليهم الحج إلى قاديان ؛ لأنها البلدة المقدسة كمكة والمدينة ، وأنها هي المسماة في القرآن بالمسجد الأقصى كل ذلك مصرح به في كتابه الذي نشره بعنوان (براهين أحمدي) وفي رسالته التي نشرها بعنوان (التبليغ) .

واستعرض مجلس المجمع أيضًا أقوال وتصريحات ميرزا بشير الدين ابن غلام أحمد القادياني وخليفته ، ومنها ما جاء في كتابه المسمى (آينة صداقت) من قوله : « إن كل مسلم لم يدخل في بيعة المسيح الموعود (أي والده ميرزا غلام أحمد) سواء سمع باسمه أو لم يسمع هو كافر وخارج عن الإسلام (الكتاب المذكور صفحة ٣٥) وقوله أيضًا في صحيفتهم

القاديانية (الفضل) فيما يحكيه عن والده غلام أحمد نفسه أنه قال : « إننا نخالف المسلمين في كل شيء : في الله ، في الرسول ، في القرآن ، في الصلاة ، في الصوم ، في الحج ، في الزكاة ، وبيننا وبينهم خلاف جوهري في كل ذلك» صحيفة الفضل في ٣٠ من تموز يوليو ١٩٣١م .

وجاء أيضاً في الصحيفة نفسها (المجلد الثالث) ما نصه « إن ميرزا هو النبي محمد ﷺ » زاعمًا أنه هو مصداق قول القرآن حكاية عن سيدنا عيسى عليه السلام ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ (كتاب إنذار الخلافة ص ٢١) . واستعرض المجلس أيضًا ما كتبه ونشره العلماء والكتاب الإسلاميون الثقات عن هذه الفئة القاديانية الأحمدية لبيان خروجهم عن الإسلام خروجًا كليًا .

وبناء على ذلك اتخذ المجلس النيابي الإقليمي لمقاطعة الحدود الشمالية في دولة باكستان قرارًا في عام ١٩٧٤م بإجماع أعضائه يعتبر فيه الفئة القاديانية بين مواطني باكستان أقلية غير مسلمة ، ثم في الجمعية الوطنية (مجلس الأمة الباكستاني العام لجميع المقاطعات) وافق أعضاؤها بالإجماع أيضاً على اعتبار فئة القاديانية أقلية غير مسلمة .

يضاف إلى عقيدتهم هذه ما ثبت بالنصوص الصريحة من كتب ميرزا غلام أحمد نفسه ومن رسائله الموجهة إلى الحكومة الانكليزية في الهند التي يستدرها ويستديم تأييدها وعطفها من إعلانه تحريم الجهاد ، وأنه ينفي فكرة الجهاد ليصرف قلوب المسلمين إلى الإخلاص للحكومة الانجليزية المستعمرة للهند ؛ لأن فكرة الجهاد التي يدين بها بعض جهال المسلمين

تمنعهم من الإخلاص للانجليز! ويقول في هذا الصدد في ملحق كتابه (شهادة القرآن) الطبعة السادسة ص ١٧ ما نصه « أنا مؤمن بأنه كلما ازداد أتباعي وكثر عددهم قل المؤمنون بالجهاد ؛ لأنه يلزم من الإيمان بأني المسيح أو المهدي إنكار الجهاد » تنظر رسالة الأستاذ الندوي نشر الرابطة ص ٢٥.

وبعد أن تداول مجلس المجمع الفقهي في هذه المستندات وسواها من الوثائق الكثيرة المفصحة عن عقيدة القاديانيين ومنشئها وأسسها وأهدافها الخطيرة في هدم العقيدة الإسلامية الصحيحة وتحويل المسلمين عنها تحويلاً وتضليلاً ، قرر المجلس بالإجماع اعتبار العقيدة القاديانية المسماة أيضًا بالأحمدية عقيدة خارجة عن الإسلام خروجًا كاملاً ، وأن معتنقيها كفار مرتدون عن الإسلام ، وإن تظاهر أهلها بالإسلام إنما هو للتضليل والخداع، ويعلن مجلس المجمع الفقهي أنه يجب على المسلمين حكومات وعلماء وكتاب ومفكرين ودعاة وغيرهم مكافحة هذه النحلة الضالة وأهلها في كل مكان من العالم . وبالله تعالى التوفيق» .

فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء :

وقد سئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية عن حكم الإسلام في جماعة القاديانية فأفتوا بأنه قد صدر الحكم من حكومة الباكستان بكفر هذه الفرقة وأنها خارجة عن الإسلام .

وكذلك صدر نفس الحكم من رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ومن مؤتمر المنظمات الإسلامية المنعقد في الرابطة عام ١٣٩٤هـ ثم بينت اللجنة الحكم على هذه الفرقة بقولها :

« والخلاصة : أنها طائفة تدعي أن ميرزا غلام أحمد الهندي نبي يوحى إليه ، وأنه لا يصح إسلام أحد حتى يؤمن به ، وهو من مواليد القرن الثالث عشر (الهجري) وقد أخبر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم أن نبينا محمد ﷺ هو خاتم النبيين ، وأجمع علماء المسلمين على ذلك ، فمن ادعى أنه يوجد بعده نبي يوحى إليه من الله عز وجل فهو كافر ؛ لكونه مكذبًا لكتاب الله عز وجل ومكذبًا للأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ الدالة على أنه خاتم النبيين ومخالفًا لإجماع الأمة » . (من الفتوى رقم ١٦١٥)

وفي فتوى رقم (٤٣١٧) وقد سئلت اللجنة الدائمة أيضًا عن القاديانية ونبيهم المزعوم جاء ما نصه :

« الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه .. وبعد :

ختمت النبوة بنبينا محمد ﷺ فلا نبي بعده ؛ لثبوت ذلك بالكتاب والسنة ، فمن ادعى النبوة بعد ذلك فهو كذاب ، ومن أولئك غلام أحمد القادياني ، فدعواه النبوة لنفسه كذب ، وما زعمه القاديانيون من نبوته فهو زعم كاذب .

وقد صدر قرار من مجلس هيئة كبار العلماء بالمملكة باعتبار القاديانيين فرقة كافرة من أجل ذلك . وبالله التوفيق. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قرار المحكمة الشرعية الفدرالية بجمهورية باكستان الإسلامية :

وقد أصدرت المحكمة الشرعية الفيدرالية بتاريخ ١٢/ ٨/ ١٩٨٤م قراراً يقضي باعتبار القاديانية فئة كافرة .

وقد صدرت أيضًا فتاوى كثيرة إفرادية من علماء أجلاء في أنحاء العالم الإسلامي يقضي بكفر هذه الطائفة .

اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك . اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك . اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه . وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد خاتم أنبيائك ورسلك وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين[1] .

* * *

(١) أشرف على طباعة هذه الرسالة / عبد المجيد بن محمد السبيل ، عام ١٤٢٢هـ .

الفهرس

* * *

(٧)

المختار

من الأدعية والأذكار

تأليف
سماحة الشيخ العلامة
محمد بن عبد الله السبيل رحمه الله
إمام وخطيب المسجد الحرام وعضو هيئة كبار العلماء وعضو المجمع الفقهي الإسلامي
(١٣٤٥ - ١٤٣٤هـ)



المقدمـــــة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :

فهذه رسالة مختصرة في بيان فضل ذكر الله عز وجل ودعائه ، وإيراد جملة من الأذكار التي يحتاجها كل مسلم ، أسأل الله تعالى أن ينفع بها ، ويجعلها خالصة لوجهه الكريم . والحمد لله رب العالمين .

محمد بن عبد الله السبيل

مكة المكرمة في ١/ ٣/ ١٤٢٨هـ

فصل

في فضل الذكر وفوائده

إن ذكر الله من أفضل الأعمال والطاعات، وأحبها إلى الله تعالى، وهو من أعظم ما يحصل به تفريج الكربات، وإزالة الهموم، واطمئنان القلوب، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾[الرعد: ٢٨].

قال بعض العلماء: ذكر الله هو مظهر لمعرفة الإنسان ربه، والثناء عليه؛ ولهذا يصرح القرآن الكريم بأن ذكر الله وسيلة للتقرب إلى الله سبحانه، وأن الذاكرين مجزيون بمحبته، ورحمته، وحسبنا هذه الآيات القرآنية في فضيلة الذكر:

يقول سبحانه: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة:١٥٢].

ويقول سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾[الأحزاب: ٤١ – ٤٣].

قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية:

« لا يفرض الله على عباده فريضة إلا جعل لها حدًا معلومًا ثم عذر أهلها في حال عذر غير الذكر، فإن الله لم يجعل له حدًا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدًا في تركه إلا مغلوبًا على عقله، قال: ﴿ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ

جُنُوبِكُمْ ﴾[النساء: ١٠٣] بالليل والنهار، في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة والسر والعلانية، وعلى كل حال، وقال: ﴿ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٤٢] فإذا فعل ذلك، صلى عليكم هو وملائكته، قال الله عز وجل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ ﴾ [الأحزاب: ٤٣] » انتهى.

وقال جل وعلا: ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، وقال سبحانه: ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

ويقول سبحانه: ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥].

وقال جل وعلا: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ آل عمران: [١٩٠ - ١٩١].

وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [المنافقون: ٩].

وإذا بين القرآن فضائل الذكر؛ نرى أنه يعلن في موضع آخر بأن الإعراض عنه يضل الإنسان، ويؤدي إلى شقائه، يقول سبحانه: ﴿ وَمَن

يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٦-٣٧].

والمعنى أن من يعرض عن ذكر الله ، فلم يخف سطوته ، أو أعرض عن آياته ، يسلط الله عليه شيطاناً يلازمه ، ويغويه ، ويزين له فعل المعاصي. ولهذا يقول سبحانه في الآية الأخرى : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [الحشر: ١٩].

هذا وإن ذكر الله له أثر كبير في تربية النفس ، فالذي يذكر ربه ، ويتصور عظمته ، يخشع قلبه ، ويلين ، فلا يصدر عنه من الأفعال إلاّ كل خير ؛ لأنه يعلم أن الله مطلع عليه ، بينما الذين يعرضون عن ذكر الله خالقهم ، وينزلقون في غمرة هذه الحياة ، يكون ذلك داعيًا لقسوة قلوبهم ، التي ينتج عنها الشر ، ولذلك حذر الله سبحانه من الوصول إلى هذه الحالة الممقوتة ، يقول سبحانه : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [الحديد: ١٦].

ولشدة عناية الإسلام بذكر الله ، جعل الصلاة التي يتقرب الإنسان بها إلى ربه مشتملة على أنواع كثيرة من الأذكار ، وجعلها خمساً في اليوم والليلة ، وزيادة على ذلك النوافل التي رتب الله عليها الفضل العظيم ، ومن أفضل النوافل صلاة الليل ، التي يجتمع بها الحواس ، ويتفرغ القلب فيها ، فيمتلئ من الرغبة والرهبة إلى الله ، ويستحضر قراءته ، وتسبيحه ، وذكره ، ووقوفه بين يدي ربه سبحانه ، فعند ذلك يخشع قلبه ، ويطمئن

بذكر الله ، ويتجدد إيمانه ، ويقوى ، كما قال سبحانه : ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء: ٧٨].

وقيام الليل معروف لدى أهل العبادات أنه يحصل فيه ما لا يحصل في غيره من الخشوع ، والتذلل ، وحصول لذة المناجاة بين يدي الله عز وجل ؛ ولذلك وصف الله سبحانه المؤمنين بقوله : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [السجدة: ١٦].

وإن مجالس الذكر هي أجل المجالس وأفضلها وهي مجالس الملائكة التي يتنادون لحضورها ، وهي المجالس التي يباهي بها الله جل جلاله الملائكة ، فقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري قال : «خرج معاوية على حلقة في المسجد فقال : ما أجلسكم؟ قالوا : جلسنا نذكر الله . قال : آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا : والله ما أجلسنا إلا ذاك ، قال : أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم ، وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثا مني ، وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال : ما أجلسكم ؟ قالوا : جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ، ومن به علينا ، قال : آلله ما أجلسكم إلا ذاك ؟ قالوا : والله ما أجلسنا إلا ذاك . قال: أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم ، ولكنه أتاني جبريل ، فأخبرني أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة »[١] .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ:

(١) مسلم رقم (٢٧٠١) .

« إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا : هلموا إلى حاجتكم ، قال : فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا ، قال : فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم : ما يقول عبادي ؟ قالوا: يقولون يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك ، قال : فيقول : هل رأوني ؟ قال : فيقولون : لا والله ما رأوك ، قال : فيقول: وكيف لو رأوني ، قال : يقولون لو رأوك كانوا أشد لك عبادة ، وأشد لك تمجيدا وتحميدا ، وأكثر لك تسبيحا ، قال : يقول : فما يسألوني؟ قال: يسألونك الجنة ، قال : يقول : وهل رأوها؟ قال : يقولون : لا والله يا رب ما رأوها ، قال يقول : فكيف لو أنهم رأوها ، قال : يقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا ، وأشد لها طلبا ، وأعظم فيها رغبة ، قال : فمم يتعوذون ؟ قال : يقولون: من النار ، قال : يقول : وهل رأوها؟ قال: يقولون : لا والله يا رب ما رأوها ، قال يقول : فكيف لو رأوها ، قال يقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فرارًا ، وأشد لها مخافة، قال : فيقول : فأشهدكم أني قد غفرت لهم ، قال : يقول ملك من الملائكة فيهم : فلان ليس منهم ، إنما جاء لحاجة ، قال : هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم »[1] .

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « سبق المفردون، قالوا : يا رسول الله : من المفردون؟ قال : الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات »[2] .

---

(١) رواه البخاري رقم (٦٤٠٨) واللفظ له ، ومسلم رقم (٢٦٨٩).
(٢) رواه مسلم رقم (٢٦٧٦) .

وروى البخاري في صحيحه عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال : « مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت »[١] .

وفي صحيح مسلم عن الأغر أبي مسلم قال : أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال : « لا يقعد قوم في مجلس يذكرون الله فيه إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ، ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده »[٢] .

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا » قالوا : يا رسول الله وما رياض الجنة ؟ قال : حلق الذكر » رواه أحمد والترمذي وقال : حسن غريب من هذا الوجه[٣] .

وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : « كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه » رواه مسلم[٤] .

وصح عنه ﷺ أنه قال : « ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا: بلى يا رسول الله ، قال : ذكر الله » رواه أحمد والترمذي وابن ماجة[٥] .

---

(١) رواه البخاري رقم (٦٤٠٧) .

(٢) رواه مسلم رقم (٢٧٠٠) .

(٣) رواه أحمد رقم (١٢٠٦٥) ، والترمذي رقم (٣٤٣٢) .

(٤) رقم (٣٧٣) .

(٥) أحمد رقم (٢٠٧١٣) والترمذي رقم (٣٢٩٩) ، وابن ماجة رقم (٣٧٩٠) .

وقال ﷺ في الحديث القدسي عن ربه عز وجل: « من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم »[١].

وقال ﷺ: «وآمركم بذكر الله فإن مثل ذلك مثل رجل خرج العدو في أثره سريعًا حتى إذا أتى على حصن عظيم، فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله »[٢].

وعن عبد الله بن بسر أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن شرائع الإيمان قد كثرت علي، فأخبرني بشيء أتشبث به، قال: « لا يزال لسانك رطبًا من ذكر الله تعالى » رواه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب[٣].

فكل هذه الآيات والأحاديث تدل عل فضيلة الذكر، وترغب فيه، ولا شك أن ذكر الله من أفضل الأعمال، فهو يرقق القلب، ويذكره بالله وعظمته وجلالته، فيمتلئ قلبه محبة، وإجلالاً، وتعظيماً لربه، وذلاً، وخضوعاً له سبحانه، وهذا في الحقيقة هو العبادة التي خلق الخلق من أجلها، كما قال ابن القيم رحمه الله:

وعبادة الرحمن غاية حبه ... مع ذل عابده هما قطبان

وعليهما فلك العبادة دائر ... ما دار حتى قامت القطبان

واعلم أن أفضل الذكر تلاوة القرآن الكريم، وقد ورد فضيلة بعض

---

(١) رواه البخاري رقم (٧٤٠٥)، ومسلم رقم (٢٦٧٥).
(٢) رواه الترمذي رقم (٢٧٩٠).
(٣) رواه الترمذي رقم (٣٢٩٧).

السور يستحب قراءتها في الصباح والمساء .

ففي صحيح البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « فمن قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه »[١] .

وروى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله : « أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة ، فشق ذلك عليهم ، وقالوا : أينا يطيق ذلك يا رسول الله ؟ فقال ﷺ : الله الواحد الصمد ثلث القرآن »[٢] .

قال ابن القيم رحمه الله :

« قراءة القرآن أفضل من الذكر ، والذكر أفضل من الدعاء ، هذا من حيث النظر إلى كل منهما مجردًا ، وقد يعرض للمفضول ما يجعله أولى من الفاضل ، بل يعينه ، فلا يجوز أن يعدل عنه إلى الفاضل ، بل القراءة فيها منهي عنها نهي تحريم أو كراهة ... وهكذا الأذكار المقيدة بمحال مخصوصة أفضل من القراءة المطلقة ، والقراءة المطلقة أفضل من الأذكار المطلقة ، اللهم إلا أن يعرض للعبد ما يجعل الذكر أو الدعاء أنفع له من قراءة القرآن... » انتهى كلامه رحمه الله[٣] .

وليس المراد بالذكر مجرد الذكر باللسان فقط ، بل ما تطابق فيها اللسان والقلب ، فيكون النطق بالذكر باللسان نابعًا من القلب ،

---

(١) البخاري رقم (٥٠١٠) ، ومسلم رقم (٨٠٨) .

(٢) البخاري رقم (٥٠١٥) ، ومسلم رقم (٨١١) .

(٣) الوابل الصيب ١/ ١٢٢-١٢٣ .

واستحضار عظمة الله سبحانه وتعالى .

فكلما ذكر أسماء الله وصفاته تذكر ما تدل عليه من المعاني ، فإذا ذكر اسم الرحمن استحضر في قلبه سعة رحمة الله ، وأنها وسعت كل شيء ، وأن رحمته سبحانه غلبت غضبه ، وأنه يرحم عباده ، ومن ثمرات هذه الرحمة أنه يجلب لهم المحبوب ، ويدفع عنهم المكروه ، وينعم عليهم بأصناف النعم ، ويربيهم بها ، وأن رحمة الله عمت جميع المخلوقات ، وأن له رحمة خاصة بعباده المؤمنين ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٣] .

وهكذا كلما مر عليه ذكر شيء من أسمائه وصفاته سبحانه تذكر مدلول ذلك الاسم أو الصفة ، فهو سبحانه عليم أحاط علمه بجميع الأشياء ، لا تخفى عليه خافية ، يعلم السر وأخفى ، يعلم ما توسوس به نفوس عباده ، يعلم كل شيء على التفصيل ، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ، يقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وهكذا في جميع الأسماء والصفات يستحضر كل ما دلت عليه من المعاني ، فهذا هو الذكر المطلوب ، الذي تواطأ عليه القلب واللسان ، وهو الذي يستكمل فيه الذاكر الثواب العظيم .

وقد ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله فصلاً في فوائد الذكر ، وأنها تزيد

على مائة فائدة ، والحقيقة أنها لا يحاط بها ، ولو لم يكن فيها إلاّ أنها تطرد الشيطان عنك لكفى ، فإن الشيطان لا يقترب ممن يذكر الله ، وأن الذاكر يذكره الله عز وجل .

فمن فوائده : أنه يرضي الرب ، ويزيل الهم والغم عن القلب ، ويجلب له الفرح والسرور ، ويقوي البدن والقلب ، ويجلب الرزق ، ويكسو الذاكر المهابة ، والحلاوة ، والنضرة في وجهه ، ويورثه المحبة التي هي روح الإسلام ، وقطب رحى الدين ، ومدار السعادة والنجاة ، فقد جعل الله لكل شيء سببًا ، وجعل سبب محبة الله عز وجل دوام ذكره ، فمن أراد أن ينال محبة الله فليلهج بذكره ، فالذكر باب المحبة وطريقها الأعظم وصراطها الأقوم ، ويورث دوام الذكر المراقبة ، مراقبة الله سبحانه وتعالى ، حتى يدخل باب الإحسان ، فيعبد الله كأنه يراه ، ويورثه الإنابة ، وهي الرجوع إلى الله والقرب منه ، ويفتح له بابًا عظيمًا من أبواب المعرفة ، ويؤته الهيبة والإجلال لربه .

وقال رحمه الله : سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول : الذكر للقلب مثل الماء للسمك ، فكيف حال السمك إذا فارق الماء. ويورث جلاء القلب من صداه ، فكل شيء له صدى ، وصدى القلب الغفلة والهوى ، وجلاه الذكر والتوبة والاستغفار، ويحط الخطايا ، ويذهبها؛ لأنه من أعظم الحسنات ، والحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين ، ويزيل الوحشة بين العبد وبين ربه ، وهو منجاة للعبد من عذاب الله ، كما قال معاذ بن جبل ﷺ ، ويروى أيضًا مرفوعًا إلى النبي ﷺ : « ما عمل ابن آدم

عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله »[١] .

والذكر سبب لنزول السكينة على العبد ، وغشيان الرحمة له ، وحفوف الملائكة به ، وهو غراس الجنة ، فقد روى الترمذي ، وحسنه عن ابن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « لقيت إبراهيم ليلة أسري بي ، فقال : يا محمد أقرئ أمتك السلام ، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء ، وأنها قيعان ، وأن غراسها سبحان الله، والحمد لله ، ولا إله إلاّ الله ، والله أكبر »[٢] .

وروى الترمذي عن جابر عن النبي ﷺ قال : « من قال : سبحان الله وبحمده ؛ غرست له نخلة في الجنة » . وقال الترمذي : حديث حسن صحيح[٣] .

والمستحب لكل أحد أن يديم الذكر في جميع الأحيان ، فقد كان ﷺ يذكر الله على كل أحيانه ، وينبغي أن يكون حال المرء مع ذكر الله تعالى على أكمل الأحوال وأتمها ، خاشعًا، حاضر القلب، يقول الله سبحانه : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف : ٢٠٥].

* * *

(١) رواه أحمد رقم (٢١٠٦٤) .

(٢) رواه الترمذي رقم (٣٣٨٤) .

(٣) رواه الترمذي رقم (٣٣٨٦) .

فصل

في فضل التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير

أثنى الله عز وجل على المؤمنين والمؤمنات بذكرهم لربهم،ووعدهم على أعمالهم الصالحة-ومن جملتها الذكر- الجزاء العظيم ، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[الأحزاب: ٣٥].

وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير ، نذكر منها ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : « كلمتان حبيبتان إلى الرحمن ، ثقيلتان في الميزان، خفيفتان على اللسان: سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم»[١] .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لئن أقول : سبحان الله ، والحمد الله ، ولا اله إلا الله ، والله اكبر، أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس »[٢] .

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: « ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله ، قلت : يا رسول الله أخبرني بأحب الكلام إلى

---

(١) البخاري رقم (٧٥٦٣) ، ومسلم رقم (٢٦٩٤) .

(٢) مسلم رقم (٢٦٩٥) .

الله ، قال : إن أحب الكلام إلى الله : سبحان الله وبحمده »[١] .

وفي رواية : « أن النبي ﷺ سئل أي الكلام أحب إلى الله ؟ قال : ما اصطفى الله لملائكته ، أو لعباده : سبحان الله وبحمده »[٢] .

وروى مسلم في صحيحه عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، عشر مرات ، كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل »[٣] .

وروى مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه « أن ناسًا من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ : يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور ، يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون بفضول أموالهم ، قال: أو ليس قد جعل الله لكم ما تصدقون ؟ إن بكل تسبيحة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهي عن منكر صدقة ، وفي بضع أحدكم صدقة ، قالوا : يا رسول الله ، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر »[٤] .

وروى مسلم وغيره عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال :

---

(١) مسلم رقم (٢٧٣١) .

(٢) مسلم رقم (٢٧٣١) .

(٣) مسلم رقم (٢٦٩٣) .

(٤) رواه مسلم رقم (١٠٠٦) .

« خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل ، فمن كبر الله، وحمد الله ، وهلل الله ، وسبح الله ، واستغفر الله ، وعزل حجرًا عن طريق المسلمين ، أو شوكة ، أو عظماً عن طريق المسلمين ، أو أمر بمعروف ، أو نهى عن منكر ، عدد تلك الستين والثلاثمائة ، فإنه يمسي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار»(١) .

وروى البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال له : « قل : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنها كنز من كنوز الجنة »(٢) .

وروى مسلم في صحيحه من حديث جويرية أم المؤمنين رضي الله عنها : « أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح ، وهي في مسجدها ، ثم رجع بعد أن ضحى وهي جالسة فيه ، فقال : ما زلت اليوم على الحالة التي فارقتك عليها ؟ قالت : نعم ، فقال النبي ﷺ : لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات ، لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله وبحمده، عدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته»(٣) .

وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من قال : لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء

---

(١) مسلم رقم (١٠٠٧) .
(٢) البخاري رقم (٧٣٨٦) ، ومسلم رقم (٢٧٠٤) .
(٣) مسلم رقم (٢٧٢٦) .

قدير في يوم مائة مرة ، كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزًا من الشيطان ، يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه »[١] .

وقال : « من قال : سبحان الله وبحمده ، في يوم مائة مرة حطت خطاياه ، وإن كانت مثل زبد البحر» رواه البخاري ومسلم[٢] .

وفي حديث معاذ رضي الله عنه : « ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل ، قالوا : يا رسول الله ، ولا الجهاد في سبيل الله ، قال : ولا الجهاد في سبيل الله ، إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع، ثم تضرب به حتى ينقطع،ثم تضرب به حتى ينقطع »[٣] .

فهذه أحاديث عظيمة ثابتة عنه ﷺ فيها الأمر العظيم والثواب الجزيل مع عمل قليل يقوى عليه كل مسلم ، فينبغي المبادرة والمسارعة لهذه الخيرات .

* * *

---

(١) البخاري رقم (٦٤٠٣) ، ومسلم رقم (٢٦٩١) .

(٢) البخاري رقم (٦٤٠٥) ، ومسلم رقم (٢٦٩١) .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه في باب ثواب ذكر الله عز وجل ٧/ ٧١ ، والطبراني في المعجم الكبير رقم (١٦٧٦٥) ، ومسند عبد بن حميد رقم (١٢٩) .

فصل

في الأذكار التي تقال عند سماع الأذان وبعده

روى مسلم في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا قال المؤذن: الله أكبر ، الله أكبر ، فقال أحدكم : الله أكبر ، الله أكبر ، ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، ثم قال : أشهد أن محمدًا رسول الله ، قال : أشهد أن محمدًا رسول الله ، ثم قال: حي على الصلاة ، قال : لا حول ولا قولة إلا بالله ، ثم قال : حي على الفلاح ، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله ، ثم قال : الله أكبر ، الله أكبر ، قال : الله أكبر ، الله أكبر ، ثم قال : لا إله إلا الله ، قال : لا إله إلا الله من قلبه دخل الجنة »[1] .

وروى البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، آت محمدًا الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته ، حلت له شفاعتي يوم القيامة » رواه البخاري[2] .

وروى مسلم في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « من قال حين يسمع المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله ، رضيت بالله ربًا ، وبمحمد

---

(١) مسلم رقم (٣٨٥) .

(٢) رقم (٦١٤) .

رسولاً ، وبالإسلام دينًا ، غفر له ذنبه »[١] .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول : « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي ، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرًا ، ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له الشفاعة » رواه مسلم[٢] .

* * *

(١) مسلم رقم (٣٨٦) .
(٢) رقم (٣٨٤) .

فصل

في الأذكار التي تقال في الصلاة وبعدها

روى البخاري ومسلم رحمهما الله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يسكت بين التكبير والقراءة إسكاتة ، فقلت : بأبي وأمي أنت يا رسول الله ، إسكاتك بين التكبير والقراءة ما تقول ؟ قال: أقول : «اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب ، اللهم نقني من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد »[(١)] .

وروى أهل السنن عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان رسول الله ﷺ إذا افتتح الصلاة قال : سبحانك اللهم وبحمدك ، وتبارك اسمك ، وتعالى جدك، ولا إله غيرك »[(٢)] .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة قال : وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين ، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين ، اللهم أنت الملك ، لا إله إلا أنت ، أنت ربي وأنا عبدك ، ظلمت نفسي ، واعترفت بذنبي ، فاغفر لي ذنوبي جميعًا ، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، واهدني لأحسن الأخلاق ، لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، واصرف عني سيئها ، لا يصرف عني سيئها إلا

---

(١) البخاري رقم (٧٤٤) ، ومسلم رقم (٥٩٨).

(٢) أبو داود رقم (٧٧٦) ، والترمذي رقم (٢٢٦) ، وابن ماجة (٨٠٦) .

أنت ، لبيك وسعديك والخير كله في يديك ، والشر ليس إليك ، أنا بك وإليك ، تباركت وتعاليت، أستغفرك وأتوب إليك » رواه مسلم[١] .

وروى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها، قالت : « كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده : سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لي »[٢] .

وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : «أما الركوع فعظموا فيه الرب ، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء ، فقمن -أي حري - أن يستجاب لكم »[٣] .

وكان ﷺ يقول في سجوده : « اللهم اغفر لي ذنبي كله ، دقه وجله ، وأوله وآخره ، وعلانيته وسره »[٤] .

وعن حذيفة رضي الله عنه « أنه سمع النبي يقول إذا ركع : سبحان ربي العظيم ، ثلاث مرات ، وإذا سجد قال : سبحان ربي الأعلى ، ثلاث مرات » رواه أهل السنن[٥] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع قال : ربنا لك الحمد ، ملء السموات والأرض ،

(١) مسلم رقم (٧٧١) .
(٢) البخاري رقم (٨١٧) ، ومسلم رقم (٤٨٤) .
(٣) مسلم رقم (٤٧٩) .
(٤) مسلم رقم (٤٨٣) .
(٥) أبو داود رقم (٨٧١) ، والترمذي رقم (٢٤٣) ، والنسائي رقم (١٠٤٦) ، ابن ماجة رقم (٨٨٨).

وملء ما شئت من شيء بعد ، أهل الثناء والمجد ، أحق ما قال العبد ، وكلنا لك عبد ، اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد » رواه مسلم[١] .

وقال رفاعة بن رافع : كنا يومًا نصلي وراء النبي ﷺ ، فلما رفع رأسه من الركعة قال : سمع الله لمن حمده ، فقال رجل وراءه : ربنا ولك الحمد ، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه ، فلما انصرف قال : من المتكلم ؟ قال : أنا ، قال : رأيت بضعة وثلاثين ملكًا يبتدرونها أيهم يكتبها أول » رواه البخاري[٢] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « كان رسول الله يقول بين السجدتين : اللهم اغفر لي ، وارحمني ، وعافني ، واهدني ، وارزقني » رواه أبو داود[٣] .

وجاء في صفة التشهد : حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ : « التحيات لله ، والصلوات والطيبات ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله » رواه البخاري ومسلم[٤] .

وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه كما في صحيح مسلم : « أن رسول الله ﷺ قال : إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع ، يقول : اللهم إني

---

(١) رقم (٤٧٧) .
(٢) رقم (٧٩٩) .
(٣) رقم (٨٥٠) .
(٤) البخاري رقم (١٢٠١) ، ومسلم (٤٠٢) .

أعوذ بك من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن شر فتنة المسيح الدجال »[١] .

وعن علي رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت ، وما أسرفت ، وما أنت أعلم به مني ، أنت المقدم وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت » رواه مسلم[٢] .

وعن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه قال : « قلت : يا رسول الله إن الشيطان حال بيني وبين صلاتي وبين قراءتي يلبسها عليَّ ، فقال ﷺ : ذاك شيطان يقال له: خنزب ، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه ، واتفل على يسارك ثلاثًا ، فقلت ذلك فأذهبه الله عني»رواه مسلم[٣] .

وصح عن معاذ رضي الله عنه : « أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال : يا معاذ والله إني أحبك ، فقال : أوصيك يا معاذ ، لا تدعن في دبر كل صلاة تقول : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك »[٤] .

وفي صحيح البخاري من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ دبر الصلاة بهؤلاء الكلمات : اللهم إني أعوذ بك من الجبن ، وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر ، وأعوذ بك من فتنة

---

(١) مسلم رقم (٥٨٨) .

(٢) رقم (٧٧١) .

(٣) رقم (٢٢٠٣) .

(٤)رواه أحمد رقم (٢١١٠٣) ، وأبو داود رقم (١٥٢٢) ، والنسائي رقم (١٣٠٣) .

الدنيا ، وأعوذ بك من عذاب القبر »[١] .

وفي حديث ثوبان الذي في صحيح مسلم قال : « كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا ، وقال : اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، تباركت يا ذا الجلال والإكرام » . وقيل للأوزاعي : كيف الاستغفار؟ قال : يقول : أستغفر الله ، أستغفر الله[٢] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « من سبح الله دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين ، وحمد الله ثلاثًا وثلاثين وكبر ثلاثًا وثلاثين فتلك تسع وتسعون، وقال تمام المائة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، غفرت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر » رواه مسلم[٣] .

وفي البخاري ومسلم عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه : « أن رسول الله كان إذا فرغ من الصلاة ، وسلم ، قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد »[٤] .

وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما : «أنه كان يقول دبر كل صلاة حين يسلم: لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له

---

(١) البخاري رقم (٢٨٢٢) .

(٢) مسلم رقم (٥٩١) .

(٣) مسلم (٥٩٧) .

(٤) البخاري رقم (٨٤٤) ، ومسلم رقم (٥٩٣) .

الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه ، له النعمة ، وله الفضل ، وله الثناء الحسن ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون » قال ابن الزبير : وكان رسول الله ﷺ يهلل بهن دبر كل صلاة[1] .

وصح عنه ﷺ الأمر بقراءة المعوذتين ، وسورة الإخلاص دبر كل صلاة، ويقرأ أيضًا آية الكرسي ؛ لحديث أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ آية الكرسي عقيب كل صلاة ، لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت » رواه النسائي في الكبرى[2] .

ويزيد بعد صلاة الصبح وصلاة المغرب قول : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، بيده الخير ، يحيي ويميت ، وهو على كل شيء قدير عشر مرات » ؛ وذلك لما رواه عبد الرحمن بن غنم عن النبي ﷺ أنه قال: «من قال قبل أن ينصرف، ويثني رجله من صلاة المغرب والصبح: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك ، وله الحمد ، بيده الخير ، يحيي ويميت ، وهو على كل شيء قدير ، عشر مرات ، كتب له بكل واحدة عشر حسنات ، ومحيت عنه عشر سيئات ، ورفع له عشر درجات ، وكانت حرزًا من كل مكروه ، وحرزا من الشيطان الرجيم ، ولم يحِلَّ لذنبٍ يدركه إلا الشرك ، فكان من أفضل الناس » رواه أحمد[3] .

---

(١) مسلم رقم (٥٩٤) .
(٢) رقم (٩٩٢٨) .
(٣) رقم (١٧٣٠٥) .

وعن كعب بن عجرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «معقبات لا يخيب قائلهن، أو فاعلهن، دبر كل صلاة مكتوبة: ثلاثا وثلاثين تسبيحة، وثلاثا وثلاثين تحميدة، وأربعًا وثلاثين تكبيرة» رواه مسلم[1].

وفي رواية له من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين، وحمد الله ثلاثًا وثلاثين، وكبر الله ثلاثًا وثلاثين، وقال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر»[2].

فهذه جملة من الأذكار الواردة في الصلاة وبعدها.

واعلم أن الصلاة على الرسول ﷺ من أفضل الأعمال، فينبغي ملازمتها، والإكثار من الصلاة والسلام عليه، فهو سيد الأولين والآخرين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، وأفضل الخلق أجمعين، وقد وردت عدة أحاديث ترغب في ذلك، والله سبحانه أمر بذلك، وأخبر عن نفسه سبحانه أنه يصلي عليه وملائكته، قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وجاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من صلى عليَّ صلاة واحدة صلى الله عليه بها

(١) رقم (٥٩٦).
(٢) رواه مسلم رقم (٥٩٧).

عشرا » رواه مسلم[1] .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاة » رواه الترمذي وقال : حسن غريب[2] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « رغم أنف رجل ذكرت عنده ، فلم يصل عليَّ » رواه أحمد والترمذي وقال : حسن غريب[3] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « البخيل من ذكرت عنده ، ثم لم يصل عليَّ »رواه أحمد والترمذي وقال : حسن صحيح غريب[4] .

واعلم أن الصلاة على النبي ﷺ ركن من أركان الصلاة ، فلا تصح الصلاة بدون الصلاة والتسليم على محمد ﷺ .

وأكمل ألفاظ الصلاة عليه ﷺ هو ما أرشدنا إليه ﷺ ، ومن ذلك ما ثبت في الصحيحين من حديث كعب ابن عجرة رضي الله عنه قال : « خرج علينا رسول الله ، فقلنا : يا رسول الله، قد علمنا كيف نسلم عليك ، فكيف نصلي عليك ؟ قال : قولوا : اللهم صل على محمد ، وعلى آل محمد ، كما صليت على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل

---

(١) رقم (٤٠٨) .

(٢) رقم (٤٤٦) .

(٣) أحمد رقم (٧١٩٣) ، والترمذي رقم (٣٤٦٨) .

(٤) أحمد رقم (١٦٤٥) ، والترمذي رقم (٣٤٦٩) .

محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد »[1] .

فعليكم بالإكثار من الصلاة والسلام عليه ﷺ لتفوزوا بالأجر العظيم.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

* * *

(١) رواه البخاري رقم (٦٣٥٧) ، ومسلم (٤٠٦) .

فصل

فيما يقال عند دخول المسجد والخروج منه

عن أنس بن مالك رضي الله عنه : « أن رسـول الله ﷺ كـان إذا دخـل إلى المسجد قال: بسم الله ، اللهم صل على محمـد ، وإذا خـرج قـال : بسـم الله، اللهم صل على محمد » .

وعن أبي حميد أو أبي أسيد رضي الله عنهما قال : قـال رسـول الله ﷺ : «إذا دخل أحدكم المسجد فليقل : اللهم افتح لي أبواب رحمتك ، وإذا خرج فليقل : اللهم إني أسألك من فضلك » رواه مسلم[١] .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عـنهما عـن النبـي ﷺ « أنـه كـان إذا دخل المسجد قال : أعوذ بالله العظيم ، وبوجهه الكريم ، وبسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم . قال : فإذا قال ذلك ، قال الشيطان : حفظ مني سائر اليوم » رواه أبو داود[٢] .

* * *

---

(١) رقم (٧١٣) .
(٢) رقم (٣٩٤) .

فصل

في أذكار الصباح والمساء

ورد الكثير من الأذكار والأدعية تقال في مواضع مخصوصة، كالصباح والمساء، وفي الصلوات، وأدبارها، وغير ذلك، نذكر هنا طرفا مما جاء في أذكار الصباح والمساء وفضلها :

يقول الله عز وجل : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴾ [ق: ٣٩].

وقال سبحانه : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾ [غافر: ٥٥] ، وقال جل وعلا : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٥] ، وقال تبارك وتعالى : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴾ [الطور: ٤٨ - ٤٩] ، وقال سبحانه : ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ [الروم: ١٧ - ١٨] ، وقال سبحانه : ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ [النور: ٣٦ - ٣٧].

واعلم أن أذكار الصباح تكون بعد صلاة الصبح ، وأذكار المساء تكون بعد صلاة العصر ، وقد وردت في أحاديث كثيرة تقال في الصباح والمساء منها:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه كان يعلم أصحابه، يقول : « إذا أصبح أحدكم ، فليقل : اللهم بك أصبحنا ، وبك أمسينا ، وبك نحيا ، وبك نموت ، وإليك النشور ، وإذا أمسى فليقل : اللهم بك أمسينا ، وبك أصبحنا ، وبك نحيا وبك نموت ، وإليك المصير» رواه أهل السنن[1] .

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « سيد الاستغفار : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت ، خلقتني وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علي ، وأبوء لك بذنبي ، فاغفر لي ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » قال : ومن قالها من النهار موقنًا بها فمات من يومه قبل أن يمسي ، فهو من أهل الجنة ، ومن قالها من الليل وهو موقن بها ، فمات قبل أن يصبح ، فهو من أهل الجنة » رواه البخاري[2] .

وروى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من قال حين يصبح وحين يمسي : سبحان الله وبحمده ، مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه »[3] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال :

---

(١) رواه أبو داود (٥٠٦٨) ، والترمذي (٣٣١٣) ، وابن ماجة (٣٨٦٨) ، وأحمد (٨٢٩٥) .
(٢) رقم (٦٣٠٦) .
(٣) مسلم رقم (٢٦٩٢) .

يا رسول الله مرني بكلمات أقولهن إذا أصبحت ، وإذا أمسيت . قال : « قل: اللهم فاطر السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، رب كل شيء ومليكه ، أشهد إن لا إله إلا أنت ، أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه ، وأن أقترف سوءًا على نفسي ، أو أجره إلى مسلم . قال : قلها إذا أصبحت ، وإذا أمسيت ، وإذا أخذت مضجعك» رواه أحمد والترمذي ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح[١] .

وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ إذا أمسى قال : « أمسينا وأمسى الملك لله ، والحمد لله ، لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، رب أسألك خير هذه الليلة ، وخير ما بعدها ، وأعوذ بك من شر هذه الليلة ، وشر ما بعدها ، رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر ، وأعوذ بك من عذاب النار وعذاب في القبر، وإذا أصبح قال ذلك أيضا: أصبحنا وأصبح الملك لله»[٢] .

وعن عثمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: « ما من عبد يقول في صباح كل يوم ومساء كل ليلة : بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ، ثلاث مرات ، إلا لم يضره شيء» . رواه الترمذي وغيره ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح[٣] .

وعن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من قال حين

---

(١) رواه أحمد رقم (٤٩) ، والترمذي رقم (٣٤٥٢) .
(٢) مسلم رقم (٢٧٢٣) .
(٣) الترمذي رقم (٣٣١٠) .

يمسي ثلاث مرات : رضيت بالله ربًا ، وبالإسلام دينًا ، وبمحمد ﷺ نبيًا إلا كان حقًا على الله أن يرضيه يوم القيامة » رواه الترمذي ، وفي لفظ لأحمد عن رجل خدم النبي ﷺ قال : سمعت النبي ﷺ يقول : «ما من عبد يقول حين يمسي وحين يصبح : رضيت بالله ربًا ، وبالإسلام دينًا ، وبمحمد ﷺ نبيًا ن ثلاث مرات ، إلا كان حقًا على الله أن يرضيه »[١] .

وروى مسلم في صحيحه عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال : « ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا ، وبالإسلام دينًا ، وبمحمد رسولاً»[٢] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من قال إذا أمسى ثلاث مرات : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، لم تضره حمة تلك الليلة » رواه أحمد والترمذي وحسنه[٣] .

وعنه رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة، قال : أما لو قلت حين أمسيت : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ؛ لم تضرك » رواه مسلم[٤] .

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من قال حين يصبح أو يمسي : اللهم إني أصبحت أشهدك ، وأشهد حملة عرشك ، وملائكتك ،

---

(١) الترمذي رقم (٣٣١١) ، وأحمد (١٨٢٠١) .
(٢) مسلم رقم (٣٤) .
(٣) أحمد رقم (٧٥٥٧) ، والترمذي رقم (٣٥٢٩) .
(٤) رقم (٢٧٠٩) .

وجميع خلقك ، بأنك أنت الله ، لا إله إلا أنت وحدك لا شريك ، وأن محمدًا عبدك ورسولك ، أعتق الله ربعه من النار ، ومن قالها مرتين ؛ أعتق الله نصفه من النار ، ومن قالها ثلاثًا ؛ أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار ، فإن قالها أربعًا ؛ أعتقه الله من النار» رواه أبو داود[1] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، من قالها عشر مرات حين يصبح كتب الله له مائة حسنة ، ومحا عنه مائة سيئة، وكانت له عدل رقبة ، وحفظ بها يومئذ حتى يمسي ، ومن قالها حين يمسي كان له مثل ذلك » رواه أحمد[2] .

وعن عبد الله بن غنام رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « من قال حين يصبح : اللهم ما أصبح بي من نعمة ، أو بأحد من خلقك ، فمنك وحدك لا شريك لك ، فلك الحمد ، ولك الشكر ، فقد أدى شكر يومه ، ومن قال ذلك حين يمسي فقد أدى شكر ليلته» رواه أبو داود والنسائي في الكبرى واللفظ له[3] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « من قال : لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة ، كانت له عدل عشر رقاب ، وكتب له مائة حسنة ،

---

(١) رقم (٥٠٦٩) .

(٢) رقم (٨٣٦٢) .

(٣) أبو داود رقم (٥٠٧٣) ، والنسائي رقم (٩٨٣٥) .

ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزًا من الشيطان ، يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر من ذلك . ومن قال : سبحان الله وبحمده ، في يوم مائة مرة ، حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر »رواه مسلم[١] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما : « لم يكن النبي ﷺ يَدَع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح : اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة ، اللهم إني أسالك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي ، اللهم استر عوراتي ، وآمن روعاتي ، اللهم احفظني من بين يدي ، ومن خلفي ، وعن يميني ، وعن شمالي ، ومن فوقي ، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي » رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجة[٢] .

وعن ابن أبي بكرة رضي الله عنه أنه قال لأبيه : « يا أبت إني أسمعك تدعو كل غداة : اللهم عافني في بدني ، اللهم عافني في سمعي ، اللهم عافني في بصري ، لا إله إلا أنت ، تعيدها ثلاثًا حين تصبح ، وثلاثًا حين تمسي ، وتقول : اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر ، وأعود بك من عذاب القبر، لا إله إلا أنت ، تعيدها حين تصبح ثلاثًا ، وحين تمسي ثلاثًا ، قال : نعم يا بني ، إني سمعت النبي ﷺ يدعو بهن ، فأحب أن أستن بسنته » رواه أحمد وأبو داود والنسائي في الكبرى[٣] .

---

(١) رقم (٢٦٩١) .

(٢) أحمد رقم (٤٥٥٤) ، وأبو داود رقم (٥٠٧٤) ، والنسائي رقم (٥٤٣٥) ، وابن ماجة (٣٨٧١).

(٣) أحمد رقم (١٩٥٣٤) ، وأبو داود رقم (٥٠٩٠) ، والنسائي رقم (٩٨٥٠) .

وعن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول إذا أصبح وإذا أمسى : « أصبحنا على فطرة الإسلام ، وعلى كلمة الإخلاص ، وعلى دين نبينا محمد ﷺ ، وعلى ملة أبينا إبراهيم ، حنيفًا، مسلمًا ، وما كان من المشركين » رواه أحمد[١] .

وعن خبيب رضي الله عنه قال : خرجنا في ليلة مطر وظلمة شديدة نطلب النبي ﷺ ؛ ليصلي لنا، فأدركناه ، فقال : قل ، فلم أقل شيئًا ، ثم قال : قل ، فقلت : يا رسول الله ما أقول ؟ قال : قل : قل هو الله أحد ، والمعوذتين، حين تمسي وحين تصبح ثلاث مرات ، تكفيك من كل شيء » رواه أبو داود والترمذي والنسائي ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه[٢] .

* * *

(١) رقم (١٤٨١٨) .

(٢) أبو داود رقم (٥٠٨٢) ، والترمذي رقم (٣٤٩٩) ، والنسائي رقم (٥٤٢٨) .

فصل

في أذكار النوم

جاء عنه ﷺ أذكار مخصوصة عند النوم ، كما جاء في صحيح البخاري رحمه الله عن حذيفة رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خده ، ثم يقول : باسمك اللهم أحيا وأموت ، وإذا استيقظ قال : الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا ، وإليه النشور »[1] .

وعن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال له ولفاطمة : « إذا أويتما إلى فراشكما - أو قال : إذا أخذتما مضاجعكما - فكبرا ثلاثا وثلاثين ، وسبحا ثلاثا وثلاثين ، واحمدا ثلاثا وثلاثين فإنه خير لكما من خادم » رواه البخاري ومسلم[2] .

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال : «الحمد لله الذي أطعمنا ، وسقانا ، وكفانا ، وآوانا ، فكم من لا كافي له ، ولا مؤي» رواه مسلم[3] .

وعن حذيفة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يرقد وضع يده اليمنى تحت خده ، ثم يقول : « اللهم قني عذابك يوم تبعث عبادك » رواه أحمد والترمذي وحسنه[4] .

---

(١) البخاري رقم (٦٣٢٤) .

(٢) البخاري رقم (٦٣١٨) ، ومسلم رقم (٢٧٢٧) .

(٣) رقم (٢٧١٥) .

(٤) أحمد رقم (٢٢١٦٠) ، والترمذي رقم (٣٣٢٠) .

وعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه » متفق عليه[١].

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: « ما كنت أرى أحدًا يعقل ينام قبل أن يقرأ الآيات الثلاث من آخر سورة البقرة وإنها لمن كنز من تحت العرش » رواه الدارمي في سننه[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: « إذا أوى أحدكم إلى فراشه فليأخذ داخلة إزاره، فلينفض بها فراشه، ويسم الله، فإنه لا يعلم ما خلفه بعده على فراشه، فإذا أراد أن يضطجع، فليضطجع على شقه الأيمن، وليقل: سبحانك اللهم ربي، بك وضعت جنبي، وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي، فارحمها، وإن أرسلتها، فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين » رواه البخاري ومسلم واللفظ له[٣].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما « أنه أمر رجلاً إذا أخذ مضجعه أن يقول: اللهم خلقت نفسي، وأنت توفاها، لك مماتها ومحياها، إن أحييتها فاحفظها، وإن أمتها، فاغفر لها، اللهم إني أسألك العافية. قال ابن عمر: سمعته من رسول الله ﷺ » رواه مسلم[٤].

وعن حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها: « أن النبي ﷺ كان إذا أراد

---

(١) البخاري رقم (٥٠١٠)، ومسلم رقم (٨٠٨).

(٢) رقم (٣٢٥٠).

(٣) البخاري رقم (٦٣٢٠)، ومسلم رقم (٢٧١٤).

(٤) رقم (٢٧١٢).

أن يرقد وضع يده اليمنى تحت خده الأيمن يقول : اللهم قني عذابك ، يوم تبعث عبادك ، ثلاث مرات » رواه أحمد وأبو داود[١] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ « أنه كان يقول إذا أوى إلى فراشه : اللهم رب السموات ، ورب الأرض ، ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء ، فالق الحب والنوى ، ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان ، أعوذ بك من شر كل شر أنت آخذ بناصيته ، اللهم أنت الأول ، فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر ، فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر ، فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن ، فليس دونك شيء ، اقض عنا الدين ، وأغننا من الفقر » رواه مسلم[٢] .

وعنه رضي الله عنه « أنه أتاه آت يحثو من الصدقة، فقال : دعني أعلمك كلمات ، ينفعك الله بها ، قلت : ما هي ؟ فقال : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ حتى تختم الآية ، فإنه لا يزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح » فقال النبي ﷺ: صدقك وهو كذوب ، ذاك شيطان » رواه البخاري[٣] .

وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ، ثم نفث فيهما، فقرأ فيهما : قل هو الله أحد ، قل أعوذ برب الفلق ، قل أعوذ برب الناس ، ثم يمسح بهما ما استطاع من

---

(١) أحمد رقم (٢٥٢٦٠) ، وأبو داود رقم (٥٠٤٥) .

(٢) رقم (٢٧١٣) .

(٣) رقم (٣٢٧٥) .

جسده ، ثم يبدأ بهما على رأسه ، ووجهه ، وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات » رواه البخاري[1] .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أوى إلى فراشه طاهرًا ، وذكر الله تعالى ، لم ينقلب ساعة من الليل يسأل الله شيئًا من خيري الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه » رواه الترمذي وقال : حسن غريب[2] .

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن ، وقل : اللهم أسلمت نفسي إليك ، ووجهت وجهي إليك ، وفوضت أمري إليك ، وألجأت ظهري إليك ، رغبة ورهبة إليك ، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ، ونبيك الذي أرسلت ، فإن مت من ليلتك مت على الفطرة ، واجعلهن آخر ما تقول » متفق عليه[3] .

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من تعار - أي استيقظ - من الليل فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، الحمد لله ، وسبحان الله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ثم قال : اللهم اغفر لي ، أو دعا

---

(١) البخاري رقم (٥٠١٨) .

(٢) رقم (٣٤٤٩) .

(٣) البخاري رقم (٦٣١١) ، ومسلم رقم (٢٧١٠) .

استجيب له ، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته » رواه البخاري[١] .

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، قال : سمعت أبا قتادة بن ربعي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الرؤيا من الله ، والحلم من الشيطان ، فإذا رأى أحدكم شيئًا يكرهه ، فلينفث عن يساره ثلاث مرات إذا استيقظ، وليتعوذ بالله من شرها ، فإنها لن تضره إن شاء الله » قال أبو سلمة : إن كنت لأرى الرؤيا هي أثقل علي من الجبل ، فلما سمعت بهذا الحديث فما كنت أباليها » متفق عليه[٢] .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها ، فليبصق عن يساره ثلاثًا ، وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثًا ، وليتحول عن جنبه الذي كان عليه » رواه مسلم[٣] .

* * *

---

(١) رقم (١١٥٤) .
(٢) البخاري رقم (٥٧٤٧) ، ومسلم رقم (٢٢٦١) .
(٣) رقم (٢٢٦٢) .

فصل

في الرقى

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا اشتكى الإنسان الشيء منه ، أو كان به قرحة أو جرح ، قال النبي ﷺ بأصبعه هكذا ، ووضع سفيان بن عيينة سبابته بالأرض ، ثم رفعها ، وقال: بسم الله ، تربة أرضنا، بريقة بعضنا ، يشفى سقيمنا بإذن ربنا » متفق عليه[1] .

وعن عثمان بن أبي العاص : « أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعًا يجده في جسده منذ أسلم ، فقال رسول الله ﷺ : ضع يدك على الذي يألم من جسدك، وقل : بسم الله (ثلاثًا) ، وقل سبع مرات : أعوذ بعزة الله وقدرته ، من شر ما أجد وأحاذر » رواه مسلم[2] .

وعن عائشة رضي الله عنها « أن النبي ﷺ كان يعود بعض أهله يمسح بيده اليمنى ، ويقول: اللهم رب الناس ، أذهب الباس ، واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقمًا » متفق عليه[3] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين رضي الله عنهما ، ويقول : إن أباكما كان يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين

---

(١) البخاري رقم (٥٧٤٥) ، ومسلم رقم (٢١٩٤) .

(٢) رقم (٢٢٠٢) .

(٣) البخاري رقم (٥٧٥٠) ، ومسلم (٢١٩١) .

لامة» رواه البخاري[١] .

وعنه رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « من عاد مريضًا لم يحضر أجله ، فقال عنده سبع مرار : أسأل الله العظيم ، رب العرش العظيم ، أن يشفيك ، إلا عافاه الله من ذلك المرض » رواه أبو داود والترمذي ، وقال : حديث حسن[٢] .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : «انطلق نفر من أصحاب النبي ﷺ في سفرة سافروها حتى نزلوا على حي من أحياء العرب ، فاستضافوهم ، فأبوا أن يضيفوهم ، فلدغ سيد ذلك الحي ، فسعوا له بكل شيء لا ينفعه شيء ، فقال بعضهم : لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا ، لعله أن يكون عند بعضهم شيء ، فأتوهم ، فقالوا : يا أيها الرهط إن سيدنا لدغ ، وسعينا له بكل شيء لا ينفعه ، فهل عند أحد منكم من شيء ، فقال بعضهم : والله إني لأرقي ، ولكن والله لقد استضفناكم ، فلم تضيفونا ، فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لنا جعلاً ، فصالحوهم على قطيع من الغنم ، فانطلق يتفل عليه ويقرأ (الحمد لله رب العالمين) فكأنما نشط من عقال ، فانطلق يمشي ، وما به قلبة ، قال : فأوفوهم جُعلهم الذي صالحوهم عليه، فقال بعضهم : اقسموا ، فقال الذي رقى : لا تفعلوا حتى نأتي رسول الله ﷺ ، فنذكر له الذي كان ، فننظر ماذا يأمرنا ، فقدموا على رسول الله ﷺ ، فذكروا له ، فقال : وما يدريك أنها رقية ؟ ثم قال : قد أصبتم ، اقسموا

---

(١) رقم (٣٣٧١) .

(٢) أبو داود رقم (٣١٠٦) ، والترمذي رقم (٢٠٠٩) .

واضربوا لي معكم سهمًا ، فضحك النبي ﷺ » متفق عليه[(١)] .

وعنه رضي الله عنه : « أن جبريل أتى النبي ﷺ ، فقال : يا محمد اشتكيت؟ قال : نعم ، قال : بسم الله أرقيك ، من كل شيء يؤذيك ، من شر كل نفس ، أو عين حاسد ، الله يشفيك ، بسم الله أرقيك » رواه مسلم[(٢)] .

* * *

فصل

فيما يقال عند الكرب والحزن

عن ابن عباس رضي الله عنهما : « أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب : لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات ، ورب الأرض ، ورب العرش الكريم » متفق عليه[(٣)] .

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «دعوة ذي النون إذ دعا بها وهو في بطن الحوت : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب

(١) البخاري رقم (٢٢٧٦) ، ومسلم (٢٢٠١) .
(٢) رقم (٢١٨٦) .
(٣) البخاري (٦٣٤٥) ، ومسلم (٢٧٣٠) .

الله له» رواه الترمذي[١] .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ما أصاب أحدًا قط هم ولا حزن فقال : اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتي بيدك، ماض فيَّ حكمك ، عدل في قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحدًا من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي ، إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرجًا » رواه أحمد[٢] .

وعن أنس رضي الله عنه : « أن النبي ﷺ كان إذا كربه أمر قال : يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث » رواه الترمذي[٣] .

* * *

فصل

في خطبة الحاجة

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : علمنا رسول الله ﷺ خطبة الحاجة : الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، ثم يقرأ ثلاث آيات : ﴿ يَتَأَيُّهَا

---

(١) رقم (٣٤٢٧) .

(٢) رقم (٣٥٢٨) .

(٣) رقم (٣٤٤٦) .

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١].

* * *

فصل

في دعاء الاستخارة

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : « كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها ، كما يعلمنا السورة من القرآن ، يقول : إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ، ثم ليقل : اللهم إني أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر – وتسميه باسمه – خير لي في ديني ، ومعاشي ، وعاقبة أمري ، وعاجله ، وآجله ، فاقدره لي ، ويسره لي ، وبارك لي فيه ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ، ومعاشي ، وعاقبة أمري ،

وعاجله ، وآجله ، فاصرفه عني ، واصرفني عنه ، واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به » رواه البخاري[١] .

* * *

فصل

في الاستغفار

قال الله تعالى : ﴿ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَـٰرِ ﴾ [غافر: ٥٥]، وقال سبحانه : ﴿ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١٠٦] ، وقال سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٥] ، وقال تبارك وتعالى : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١١٠].

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « سيد الاستغفار أن يقول العبد : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت ، خلقتني وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي ، وأبوء بذنبي ، فاغفر لي ، فإنه لا يغفر

---

(١) رقم (٦٣٨٢) .

الـذنوب إلا أنـت » الحـديث رواه البخـاري ، وتقـدم في أذكـار الصـباح والمساء.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قـال : سـمعت رسـول الله ﷺ يقـول : «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليـه في اليـوم أكثـر مـن سـبعين مـرة » رواه البخاري[1] .

وعن الأغر المزني رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « إنـه ليغـان على قلبي ، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة » .

وعن أبي هريرة رضي الله عنـه قـال : قـال رسـول الله ﷺ : « والـذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقـوم يـذنبون فيسـتغفرون الله تعالى ، فيغفر لهم » رواه مسلم .

وفي الصحيحين : أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال : « يا رسول الله علمني دعاء أدعو به في صلاتي ، فقال : قل : اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا ، وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، فاغفر لي مغفرة من عندك ، وارحمني ، إنك أنت الغفور الرحيم »[2] .

* * *

---

(١) رقم (٦٣٠٧) .

(٢) البخاري رقم (٨٣٤) ، ومسلم رقم (٢٧٠٥) .

فصل

في كفارة المجلس

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه ، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك : سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك ، وأتوب إليك إلا كفر الله له ما كان في مجلسه ذلك » رواه الترمذي وقال : حسن صحيح[1] .

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه ، إلا قاموا عن مثل جيفة حمار ، وكان لهم حسرة » رواه أبو داود[2] .

* * *

فصل

فيما يقال عند الخروج من المنزل والدخول فيه

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : « ما خرج رسول الله ﷺ من بيتي قط إلا رفع طرفه إلى السماء ، وقال : اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أضل ، أو أزل أو أزل ، أو أظلم أو أظلم ، أو أجهل أو يجهل علي » رواه أحمد وأهل السنن ، وقال الترمذي : حسن صحيح[3] .

---

(١) الترمذي رقم (٣٣٥٥) .

(٢) رقم (٤٨٥٥) .

(٣) أحمد رقم (٢٥٥٠٤) ، وأبو داود رقم (٥٠٩٤) واللفظ له ، والترمذي رقم (٣٣٤٩) ، والنسائي رقم (٥٤٨٦) ، وابن ماجة رقم (٣٨٨٤) .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من قال إذا خرج من بيته بسم الله ، توكلت على الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، يقال له حينئذ : كفيت ووقيت وهديت ، وتنحى عنه الشيطان ، فيقول لشيطان آخر : كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقي » رواه أبو داود والترمذي وقال : حسن صحيح غريب[١] .

وهذا الذكر يشرع لكل خارج من بيته لصلاة وغيرها .

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : «سمعت رسول الله ﷺ يقول : إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه ، قال الشيطان : لا مبيت لكم ولا عشاء ، وإذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله قال الشيطان : أدركتم المبيت ، وإذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء » رواه مسلم[٢] .

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إذا ولج الرجل بيته فليقل : اللهم إني أسألك خير المولج ، وخير المخرج ، باسم الله ولجنا ، وباسم الله خرجنا ، وعلى الله ربنا توكلنا ، ثم يسلم على أهله » رواه أبو داود[٣] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يا بني إذا دخلت على أهلك فسلم ، يكن بركة عليك وعلى أهل بيتك » رواه

---

(١) أبو داود رقم (٥٠٩٥) ، والترمذي رقم (٣٣٤٨) .
(٢) رقم (٢٠١٨) .
(٣) رقم (٥٠٩٦) .

الترمذي وقال : حسن صحيح[١] .

* * *

فصل

فيما يقال عند إرادة السفر وركوب الدابة

عن سالم قال : « كان ابن عمر رضي الله عنهما يقول للرجل إذا أراد سفرًا : ادن مني أودعك كما كان رسول الله ﷺ يودعنا ، فيقول : أستودع الله دينك ، وأمانتك ، وخواتيم عملك » رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح[٢] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما : « أن النبي ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجًا إلى سفر كبر ثلاثًا ، ثم قال : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾ [الزخرف: ١٣ - ١٤] ، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا ، واطو عنا بعده ، أنت الصاحب في السفر ، والخليفة في الأهل ، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر ، وكآبة المنظر ، وسوء المنقلب في المال والأهل » وإذا رجع قالهن وزاد فيهن : آيبون ، تائبون ، عابدون ، لربنا

---

(١) الترمذي رقم (٢٦٢٢) .

(٢) الترمذي رقم (٣٣٦٥) .

حامدون » رواه مسلم[١] .

* * *

فصل

فيما يقال عند الأكل والشرب

عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ : « يا غلام سم الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك » متفق عليه[٢] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى في أوله ، فإن نسي أن يذكر الله تعالى في أوله فليقل : بسم الله أوله وآخره » رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح[٣] .

وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من أكل طعامًا فقال : الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة ؛ غفر له ما تقدم من ذنبه » رواه الترمذي وقال : حديث حسن[٤] .

---

(١) رقم (١٣٤٢) .
(٢) البخاري رقم (٥٣٧٦) ، ومسلم (٢٠٢٢) .
(٣) الترمذي رقم (١٧٨١) .
(٤) الترمذي رقم (٣٣٨٠) .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا رفع مائدته قال : الحمد لله كثيرًا طيبًا مباركًا فيه ، غير مكفي ، ولا مودع ، ولا مستغنى عنه ربنا» رواه البخاري[١] .

* * *

فصل

فيما يقال عند العطاس وأدب التثاؤب

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : «إن الله يحب العطاس ، ويكره التثاؤب ، فإذا عطس أحدكم وحمد الله كان حقًا على كل مسلم سمعه أن يقول: يرحمك الله ، وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان ، فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع ، فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك منه الشيطان » رواه البخاري[٢] .

وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إذا عطس أحدكم فليقل : الحمد لله ، وليقل له أخوه أو صاحبه : يرحمك الله ، فإذا قال له : يرحمك الله، فليقل : يهديكم الله ويصلح بالكم » رواه البخاري[٣] .

اللهم اجعلنا من الذاكرين لك ، والمتبعين لسنة نبيك محمد ﷺ .

---

(١) رقم (٥٤٥٨) .
(٢) رقم (٦٢٢٣) .
(٣) رقم (٦٢٢٤) .

أدعية مختارة

اعلم أيها الأخ الكريم أن من أفضل العبادات وأعظمها ذكر الله عز وجل ودعائه، وسؤاله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العلا، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال سبحانه: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال سبحانه: ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقال جل وعلا: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٢]، وقال ﷺ: « الدعاء هو العبادة »[1].

وإن من أنفع ما تصرف فيه الأوقات ذكر الله عز وجل ودعائه في كل وقت، وفي أوقات الإجابة آكد؛ لا سيما يوم عرفة، فإنه من أعظم الأيام.

وينبغي أن يكون الدعاء بخشوع، وحضور قلب، واستحضار عظمة المسئول، وقدرته جل شأنه، وعظيم كرمه وعطائه، وأن يكون السائل مخبتًا لربه، منكسرًا بين يديه سبحانه، يرجو رحمته، ويخشى عذابه، موقنًا بالإجابة، غير مستبطئ لها، يلح في دعائه، ويكرره ثلاثًا، مستقبلاً القبلة، رافعًا يديه، يدعو تضرعًا وخُفْية، يبدأ دعاءه بالثناء على الله جل وعلا،

---

(١) رواه أحمد (١٧٨٨٨)، وأبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجة (٣٨٢٨).

والصلاة والسلام على نبيه محمد ﷺ، مقرًا بذنبه ، معترفًا بتقصيره، عازمًا في مسألته ، غير معتد في دعائه ، مجتنبًا أكل الحرام؛ ليكون مستجاب الدعوة .

ومن أعظم الذكر والدعاء الوارد ما روي عنه ﷺ أنه قال : « خير الدعاء دعاء يوم عرفة ، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد وهو على كل شيء قدير » رواه الترمذي[١] .

ويكثر من الصلاة على النبي ﷺ ، ويكثر من الدعاء بما يحب من خيري الدنيا والآخرة ، خصوصًا هذه الدعوة القرآنية التي حث عليها رسول الله ﷺ : ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة: ٢٠١] ، وفي الصحيحين : «كان أكثر دعاء النبي ﷺ : اللهم آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار »[٢] ، ويكررها ، ويدعو لوالديه ، وأهله ، ومشايخه، وإخوانه ، وعموم المسلمين.

ومن جوامع الدعاء والذكر الوارد :

لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه ، له النعمة ، وله الفضل ، وله الثناء الحسن .

لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون.

لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين .

---

(١) رقم (٣٥٨٥).

(٢) البخاري رقم (٦٣٨٩) ، ومسلم رقم (٢٦٩٠) .

لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، يحيي ويميت، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير ، سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم .

ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار .

ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين .

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصرًا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، واعف عنا ، واغفر لنا وارحمنا ، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين .

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة ، إنك أنت الوهاب .

ربنا ظلمنا أنفسنا ، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين .

ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين ، واجعلنا للمتقين إمامًا .

ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم .

ربنا عليك توكلنا ، وإليك أنبنا ، وإليك المصير .

اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي ، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي ، واجعل الحياة زيادة لي في

كل خير، والموت راحة لي من كل شر .

اللهم إني أسألك من الخير كله ، عاجله وآجله ، ما علمت منه وما لم أعلم ، وأعوذ بك من الشر كله ، عاجله وآجله ، ما علمت منه وما لم أعلم.

اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسالك العفو والعافية في ديني ودنياي، وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي ، وآمن روعاتي، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي ، وعن يميني ، وعن شمالي ، ومن فوقي ، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي.

اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني .

اللهم أحسن عاقبتي في الأمور كلها ، وآجرني من خزي الدنيا ، وعذاب الآخرة .

اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك .

اللهم الهمني رشدي ، وقني شر نفسي .

اللهم إني أسألك الجنة ، وما قرب إليها من قول أو عمل ، وأعوذ بك من النار ، وما قرب إليها من قول أو عمل ، وأسألك من خير ما سألك منه عبدك ورسولك محمد ﷺ ، وأعوذ بك من شر ما استعاذ بك منه عبدك ورسولك محمد ﷺ ، وأسألك ما قضيت لي من أمر أن تجعل عاقبته رشدًا .

اللهم إني أسألك صحة في إيمان ، وإيمانًا في حسن خلق ، ونجاحًا يتبعه فلاح ، ورحمة منك وعافية ، ومغفرة منك ورضوانًا .

اللهم إني أسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والسلامة من كل إثم ، والغنيمة من كل بر ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار .

اللهم اجعل في قلبي نورًا ، وفي سمعي نورًا ، واشرح لي صدري ، ويسر لي أمري .

اللهم لك صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي ، وإليك مآبي .

اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، ومن العجز والكسل ، ومن الجبن والبخل ، ومن المأثم والمغرم ، ومن غلبة الدين وقهر الرجال .

اللهم لك أسلمت، وبك آمنت ، وعليك توكلت، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، أعوذ بعزتك أن تضلني لا إله إلا أنت ، أنت الحي الذي لا يموت ، والجن والإنس يموتون .

اللهم اقسم لي من خشيتك ما تحول به بيني وبين معصيتك ، ومن طاعتك ما تبلغني به جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علي مصائب الدنيا ، اللهم متعني بسمعي وبصري وقوتي ما أحييتني ، واجعله الوارث مني ، واجعل ثأري على من ظلمني ، وانصرني على من عاداني، ولا تجعل مصيبتي في ديني، ولا تجعل الدنيا أكبر همي ، ولا مبلغ علمي ولا تسلط علي من لا يرحمني.

اللهم لك الحمد ، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد ، أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد ، أنت الحق، ووعدك حق ، وقولك حق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق ، والنار حق ،

والساعة حق ، والنبيون حق ، ومحمد ﷺ حق .

اللهم إني أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل إثم ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار .

اللهم إني أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وأن تغفر لي وترحمني ، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون .

اللهم أظلني تحت ظل عرشك ، يوم لا ظل إلا ظلك .

اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن الخزي في الدنيا والآخرة .

اللهم رب السموات ورب الأرض ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى ، منزل التوراة والإنجيل والقرآن ، أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته ، أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقض عني الدين ، وأغنني من الفقر .

اللهم أعط نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها .

اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها .

اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي ، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

أسأل الله تعالى أن ينفعني وسائر إخواني بها والله الموفق . وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وكتبه

محمد بن عبد الله السبيل

إمام وخطيب المسجد الحرام

فهرس الموضوعات

(٨)

الإجازة

بأسانيد الرواية

لراجي رحمة ربه

سماحة الشيخ العلامة

محمد بن عبد الله السبيل رحمه الله

إمام وخطيب المسجد الحرام وعضو هيئة كبار العلماء وعضو المجمع الفقهي الإسلامي

(١٣٤٥ - ١٤٣٤هـ)

ⓒ مدار الوطن للنشر، ١٤٣٦هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
السبيل، محمد عبد الله
المجموعة الكاملة لمؤلفات سماحة الشيخ محمد عبد الله السبيل.
من منبر المسجد الحرام (بحوث ورسائل شرعية) ـ الإجازة بأسانيد الرواية ـ الجزء ٧/
محمد عبد الله السبيل ـ الرياض، ١٤٣٦هـ.
...ص؛ ... سم.
ردمك: ٠ ـ ٢٤ ـ ١٧١ـ ٨١٧١ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨
١ ـ السبيل، محمد بن عبد الله بن محمد ٢ ـ الإسلام ـ بحوث أ ـ العنوان
ديوي: ٢١٠،٧ ١٤٣٦/٧٦١٧هـ

رقم الإيداع: ١٤٣٦/٧٦١٧ هـ
ردمك: ٠ ـ ٢٤ ـ ١٧١ـ ٨١٧١ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨

الطبعة الأولى
١٤٣٦ هـ ـ ٢٠١٥م



المملكة العربية السعودية
المقر الرئيسي: الرياض ـ الروضة

ص.ب.: ٢٤٥٧٦٠ الرمز البريدي ١١٣١٢
هاتف: ٠١١٢٣١٣٠١٨ (٣ خطوط)
٠١١٤٧٩٢٠٤٢
فاكس: ٠١١٢٣٢٢٠٩٦

فرع السويدي
هاتف: ٠١١٤٢٦٧١٧٧ ـ فاكس: ٠١١٤٢٦٧٣٧٧
الرياض: ٠٥٠٣٢٦٩٣١٦
الغربية: ٠٥٠٤١٤٣١٩٨
الشرقية: ٠٥٠٣١٩٣٢٦٨
الشمالية والقصيم: ٠٥٠٤١٣٠٧٢٨
التوزيع للشرقية والجنوبية: ٠٥٠٣١٩٣٢٦٩
التوزيع الخيري لباقي جهات المملكة: ٠٥٠٦٤٣٦٨٠٤
التسويق للجهات الحكومية: ٠٥٠٠٩٩٦٩٨٧

pop@madaralwatan.com • madaralwatan@hotmail.com • www.madaralwatan.com

بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم

الإجازة بأسانيد الرواية

الحمد لله الذي هدانا إلى سبيل الحق والرشاد، ومَنّ علينا باتباع هدي خير العباد، وخص أمة محمد ﷺ بفضيلة الإسناد، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المعاد، أما بعد:

فإن الله عز وجل قد مَنَّ عليَّ بجوده وكرمه بسلوك سبيل العلم الشرعي، والنهل من معينه، وقد شرفني الله عز وجل بالتتلمذ على عدد من علماء نجد الأعلام، أمثال الشيخ/ محمد بن مقبل آل مقبل، والشيخ/ عبد العزيز بن عبد الله بن سبيل، والشيخ عبد الله بن محمد بن حميد، والقراءة على بعض علماء المسجد الحرام، أمثال الشيخ/ عبد الحق بن عبد الواحد الهاشمي، والشيخ/ أبي سعيد محمد عبد الله نور إلهي، وذلك في مختلف علوم الشرع. وقد تحصلت ممن يعتني بالإسناد من أولئك العلماء على إجازات عديدة:

منها إجازة من الشيخ / عبد الحق الهاشمي المدرس بالمسجد الحرام وبدار الحديث بمكة المكرمة في القرآن الكريم[1]، والموطأ، والصحيحين، والسنن الأربعة، وسنن الدارمي، وسنن الدارقطني، وسنن البيهقي،

---

(١) لم أورد سند إجازته للقرآن الكريم اكتفاء بذكره في إجازة خاصة بالقرآن الكريم.

ومسند الإمام أحمد، وصحيح ابن خزيمة، وصحيح ابن حبان، وصحيح الحاكم، وتفسير الطبري، وتفسير ابن كثير، وتفسير الجلالين.

وإجازة من الشيخ / أبي سعيد محمد عبد الله نور إلهي المدرس بالمسجد الحرام وبدار الحديث بمكة المكرمة في الصحيحين، والسنن الأربعة بأسانيد متصلة منهما إلى أصحاب الكتب المذكورة.

حيث أجازنا شيخنا العلامة / عبد الحق بن عبد الواحد الهاشمي بالكتب المذكورة على النحو التالي:

أما الموطأ: فأخبرني به شيخنا عبد الحق بن عبد الواحد الهاشمي، عن أبي سعيد حسين بن عبد الرحيم ، عن السيد نذير حسين، عن محمد عابد السندي، عن صالح بن محمد العمري، عن محمد بن سعيد المدني، عن عبد الوهاب الطنطاوي، عن محمد بن عبد الباقي الزرقاني (شارح الموطأ)، عن أبيه، عن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الأجهوري، عن محمد بن أحمد الرملي، عن الزين زكريا الأنصاري، عن الحافظ ابن حجر العسقلاني، عن محمد بن علي بن عقيل البالسي، عن محمد بن علي، عن محمد بن محمد الدلاصي، عن عبد العزيز، عن جده إسماعيل بن طاهر، عن محمد الطرشوشي، عن الباجي (شارح الموطأ)، عن القاضي أبي الوليد يونس بن عبد الله الصفار القرطبي، عن يحيى بن عبد الله الليثي، عن عبد الله بن يحيى الليثي، عن أبيه يحيى بن يحيى الليثي، عن الإمام مالك.

ح وأخبرنا شيخنا عبد الحق بن عبد الواحد الهاشمي، عن أبي سعيد، عن السيد نذير حسين، عن الشاه إسحاق، عن الشاه عبد العزيز، عن الشاه

ولي الله، عن أبي الطاهر الكردي، عن والده إبراهيم بن حسن الكردي، وأحمد بن محمد النخلي المكي، وعبد الله بن سالم البصري، وحسن بن علي العجيمي، جميعهم عن محمد بن العلاء البابلي، عن سالم بن محمد السنهوري، عن محمد بن أحمد الغيطي، عن الزين الأنصاري، عن الحافظ ابن حجر، عن أبي حفص المراغي، والصلاح المقدسي، عن الفخر بن البخاري، عن يحيى بن محمد الصائغ، عن القاضي عياض، عن أبي عمران موسى ابن تليد، وأبي علي الغساني، عن الحافظ ابن عبد البر (شارح الموطأ)، عن أبي عثمان سعيد بن نصر، عن قاسم بن أصبغ، عن محمد بن وضاح، عن يحيى بن يحيى الليثي، عن الإمام مالك.

وأما صحيح البخاري: فأخبرنا به شيخنا عبد الحق بن عبد الواحد الهاشمي، عن أبي سعيد حسين بن عبد الرحيم، وأبي الوفاء ثناء الله الأمرتسري، وأبي الحسن محمد بن الحسين الدهلوي، وأبي إسماعيل إبراهيم ابن عبد الله، وأبي محمد بن محمود الطنافسي، وأبي تراب الدير آبادي، وأبي عبد الله العظيم آبادي، وأبي اليسار محمد بن عبد الله الغيطي، ومحمد بن أبي محمد الرياسي، كلهم عن السيد نذير حسين.

ح وأرويه عن شيخنا عبد الحق بن عبد الواحد الهاشمي بالإجازة عن السيد نذير حسين، عن عبد الرحمن بن سليمان الأهدل اليماني، عن محمد بن محمد بن سنة المغربي، عن أبي الوفاء أحمد بن محمد بن العجل اليماني، عن محمد بن أحمد المكي، عن أبي الفتوح أحمد بن عبد الله الطاؤوسي، عن المعمر ثلاثمائة سنة بابا يوسف الهروي الشهير (بسه صد

ساله) عن المعمر مائة وأربعين سنة أبي عبد الرحمن محمد بن شاد بخت الفارسي الفرغاني، عن أبي لقمان يحيى بن عمار بن مقبل بن شاهان الفارسي الختلاني، عن أبي عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفربري، عن البخاري.

ح وبالسند إلى محمد بن محمد بن سنة، عن محمد بن عبد الله الوولاتي، عن أبي المعارف، وأبي السرور، وأبي الفضل بن عاشر، عن أبي الذخائر الغرناطي، عن أبي العباس أحمد بن الحسن التسولي، عن محمد بن جابر الوادي آشي، عن ابن مجاهد، عن أبي محمد أحمد بن خليل، عن القاضي عياض، والقاضي أبي بكر ابن العربي، عن القاضي أبي علي الصدفي، عن أبي الوليد الباجي، عن أبي ذر الهروي.

ح وأخبرنا شيخنا عبد الحق بن عبد الواحد الهاشمي، عن أحمد بن عبد الله بن سالم البغدادي، عن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، عن جده شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب النجدي الدرعي، عن عبد الله بن إبراهيم المدني، عن عبد القادر التغلبي، عن عبد الباقي، عن أحمد الوفائي، عن موسى الحجازي، عن أحمد الشويكي، عن العسكري، عن الحافظ عبد الرحمن بن رجب، عن الحافظ ابن القيم، عن الحافظ ابن تيمية، عن الفخر بن البخاري، عن أبي ذر الهروي، عن شيوخه الثلاثة السرخسي والمستملي والكشميهني، عن الفربري، عن البخاري.

ح وأخبرنا به شيخنا عبد الحق بن عبد الواحد الهاشمي عن الحسين ابن حيدر الهاشمي، وخليل بن محمد بن الحسين بن محسن الأنصاري، وأبي محمود هبة الله بن محمود الملائي المهدوي، وعبد التواب بن عبد الوهاب

الاسكندر آبادي، كلهم عن حسين بن محسن الأنصاري، عن محمد بن ناصر الحسيني اليماني الحازمي، عن محمد بن علي الشوكاني.

ح وأخبرنا به شيخنا عبد الحق بن عبد الواحد الهاشمي، عن أحمد بن عبد الله البغدادي، عن عبد الرحمن بن عباس بن عبد الرحمن، عن الشوكاني، عن عبد القادر بن أحمد الكوكباني، عن عبد الخالق بن أبي بكر المزجاجي، عن إبراهيم بن حسن الكردي، عن البابلي، عن سالم بن محمد السنهوري، عن محمد بن أحمد الغيطي، عن الزين الأنصاري، عن الحافظ ابن حجر (شارح البخاري).

ح وبالسند إلى ابن سنة، عن أحمد بن العجل، عن يحيى بن مكرم الطبري، عن الزين الأنصاري، والشمس السخاوي، عن الحافظ ابن حجر، عن البرهان التنوخي، عن أبي العباس أحمد بن أبي طالب الحجار، عن السراج بن المبارك.

ح وبالسند إلى ابن سنة، عن محمد بن عبد الله الوولاتي، عن علي الأجهوري، عن عبد الرحمن الأجهوري، عن القسطلاني (شارح البخاري)، عن نجم الدين بن تقي الدين، عن عبد الرحمن المقدسي، عن محمد بن موسى، عن أحمد بن علي اليونيني، عن السراج بن المبارك.

ح وبالسند إلى ابن سنة، عن الوولاتي، عن البدر القرافي، عن جلال الدين السيوطي، عن قاسم بن قطلوبغا، عن العلامة العيني (شارح البخاري)، عن الحافظ زين الدين العراقي، عن العلامة التركماني، عن علي ابن محمد الفارسي، عن السراج بن المبارك.

ح وبالسند إلى الوولاتي، عن أحمد بن أبي العافية المكناسي، عن عبد الرحمن بن عبد القادر بن عبد العزيز، عن جده، عن محمد ابن أبي بكر الحسيني المراغي، عن الكرماني (شارح البخاري)، عن محمد بن أبي القاسم، عن محمد بن علي الدمشقي، عن السراج بن المبارك، عن أبي الوقت عبد الأول بن عيسى السجزي الهروي، عن الداوودي، عن السرخسي، عن الفربري، عن البخاري.

ح وبالسند إلى الحافظ ابن حجر، عن أبي حفص المراغي، والصلاح المقدسي، عن الفخر بن البخاري، عن عمر بن طبرزد البغدادي، عن إبراهيم بن محمد الكرخي، عن الخطيب البغدادي، عن كريمة بنت أحمد المروزية، عن الكشميهني، عن الفربري، عن البخاري.

ح وبالسند إلى محمد بن محمد بن سنة، عن أحمد بن العجل اليماني، عن يحيى بن مكرم الطبري، عن الزين الأنصاري، عن أبي الفتح المراغي، عن شرف الدين الصيقلي، عن أبي الحسن علي بن عمر الواني، عن أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد الأندلسي، عن أبي محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأشبيلي، عن أبي الحسن بن محمد، عن الإمام الحافظ ابن حزم الظاهري، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد الهمداني، عن المستملي، عن الفربري، عن البخاري.

ح وبالسند إلى الحافظ ابن حجر، عن الشرف بن الكويك القاهري، عن الحافظ الذهبي، عن الشرف الدمياطي، عن يوسف بن خليل الدمشقي، عن أبي جعفر الصيدلاني، عن أبي علي الحسن بن أحمد الحداد،

عن أبي نعيم الأصبهاني، عن المروزي، والجرجاني، عن الفربري، عن البخاري.

ح وبالسند إلى الحافظ ابن حجر، عن أبي علي محمد بن أحمد، عن يحيى بن محمد، عن جعفر بن علي الهمداني، عن عبد الله بن عبد الرحمن الديباجي، عن عبد الله بن محمد الباهلي، عن أبي علي الجياني، عن القاضي أبي عمر أحمد بن محمد الحذاء، عن الحافظ ابن عبد البر، عن أبي محمد الجهني، عن ابن السكن، عن الفربري، عن البخاري.

ح وبالسند إلى الحافظ ابن حجر، عن أبي الحسن علي بن محمد الدمشقي، عن سليمان بن حمزة، عن محمد بن عبد الهادي المقدسي، عن الحافظ أبي موسى المديني، عن الحسن بن أحمد، عن أبي العباس جعفر بن محمد المستغفري، عن الكشاني، عن الفربري، عن البخاري.

ح وبالسند إلى الحافظ ابن حجر، عن علي بن محمد الدمشقي، عن محمد بن يوسف، عن الحافظ ابن الصلاح، عن منصور بن عبد المنعم، عن محمد بن إسماعيل الفارسي، عن سعيد بن أحمد الصيرفي، عن ابن شبوية، عن الفربري، عن البخاري.

وأما صحيح مسلم: فبالسند إلى محمد بن محمد بن سنة، عن محمد بن عبد الله الوولاتي، عن البدر القرافي، عن الحافظ السيوطي، عن العلم البلقيني، عن والده السراج البلقيني، عن الحافظ أبي الحجاج المزي، عن الإمام النووي (شارح مسلم) عن إبراهيم بن عمر الواسطي، عن منصور

ابن عبد المنعم، عن محمد بن الفضل، عن عبد الغافر بن محمد النيسابوري، عن محمد بن عيسى الجلودي، عن إبراهيم بن سفيان، عن مسلم.

وأما سنن أبي داود: فبالسند إلى الحافظ ابن حجر، عن أبي علي المطرز ابن يوسف، عن الحافظ عبد العظيم المنذري، عن عمر بن طبرزد البغدادي، عن إبراهيم الكرخي، عن الخطيب البغدادي، عن القاسم بن جعفر الهاشمي، عن محمد بن علي اللؤلؤي، عن أبي داود.

وأما سنن الترمذي: فبالسند إلى الحافظ ابن حجر، عن أبي حفص المراغي، عن الفخر ابن البخاري، عن عمر بن طبرزد البغدادي، عن أبي الفتح الكروخي، عن أبي عامر وغيره، عن عبد الجبار الجراحي، عن أبي العباس المحبوبي، عن الترمذي.

وأما سنن النسائي: فبالسند إلى الحافظ ابن حجر، عن البرهان التنوخي، عن الحجار، عن عبد اللطيف بن محمد، عن أبي زرعة طاهر بن محمد المقدسي، عن أبي محمد الدوري، عن أبي نصر الكسار الدينوري، عن أبي بكر بن السني، عن النسائي.

وأما سنن ابن ماجه: فبالسند إلى الحافظ ابن حجر، عن أبي الحسن علي بن أبي المجد، عن الحجار، عن أنجب بن أبي السعادات، عن أبي زرعة طاهر بن أبي الفضل المقدسي، عن محمد بن الحسن المقدسي، عن القاسم بن أبي المنذر، عن أبي الحسن القطان، عن ابن ماجه.

وأما سنن الدارمي: فبالسند إلى الحافظ ابن حجر، عن البرهان التنوخي، عن الحجار، عن عبد الله بن عمر اللتي، عن أبي الوقت عبد الأول السجزي، عن أبي المظفر الداوودي، عن السرخسي، عن أبي عمران عيسى بن عمر السمرقندي، عند الدارمي.

وأما سنن الدارقطني: فبالسند إلى الحافظ ابن حجر، عن البرهان التنوخي، عن الحجار، عن أحمد بن عمر القطيعي، عن المبارك بن الحسن، عن أبي الحسن بن المهتدي، عن الدارقطني.

وأما سنن البيهقي: فبالسند إلى الحافظ ابن حجر، عن أبي حفص المراغي، والصلاح المقدسي، عن الفخر بن البخاري، عن أبي القاسم عبد الصمد بن محمد الهرستاني، عن زاهر بن طاهر بن محمد الشحامي، عن البيهقي.

وأما مسند الإمام أحمد: فبالسند إلى الحافظ ابن حجر، عن أبي حفص المراغي، عن الفخر بن البخاري، عن أبي علي الرصافي، عن هبة الله بن محمد الشيباني، عن الحسن بن علي التميمي المعروف بابن المذهب، عن أبي بكر أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي، عن عبد الله بن أحمد، عن أبيه.

وأما صحيح ابن خزيمة: فبالسند إلى الحافظ ابن حجر، عن إبراهيم ابن محمد الصلحي، عن محمد بن أحمد الزراد، عن الحسن بن محمد البكري، عن عبد المعز بن محمد الهروي، عن زاهر بن طاهر الشحامي، عن محمد بن عبد الرحمن الكنجرودي، عن محمد بن الفضل بن محمد بن إسحاق بن خزيمة، عن جده.

وأما صحيح ابن حبان: فبالسند إلى الحافظ ابن حجر، عن الشرف ابن الكويك، عن الذهبي، عن الشرف الدمياطي، عن علي بن الحسين بن المقير، عن أبي الكرم الشهرزوري، عن أبي الحسن بن المهتدي بالله، عن الدارقطني، عن ابن حبان.

وأما صحيح الحاكم: فبالسند إلى الحافظ ابن حجر، عن الشرف بن الكويك، عن الذهبي، عن الدمياطي، عن علي بن الحسين بن المقير، عن أحمد بن طاهر، عن أحمد بن علي الشيرازي، عن الحاكم.

وأما تفسير الطبري: فبالسند إلى الحافظ ابن حجر، عن البرهان التنوخي، عن الحجار، عن جعفر بن علي الهمداني، عن أبي القاسم بن بشكوال، عن موسى بن تليد، عن الحافظ ابن عبد البر، عن أبي عمر أحمد ابن محمد، عن أبي بكر أحمد بن الفضل بن عباس الخفاف الدينوري، عن الطبري.

وأما تفسير ابن كثير: فأخبرنا به شيخنا عبد الحق بن عبد الواحد الهاشمي بالإجازة عن أبي سعيد، عن السيد نذير حسين، عن عبد الرحمن ابن سليمان، عن محمد بن سنة، عن محمد بن عبد الله الوولاتي، عن البدر القرافي، عن الجلال السيوطي، عن تقي الدين فهد المكي، عن جمال الدين ظهيرة، عن ابن كثير.

وأما تفسير الجلالين: فبالسند إلى محمد بن العلاء البابلي، عن سالم بن محمد السنهوري، عن محمد بن عبد الرحمن العلقمي، عن الجلالين.

كما أجازني شيخنا العلامة عبد الحق الهاشمي بسائر مروياته عن مشايخه الكثيرين المذكورين في ثبته الكبير.

كما أجازنا شيخنا العالم الجليل / أبو سعيد محمد بن عبد الله نور إلهي برواية الكتب الستة عن شيخه العلامة الزاهد الحافظ الشيخ عبد الرحمن بن فتح الدين البنجابي ثم الدهلوي والعلامة المشتهر في الآفاق الشيخ أحمد الله بن أمير المحدث المباركفوري ثم الدهلوي والعلامة الفاضل الشيخ عبد المجيد بن كرم إلهي البنجابي رحمهم الله تعالى، أما الشيخان عبد الرحمن وأحمد الله فهما حصلا القراءة والإجازة من شيخيهما الجامع المحقق المشهور في الآفاق سيدنا نذير حسين الدهلوي، وأما الشيخ عبد المجيد فحصل القراءة والإجازة من شيخه عبد الرحيم بن عبد الله الغزنوي عن السيد نذير حسين عن الشيخ العلامة المحدث محمد إسحاق عن الشيخ الشهير العلامة المحدث الشاه عبد العزيز عن أبيه العلامة الفاضل المحدث ولي الله بن عبد الرحيم رضي الله عنهم أجمعين وسنده مثبت في العجالة النافعة وسيأتي إن شاء الله تعالى بيان شيء منه في آخر هذه الأوراق.

وقال الشيخ أحمد الله: أجازني شيخنا الأكرم مسند المحدثين رئيس المحققين حسين بن محسن الأنصاري الخزرجي السعدي اليماني عن العالم الفاضل محمد بن ناصر الحازمي والقاضي العلامة أحمد بن القاضي محمد بن علي الشوكاني الصنعاني كلاهما عن والد الثاني أعني به القاضي محمد بن علي الشوكاني عن شيخه السيد العلامة عبد القادر بن أحمد الكوكباني، عن

شيخه السيد العلامة سليمان بن يحيى بن عمر بن مقبول الأهدل رحمه الله تعالى ح برواية الشريف محمد بن ناصر والقاضي أحمد عاليا بدرجة وعن شيخنا السيد العلامة ذي المنهج الأعدل حسن بن عبد البلوي الأهدل ثلاثتهم عن السيد العلامة وجيه الإسلام ومفتي الأنام عبد الرحمن بن سليمان بن يحيى بن عمر بن مقبول الأهدل عن شيخه ووالده السيد العلامة سليمان بن يحيى بن عمر بن مقبول الأهدل عن شيخه السيد العلامة أحمد بن محمد الشريف الأهدل عن شيخيه العلامتين عبد الله بن سالم البصري المكي وأحمد بن محمد النخلي المكي كلاهما عن المحقق الرباني الشيخ إبراهيم بن حسن الكردي الكوراني المدني عن شيخه العلامة أحمد ابن محمد القشاشي عن شيخه العلامة الشمس محمد بن أحمد الرملي المصري الشافعي عن شيخ الإسلام القاضي زكريا بن محمد الأنصاري المصري ح برواية البصري والنخلي أيضًا عن الشمس محمد بن علاء الدين البابلي المصري عن سالم بن محمد السنهوري، عن النجم محمد بن أحمد الغيطي، عن القاضي زكريا بن محمد الأنصاري عن شيخ الإسلام وخاتمة المحدثين الأعلام أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى.

(فأروي صحيح الإمام البخاري بالأسانيد المذكورة إلى الحافظ ابن حجر)

عن شيخه زين الحفاظ أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي عن شيخه الإمام الحجة المسند المعمر أبي العباس أحمد بن أبي طالب الحجار عن شيخه الإمام أبي عبد الله الحسين بن المبارك الزبيدي عن الحافظ أبي

الوقت عبد الأول بن عيسى السجزي عن الإمام أبي الحسين عبد الرحمن ابن محمد بن مظفر الداؤدي عن شيخه الحافظ أبي محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه الحموي السرخسي، عن الحافظ أبي عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفربري عن مؤلفه الإمام البخاري.

(وأما صحيح الإمام مسلم فبالأسانيد السابقة إلى الحافظ ابن حجر)

عن الصلاح بن أبي عمر المقدسي عن أبي الحسن علي بن أحمد المعروف بابن البخاري عن المؤيد محمد الطوسي، عن فقيه الحرم أبي عبد الله محمد بن الفضل بن أحمد الفراوي، عن أبي الحسين عبد الغافر بن محمد الفارسي، عن أبي أحمد محمد بن عيسى الجُلودي – بضم الجيم- نسبة لسكة الجلوديين بنيسابور الدراسة – وقيل: بفتحها – نسبة للجلود قرية، كذا في ثبت الأمير محمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن عبد القادر المصري، عن أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان عن مؤلفه الإمام الحافظ مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري رحمه الله تعالى إلا ثلاثة فرأيت في ثلاثة مواضع لم يسمعها إبراهيم بن محمد بن سفيان من شيخه الإمام مسلم فروايته لها عن مسلم بالإجازة أو بالوجادة وقد غفل أكثر الرواة عن تبيين ذلك وتحقيقه في إجازاتهم وفهارسهم، بل يقولون في جميع الكتاب أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، قال: أخبرنا مسلم وهو خطأ نبه على ذلك الحافظ ابن الصلاح لما حكاه عنه النووي في مقدمة شرح مسلم رحمهم الله تعالى.

(وأما سنن الإمام الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث)

فبالأسانيد السابقة إلى الحافظ ابن حجر عن أبي علي المطرزي عن يوسف بن علي الحنفي، عن الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري، عن أبي حفص عمر بن محمد بن معمر بن طبرزد البغدادي عن إبراهيم بن محمد ابن منصور الكروخي عن أبي بكر أحمد بن علي بن ثلث الخطيب البغدادي، عن أبي عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي عن أبي علي محمد ابن أحمد اللؤلؤي عن مؤلفه الحافظ الإمام أبي داود رحمه الله تعالى.

(وأما سنن الإمام أبي عيسى الترمذي)

فبالأسانيد السابقة إلى شيخ الإسلام القاضي زكريا بن محمد الأنصاري المصري عن العز عبد الرحيم بن محمد المعروف بابن الفرات عن الشيخ أبي حفص عمر بن الحسن المراغي عن الفخر علي بن أحمد بن عبد الواحد المعروف بابن البخاري عن عمر بن محمد بن معمر بن طبرزد عن أبي الفتح عبد الملك بن أبي سهل الكروخي بفتح الكاف وضم الراء عن القاضي أبي عامر محمود بن القاسم الأزدي عن أبي محمد عبد الجبار بن محمد بن عبد الله الجراح المروزي عن الشيخ الثقة الأمين أبي العباس محمد بان أحمد بن محبوب المحبوبي المروزي عن مؤلفه الحافظ أبي عيسى محمد بن سورة الترمذي رحمه الله تعالى.

(وأما سنن الحافظ أبي عبد الرحمن النسائي)

فبالأسانيد السابقة إلى الحافظ ابن حجر، عن إبراهيم بن أحمد التنوخي عن الإمام أحمد بن أبي طالب الحجار عن عبد اللطيف بن محمد ابن علي القبيطي، عن أبي زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي عن أبي محمد عبد الرحمن بن أحمد الدوني بضم الدال وسكون الواو وكسر النون بعدها ياء نسبة إلى دون قرية من قرى دينور، عن القاضي أبي نصر أحمد بن الحسين الكسار، عن أبي بكر أحمد بن محمد بن إسحاق الدينوري المعروف بابن السني، عن مؤلفه الإمام الحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر بن سنان النسائي.

(وأما سنن الحافظ محمد بن يزيد بن ماجة رحمه الله تعالى)

فبالأسانيد السابقة إلى ابن حجر، عن أبي الحسن علي بن أبي المجة الدمشقي عن أبي العباس أحمد بن أبي طالب الحجار عن أنجب بن أبي السعادات الحماني عن أبي زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي عن الفقيه أبي منصور محمد بن الحسين بن أحمد المقومي القزويني عن أبي طلحة القاسم بن أبي المنذر الخطيب عن أبي الحسن علي بن إبراهيم بن سلمة القطان عن مؤلفه الإمام ابن ماجه رحمه الله تعالى.

وقال الشيخ عبد المجيد وحصل لي القراءة والإجازة من الشيخ عبد الرحيم بن عبد الله الغزنوي، وهو حصل القراءة والإجازة من أخيه وشيخه عبد الجبار بن عبد الله الغزنوي قال الشيخ عبد الجبار وأما شيخنا الشيخ أحمد الشرقي فقد حصل الإجازة عن المشايخ الكرام وكملة الأنام

الشيخ عبد الرحمن بن حسن، والشيخ عبد اللطيف، والشيخ حسين بن محسن الأنصاري، والشيخ محمد بن سليمان حسب الله الشافعي المكي المدرس بالمسجد الحرام.

قال رحمه الله تعالى:

فأما شيخنا عبد الرحمن فقد أخذ عن جماعة أجلاء أعلام ومشايخ محققين كرام من الشرقيين والمصريين منهم جده العلامة- محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى- وهو تلقى من جلة من علماء المدينة المنورة روايته عامة وخاصة منهم محمد حياة السندي وعبد الله بن إبراهيم الفرضي الحنبلي وأما مشايخ شيخنا عبد الرحمن المصريون فمنهم الشيخ حسن القويسني والشيخ عبد الرحمن الجبرتي وحدث بالحديث المسلسل وبالأولية بشرطه وهو أول حديث سمعه منه حتى انتهى إلى الإمام سفيان بن عيينة، عن أبي قابوس مولى عبد الله بن عمرو بن العاص، عن عبد الله بن عمرو ابن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) وهو يروي عن الشيخ مرتضى الحسيني عن الشيخ عمر بن أحمد بن عقيل وعن الشيخ أحمد الجوهري كلاهما عن عبد الله بن سالم البصري عن أبي عبد الله محمد بن علاء الدين البابلي عن الشيخ سالم السنهوري عن النجم الغيطي عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري عن الحافظ شيخ الإسلام أحمد بن حجر العسقلاني صاحب فتح الباري قال شيخنا عبد الرحمن بن حسن وأكثر روايات من ذكرنا من مشايخنا للكتب تنتهي إليه فأما روايتهم للبخاري

فرواه الحافظ ابن حجر عن إبراهيم بن أحمد التنوخي عن أحمد بن أبي طالب الحجار عن الحسين بن المبارك الزبيدي الحنبلي عن أبي الوقت عبد الأول بن عيسى السجزي الهروي عن أبي الحسين عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الداؤودي عن أبي عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفربري عن الإمام البخاري رحمه الله تعالى، وقال شيخنا عبد الرحمن وقرأت عليه أسانيده عن شيخه المذكور متصلة إلى مؤلفي الكتب الحديثية كالإمام أحمد ومسلم وأبي داود والنسائي والترمذي وابن ماجه رحمهم الله تعالى فأجازني بها وبسند مذهبنا بروايته عن شيخ المذكور عن الساريني النابلي[1] الحنبلي عن أبي المواهب متصلاً إلى الإمام أحمد رحمه الله تعالى ومن مشايخ شيخنا المصريين الشيخ عبد الله سويدان وقد أجازه بجميع ما في نسخه عبد الله سالم المعروف عن أحمد بن محمد الجوهري عن أبيه عن شيخه عبد الله بن سالم وأما الشيخ حسن القويسني فأجازه بجميع ما في نسخة عبد الله سالم بروايته عن الشيخ عبد الله الشرقاوي عن الشيخ محمد بن سالم الحفني عن الشيخ عبد – كذا بالأصل والظاهر عبد الله– ابن علي التمرسي عن الشيخ عبد الله بن سالم البصري وأخذ الشيخ حسن القويسني صحيح البخاري جميعه عن الشيخ داود القلعي عن الشيخ أحمد بن جمعة البجيرمي عن الشيخ مصطفى الاسكندراني المعروف بابن الصباغ عن الشيخ عبد الله بن سالم البصري بسنده المتقدم.

---

(١) هكذا كتبت، ولعل الصواب: السفاريني النابلسي.

ح قال القويسني وأخذت الصحيح عن شيخنا الشيخ سليمان البجيرمي عن الشيخ محمد الأشماوي عن الشيخ أبي العز العجمي عن الشيخ محمد الشويري عن محمد الرملي عن الشيخ زكريا الأنصاري عن الحافظ ابن حجر العسقلاني عن الشيخ التنوخي عن سليمان بن حمزة عن الشيخ علي بن الحسين بن المنير عن أبي الفضل ابن ناصر عن الشيخ عبد الرحمن بن مندة عن محمد بن عبد الله بن أبي بكر الجوزقي عن مكي بن عبدان النيسابوري عن الإمام مسلم عن الإمام البخاري والحسن القويسني بهذا السند روى صحيح مسلم أيضًا ومن مشايخ شيخنا المصريين مفتي الجزائر الشيخ محمد بن محمود الجزائري الحنفي الأثري وحدثه بالحديث المسلسل بالأولية وهو أول حديث سمعه منه بشرطه متصلا إلى سفيان بن عيينة كما تقدم وأجازه بمروياته.

وأما شيخنا عبد اللطيف فأجازني بصحيح البخاري وبسائر ما تجوز له روايته من المنقول والمعقول والفروع والأصول وهو يروي صحيح البخاري عن الشيخ محمد بن محمود الجزائري عن والده أبي الثناء محمود بن محمد الجزائري عن والده أبي عبد الله محمد بن حسين العنابي ح ويرويه محمد بن محمود أيضًا عن جده محمد المذكور إجازة عن والده حسين بن محمد عن أخيه عن أمه – كذا بالأصل والظاهر عن أخيه من أمه – مصطفى بن رمضان العنابي – كذا بالأصل والظاهر عن عبد الله – عبد الله محمد بن شقرون المقري عن أبي الحسن علي الأجهوري المالكي عن عمر بن الجاني الحنفي عن الشيخ زكريا الأنصاري عن الحافظ ابن حجر العسقلاني

بإسناده المقرر في شرحه على الصحيح المسمى بفتح الباري وبهذا الإسناد يروي شيخنا عبد اللطيف بقية الكتب الستة وسائر روايات الحافظ ابن حجر التي تضمنها معجمه قال الشيخ عبد اللطيف وأخبرني بصحيح البخاري إجازة شيخنا محمد بن محمود عن شيخه أبي الحسن علي بن عبد القادر الأمين المالكي سماعًا لبعضه وإجازة لباقيه عن شيخه أحمد الجوهري عن أحمد بن محمد بن أحمد البناني عن أبي الحسن علي الأجهوري عن عمر ابن الجائي عن زكريا الأنصاري عن الحافظ ابن حجر وبهذا السند أيضًا روى مسند الإمام أحمد ومسند الإمام الشافعي رحمهما الله تعالى وسائر روايات الحافظ ابن حجر المذكور في معجمه قال شيخنا عبد اللطيف ورواه لنا يعني صحيح البخاري بأعلى سند يوجد في الدنيا عن شيخه ابن الأمين المذكور عن أبي الحسن علي بن مكرم الله العدوي الصعيدي عن أبي عبد الله محمد بن عقيلة المالكي عن الشيخ حسن بن علي العجيمي عن الشيخ أحمد بن محمد العجيل اليمني عن يحيى بن مكرم الطبري عن إبراهيم بن محمد بن صدقة الدمشقي عن عبد الرحمن بن عبد الأول الفرغاني عن محمد بن شاذ بخت الفارسي عن يحيى بن عمار بن مقبل بن شاهان الختلاني عن الفربري عن الإمام البخاري فبين شيخنا عبد اللطيف وبين البخاري بهذا الإسناد اثنا عشر رجلاً فتقع له ثلاثيًا بستة عشر وبهذا الإسناد إليه قال حدثنا مكي بن إبراهيم قال حدثنا يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: « ومن يقل علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار» .

وأما الشيخ العلامة المحدث حسين بن محسن الأنصاري فهو يروي عن جلة من الأعلام والمحققين الكرام كالشريف المحدث الهمام محمد بن ناصر الحازمي والسيد العلامة حسن بن عبد الباري الأهدل والسيد العلامة سليمان بن محمد بن عبد الرحمن الأهدل مفتي زبيد وأخيه القاضي العلامة محمد بن محسن الأنصاري وقال ولكل من هؤلاء ولشيخه مثبت معروف كتبت شيخ مشايخنا المذكورين السيد الإمام عبد الرحمن بن سليمان فأرويه عن الشريف محمد ناصر والسيد حسن بن عبد الباري عنه والسيد سليمان عن أبيه عن جده عبد الرحمن وأخي القاضي محمد بن محسن عن القاضي أحمد بن محمد الشوكاني عن أبيه شيخ الإسلام عز الأنام محمد بن علي الشوكاني بما حواه ثبته المشهور بإتحاف الأكابر بإسناد الدفاتر والشريف محمد بن ناصر يروي عن الإمام الشوكاني وعن السيد عبد الرحمن بن سليمان وعن الشيخ محمد عابد السندي المدني وعن الشيخ محمد إسحاق عن شيخه عبد العزيز وعن مشايخ آخرين كما هو معروف في ثبته والسيد حسن بن عبد الباري يروي عن السيد عبد الرحمن بن سليمان.

وأما شيخنا محمد بن سليمان حسب الله الشافعي فأجازني بسائر ما تجوز له روايته من فروع وأصول ومنقول ومعقول وبجميع ما اشتمل عليه ثبت الشيخ عبد الله الشيراوي وثبت العلامة الشيخ محمد الأمير.

سند الشيخ ولي الله بن عبد الرحيم

(أما صحيح البخاري)

فبالسند المتصل من الشيخ ولي الله إلى الإمام محمد بن إسماعيل البخاري هكذا قال الشيخ ولي الله بن عبد الرحيم أخبرنا شيخنا أبو طاهر محمد بن إبراهيم الكردي المدني قال: أخبرنا والدي وشيخي إبراهيم الكردي المدني قال قرأت على الشيخ أحمد القشاشي قال: أخبرنا الشناوي قال: أخبرنا الشمس محمد بن أحمد الرملي قال: أخبرنا الزين زكريا الأنصاري قال: قرأت على الحافظ شيخ السنة أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني بسماعه لجميعه على الشيخ إبراهيم بن أحمد التنوخي بسماعه لجميعه على أبي العباس أحمد بن أبي طالب الحجار بسماعه على السراج الحسين بن المبارك الزبيدي بسماعه على أبي الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب بن إسحاق السجزي الهروي بسماعه على أبي الحسن عبد الرحمن بن مظفر الداودي سماعًا عن أبي محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي عن أبي عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفربري سماعًا عن مؤلفه الإمام البخاري.

(أما صحيح الإمام مسلم

قال الشيخ ولي الله أما صحيح مسلم)

فقرأت على الشيخ أبي الطاهر قال: أخبرنا والدي الشيخ إبراهيم الكردي بقراءته على الشيخ الصالح السلطان بن أحمد المزاحي أخبرنا الشيخ شهاب الدين أحمد السبكي عن النجم الغيطي عن الزين زكريا الأنصاري عن أبي الفضل الحافظ ابن حجر عن الصلاح بن أبي عمر

المقدسي عن علي بن أحمد بن البخاري عن المؤيد الطوسي عن الفراوي عن الإمام أبي الحسن بن عبد الغافر بن محمد الفارسي النيسابوري سماعًا أخبرنا به أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه الزاهد سماعًا سوى ثلاثة أفوات معلومة - أي مواضع - فبالإجازة أو الوجادة عن مؤلفه أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري.

(أما سنن أبي داود)

فقرأت على شيخنا أبي الطاهر قال قرأت على والدي وأجاز بقراءته على القشاشي عن الشناوي عن الشمس الرملي عن الزين زكريا الأنصاري أخبرنا العز عبد الرحيم بن فرات عن شيخه أبي العباس أحمد بن محمد الجوخي عن الفخر أبي الحسن علي بن محمد ابن محمد بن أحمد البخاري عن أبي حفص عمر بن محمد بن طبرزد البغدادي سماعًا وأخبرنا به الشيخان أبو الوليد إبراهيم بن محمد بن منصور الكرخي وأبو الفتح مفلح بن أحمد بن محمد الرومي سماعًا عليهما ملفقًا - أي مختلطا والله أعلم - قالا أخبرنا به الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي عن أبي عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي عن أبي علي محمد بن أحمد اللؤلؤي قال أخبرنا مؤلفه أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني.

(أما جامع الترمذي)

فقرأت على أبي الطاهر طرفًا منه وأجاز بسائره عن أبيه عن المزاحي عن الشهاب أحمد بن الخليل السبكي عن النجم الغيطي عن الزين زكريا عن العز عبد الرحيم بن محمد الفرات عن عمر بن الحسين المراغي عن

الفخر بن البخاري عن عمر بن طبرزد البغدادي أخبرنا أبو الفتح عبد الملك بن عبد الله بن أبي سهل الكروخي أخبرنا القاضي أبو عامر محمود بن القاسم بن محمد الأزدي أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد بن عبد الله الجراحي المروزي أخبرنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي المروزي أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الترمذي.

(أما سنن النسائي)

فقرأت طرفًا منه على أبي الطاهر وأجاز سائره بقراءته على أبيه عن القشاشي عن الشناوي عن الشمس الرملي عن الزين زكريا عن العز عبد الرحيم عن عمر المراغي عن الفخر بن البخاري عن أبي المكارم أحمد بن محمد اللبان عن أبي علي حسن بن أحمد الحداد عن القاضي أبي نصر أحمد بن الكسار أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد الدينوري أخبرنا مؤلفه أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي.

(أما سنن ابن ماجه)

فقرأت على أبي الطاهر بروايته عن أبيه عن القشاشي عن الشناوي عن الشمس الرملي عن الزين زكريا عن الحافظ ابن حجر عن أبي الحسن علي بن أبي المجد الدمشقي عن أبي العباس الحجار عن أنجب بن أبي السعادات أخبرنا أبو زرعة عن أبي منصور محمد ابن الحسن وأحمد المقومي القزويني أخبرنا أبو طلحة القاسم ابن المنذر الخطيب حدثنا أبو الحسن علي ابن إبراهيم القطان قال أخبرنا مؤلفه أبو عبد الله محمد بن يزيد المعروف بابن ماجه القزويني.

هذا وقد طلب مني

الإجازة برواية الكتب المذكورة كما أخذت عن الشيخين الجليلين فإني أجيزه بذلك كله كما أجيزه أيضًا أن يروي عني مؤلفاتي كلها بالشرط المعتبر عند علماء هذا الفن موصيًا إياه بتقوى الله تعالى في السر والعلن والاعتصام بالكتاب والسنة، والسير على نهج السلف الصالح في الاعتقاد والعمل، مع التحلي بالآداب الشرعية والأخلاق المرعية، وأن لا ينسانا من دعواته الصالحة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه[1] .

الختم

وكتبه

محمد بن عبد الله السبيل

الإمام والخطيب والمدرس بالمسجد الحرام

---

(١) قام بمراجعته وأشرف على طبعه عبد الملك بن محمد السبيل - كان الله في عونه- عام ١٤٢٢هـ.

(٨)

خطبة الجمعة

وأهميتها في الإسلام

تأليف
سماحة الشيخ العلامة
محمد بن عبد الله السبيل رحمه الله
إمام وخطيب المسجد الحرام وعضو هيئة كبار العلماء وعضو المجمع الفقهي الإسلامي
(١٣٤٥ - ١٤٣٤هـ)



خطبة الجمعة وأهميتها في الإسلام[1]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، محمد وآله وصحبه، وبعد:

فلقد عني الإسلام بتبصير الناس، وتذكيرهم بدينهم، وبيان أصوله ومقاصده، وشرح محاسنه ومزاياه، وترسيخ ذلك في نفوس الناس، وحثهم على الالتزام به، والتقيد بأوامره، ونواهيه على الدوام والاستمرار.

لذا شرع الإسلام مواعظ موسمية، أوجب بعضها، واستحب البعض الآخر منها، وكان من أعظم هذه المناسبات الوعظية الدعوية التي شرعها الإسلام، وأوجبها في كل أسبوع مرة، إقامة صلاة الجمعة التي هي من أكبر فروض الإسلام، ومن أعظم مجامع المسلمين، وفيها من الفوائد العظيمة، والمنافع الكثيرة للفرد المسلم، وللمجتمع الإسلامي ما لا يمكن حصره، أو يستطاع عده، وإن من أعظم منافع صلاة الجمعة ما شرع الإسلام فيها من خطبتين هما شرط لصحتها، وقد وضع الشارع لها أصولاً وضوابط، متى ما التزم بها، وعمل بمقتضاها تحققت منها المقاصد الشرعية التي أرادها الشارع من مشروعيتها، وإن الإخلال أو التقصير في شيء من تلك الأصول والضوابط يضعف الهدف من مشروعيتها، ويقلل الفائدة المأمولة منها.

---

(١) بحث قدمه في الدورة الثانية للملتقى العلمي لخطباء الجمعة المنعقد في مدينة مراكش بالمملكة المغربية في شهر شعبان عام ١٤١٣هـ.

هذا وإن الكلام عن خطبة الجمعة وأهميتها في الإسلام وعناية الشارع بها يقتضي تركيز الكلام عنها في أمرين رئيسيين هما : الخطيب ، والخطبة .

الأمر الأول : الخطيب :

وهو العنصر الأساسي في خطبة الجمعة ، فبقدر أهليته لهذه المسؤولية الدعوية الجليلة ، يتحقق الأثر الأكبر والنفع الأعظم منها .

لذا فقد أولى الإسلام خطيب الجمعة أهمية كبرى ، وعناية عظمى ، يظهر ذلك واضحًا في قيام النبي ﷺ بهذا الأمر بنفسه ، وعدم إسناده إلى غيره طول حياته عليه الصلاة والسلام ، وهكذا سار على نهجه ، وسلك هديه ، خلفاؤه الراشدون من بعده ، وكذا من بعدهم من خلفاء الدولة الإسلامية ، وأمرائها على البلدان ، فقد كانوا يتولون خطبة الجمعة بأنفسهم، كما كان يسند أمرها على مر العصور الإسلامية وفي مختلف البلدان والأمصار إلى أعيان العلماء ومشاهير الدعاة الذين اشتهروا بغزارة علمهم ، وسعة فكرهم .

ولكي تتحقق المقاصد الشرعية من خطبة الجمعة فإنه يجب أن يعنى باختيار الخطباء الأكفاء ، وتهيئتهم لهذا العمل الجليل الذي هو من أجل مقامات الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى .

ويجدر ألا يولى هذا الأمر إلا لأفضل الناس علمًا ، وأعمقهم فقهًا ، وأبعدهم نظرًا ، وأوسعهم فكرًا ممن يتصف بالحلم والأناة والحكمة

والرزانة ، والصلاح والاستقامة ، والأخلاق الكريمة ، والشمائل الحميدة ، ليكون قدوة لغيره ، وأسوة لأهل بلده ومجتمعه بأفعاله وأقواله ، فإن ذلك أحرى في انتفاع الناس بوعظه وتذكيره وقبولهم لنصحه وتوجيهه .

ومما ينبغي أن يتصف به الخطيب أيضًا أن يكون ذا قدرة جيدة على إلقاء الخطبة مع فصاحة اللسان وسلامة المنطق والبيان ، وقوة الصوت ، ورباطة الجأش، وغير ذلك من الصفات التي يحسن الاتصاف بها .

الأمر الثاني : الخطبة :

اهتم الشارع الحكيم بخطبة الجمعة اهتمامًا بالغًا ، واعتنى بها اعتناء كثيرًا ، ومن مظاهر ذلك ما يأتي :

١ – الحث على التبكير في الحضور إلى صلاة الجمعة ، والإنصات إلى الخطبة، والترغيب في ذلك ، وبيان ما فيه من الثواب الجزيل ، والأجر الكبير ، فمن الأدلة على ذلك قوله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [الجمعة : ٩] ، والمراد بالذكر هنا : خطبة الجمعة .

وأما الأحاديث في ذلك فهي كثيرة منها : قوله عليه الصلاة والسلام: « من اغتسل ثم أتى الجمعة فصلى ما قدر له ، ثم أنصت حتى يفرغ الإمام من خطبته ، ثم يصلي معه ، غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وفضل ثلاثة أيام » رواه مسلم في صحيحه .

٢ – وضع الحماية والحصانة لخطبة الجمعة ، حيث أوجب الشارع

الإنصات والإصغاء أثناء إلقائها ، ونهى عن الانشغال عنها ، أو التشويش على المستمعين لها.

وقد رتب الشارع على الاستهانة بهذه الحرمة ، وعدم رعاية هذه الحصانة ، ذهاب فضيلة الجمعة وثوابها عمن فعل ذلك عقوبة له وزجرًا ، وفي هذا يقول العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه زاد المعاد عند ذكر هديه ﷺ في صلاة الجمعة : « وكان يأمر الناس بالدنو منه ، ويأمرهم بالإنصات ويخبرهم أن الرجل إذا قال لصاحبه : أنصت ، فقد لغا ، ويقول : « من لغا فلا جمعة له » وكان يقول عليه الصلاة والسلام : « من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفارًا والذي يقول له : أنصت ، ليست له جمعة » رواه الإمام أحمد .

هذا وإن من أهم ما يجب التركيز عليه من أمور الخطبة ما يلي:

أولاً : زمن الخطبة ، وأسلوبها :

ينبغي أن يكون زمن الخطبة قصيرًا ، فإن خير الكلام ما قل ودل ، ولم يطل فيمل ، كما قاله الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

أما من حيث الأسلوب فحري بالخطيب أن يكون أسلوبه في خطبته أسلوبًا عربيًا فصيحًا ، واضح الدلالة على المعنى المراد ، بعيدًا عن الإغراب في الكلام ، وتكرار المعاني ، والحشو في الألفاظ فيتخير من الألفاظ أجزلها ، ومن العبارات أسلسها ، بحيث لا يخفى على ذوي الأفهام العادية والمعرفة المحدودة ، المراد من كلامه ولا يستهجن العالم والمثقف عباراته وأسلوبه .

كما ينبغي للخطيب أن يعنى برفع صوته أثناء الخطبة ليسمع الحاضرين ، وأن يلقيها بحماس واهتمام ، فإن لحسن الإلقاء أثره الكبير في جذب انتباه المستمعين وإصغائهم .

وقد كان من هديه ﷺ في خطبته أنه إذا خطب احمرت عيناه ، واشتد غضبه ، وعلا صوته .

هذا وإن الإيجاز في الخطبة والاختصار فيها أحرى بإدراك السامعين لها ، وتأثرهم بما يلقى فيها من نصائح وعظات وتوجيهات وإرشادات ، بخلاف الإطالة فإنها مدعاة للسآمة والملل ، مهما بلغ الخطيب من الفصاحة والبلاغة ، وحسن البيان ، ومهما كان الموضوع من الأهمية بمكان ، مما قد يفوت المقصود ، أو يقلل من حصول الهدف المنشود .

ولقد كان هديه عليه الصلاة والسلام في خطبة الجمعة الاختصار وعدم الإطالة ، كما في خطبه المروية عنه ﷺ وكما جاء وصفها في بعض الأحاديث بأنها كلمات يسيرات ، كما في الحديث الذي رواه أبو داود في سننه عن جابر بن سمرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : أنه كان لا يطيل الموعظة يوم الجمعة وإنما هي كلمات يسيرات ، وقد أكد عليه الصلاة والسلام هذا الفعل بالأمر بالاختصار في الخطبة، وعدم الإطالة فيها كما في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه » . وجاء في بعض الروايات بعد هذا قوله عليه الصلاة والسلام : « فأطيلوا الصلاة وأقصروا الخطبة ، وإن من البيان لسحرًا » ، وزاد الطبراني في

وغيره : « وإنه سيأتي بعدكم قوم يطيلون الخطبة ويقصرون الصلاة» وروى الطبراني في معجمه الكبير أن النبي ﷺ كان إذا بعث أميرًا قال له : « أقصر الخطبة وأقلل الكلام فإن من الكلام لسحرًا » .

قال العلامة الشوكاني في نيل الأوطار : « وإنما كان إقصار الخطبة علامة من فقه الرجل ؛ لأن الفقيه هو المطلع على جوامع الألفاظ ، فيتمكن بذلك من التعبير باللفظ المختصر على المعاني الكثيرة » .

ثانيًا : موضوع الخطبة :

موضوع الخطبة هو المقصود الأعظم ، والهدف الأسمى من مشروعيتها فيجب أن يعنى به ، وأن يهتم بشأنه ، فإن البعض من الخطباء قصروا في الاتجاه بمواضيع الخطب عن هدي الإسلام الذي شرعه ، والمنهج الذي رسمه ، مما حصل بسببه ضعف تأثير خطب الجمعة على السامعين ، وأصبح حضور البعض للخطبة وسماعهم لها إنما هو من قبيل العادات التي نشأوا عليها ، لا من قبيل العبادات التي يجب الاعتناء بها .

لذا فإن على الخطيب استكمال شروط الخطبة التي لا تصح إلا بها ، والتي بينها الفقهاء ، وأوضحوها بالتفصيل في مواضعها من كتب الفقه .

كما ينبغي للخطيب أن تكون مواضيع خطبه في تقرير أصول الإيمان بالله تعالى وتوحيده وتعظيمه في النفوس ، وتذكير الناس بالمبدأ والمعاد والجنة والنار ، وبيان ما أعد الله تعالى للمتقين من النعيم المقيم، وما توعد به العصاة والكافرين من العذاب الأليم، وشرح محاسن الإسلام، وبيان

مزاياه، وإيضاح مقاصد الشرع وحكمه، وحث الناس على الالتزام بالأوامر الشرعية ، واجتناب النواهي والمحرمات ، وترغيبهم في فضائل الأعمال التي حث عليها الشرع وندب إلى فعلها،مع الاهتمام بقضايا المجتمع على اختلاف أنواعها، وبيان موقف الإسلام منها ، مدعمًا أقواله بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الصحيحة ، وأقوال السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم من أئمة الإسلام وعلماء المسلمين وأن يكون حذرًا من الاستدلال بأحاديث ضعيفة ، ومبتعدًا عن إيراد القصص والحكايات ، وإنشاد الأشعار ، فترك هذه الأمور في الخطبة أولى ، والبعد عنها أجدر ؛ لأن إيراد ذلك لم يكن من هدي السلف الصالح رضوان الله عليهم .

وبالجملة فإن على الخطيب أن يراعي في اختيار موضوع الخطبة اختلاف الزمان والمكان والمناسبة ، فيختار لكل جمعة من المواضيع ما يناسب ذلك .

ولقد بين عدد من العلماء رحمهم الله ما ينبغي أن تشتمل عليه الخطب من المواضيع ، وما يحسن أن تكون عليه من الأساليب ، فمن ذلك ما قاله العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه زاد المعاد في معرض بيانه لهدي النبي ﷺ في ذلك ، حيث قال رحمه الله :

« ومن تأمل خطبه ﷺ وخطب أصحابه وجدها كفيلة ببيان الهدى والتوحيد ، وذكر صفات الرب جل جلاله ، وأصول الإيمان الكلية ، والدعوة إلى الله ، وذكر آلائه تعالى التي تحببه إلى خلقه وأيامه التي تخوفهم

من بأسه ، والأمر بذكره وشكره الذي يحببهم إليه ، فيذكرون من عظمة الله وصفاته وأسمائه ما يحببه إلى خلقه ، ويأمرون من طاعته وشكره وذكره ما يحببهم إليه ، فينصرف السامعون وقد أحبوه وأحبهم ثم طال العهد وخفي نور النبوة وصارت الشرائع والأوامر رسومًا بما زينوها به ، فجعلوا الرسوم والأوضاع سننًا لا ينبغي الإخلال بها ، وأخلوا بالمقاصد التي لا ينبغي الإخلال بها، فرصعوا الخطب بالتسجيع والفقر، وعلم البيان، فنقص بل عدم حظ القلوب منها، وفات المقصود بها » اهـ.

هذا وإن من المواضيع التي ينبغي على الخطيب اجتنابها والبعد عن التحدث عنها في الخطبة - مما هو واقع بعض خطباء هذا العصر - التعرض في الخطبة لقضايا خاصة ، أو نقد لتصرفات شخصية فردية ، أو الكلام في بعض المسائل الخلافية ، التي قد يؤدي الكلام عنها نزاعًا ، أو تحدث خلافًا وشقاقًا ، أو الكلام عن منكرات خفية ، أو التحدث عن قضايا وأحداث لا تهم المخاطبين، بل قد لا يعلم أكثرهم عنها شيئًا ؛ لكونها في مجتمعات أخرى غير مجتمعهم .

وأسوأ من ذلك أن يعتمد موضوع الخطبة على ما قد تنشره بعض المصادر غير الموثوقة كالاعتماد على ما تذكره بعض الصحف والمجلات ، خصوصًا الأجنبية من آراء وأفكار .

وإن التحدث عن تلك القضايا المشار إليها قد يكون له مردوده السيء على المخاطبين ؛ لأنه ربما كان أذهان أكثرهم خالية عنه البتة ، فحينما يتحدث عنها خطيب الجمعة قد يحمل البعض على البحث عنها ، والتعرف

عليها ، ويكون عليهم من الأضرار والمفاسد في ذلك أعظم من ضرر السكوت عن بيانها ، والتحذير منها إن كان فيها شيء من الضرر .

وختامًا نسأل الله تعالى أن يأخذ بأيدي الخطباء والدعاة إلى ما فيه عز الإسلام والمسلمين ، وأن يوفق جميع المسلمين للتمسك بدينهم والاهتداء بهدي نبيهم إنه تعالى سميع مجيب ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *

الفهرس



(٩)

مجالس رمضان

تأليف
سماحة الشيخ العلامة
محمد بن عبد الله السبيل رحمه الله
إمام وخطيب المسجد الحرام وعضو هيئة كبار العلماء وعضو المجمع الفقهي الإسلامي
(١٣٤٥ - ١٤٣٤هـ)



المُقَـدِّمَة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد :

فهذه مجالس متنوعة عن شهر رمضان المبارك تتضمن بيان فضل هذا الشهر الكريم ، وأحكام الصيام ، وتعداد فضائله ، وشرح آدابه ، والحث على اغتنام موسمه بالطاعات ، والتحذير من التفريط بهذا الموسم الشريف.

أسأل الله تعالى أن ينفع بها ، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

محمد بن عبد الله السبيل

(١)

استقبال رمضان

روي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان فقال : « يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك ، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر ، شهر جعل الله صيامه فريضة ، وقيام ليله تطوعًا ، وهو شهر الصبر ، والصبر جزاؤه الجنة ، وشهر المواساة ، وشهر يزاد في رزق المؤمن فيه ، من فطر فيه صائمًا كان مغفرة له ، وعتق رقبته من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء ، قالوا : يا رسول الله : ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم ؟ فقال رسول الله ﷺ : يعطى هذا الثواب من فطر صائمًا على تمرة أو شربة ماء أو مذقة لبن ، وهو شهر أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار ، من خفف فيه عن مملوكه غفر الله له ، وأعتقه من النار ، فاستكثروا فيه من أربع خصال ، خصلتين ترضون بها ربكم ، وخصلتين لا غنى لكم عنهما ، فأما الخصلتان اللتان ترضون بها ربكم : فشهادة أن لا إله إلا الله ، وتستغفرونه . وأما الخصلتان اللتان لا غنى لكم عنها : فتسألون الله الجنة ، وتعوذون به من النار ، ومن سقى صائمًا سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة » رواه ابن خزيمة وقال : إن صح هذا الخبر ، والبيهقى فى شعب الإيمان ، والأصبهانى فى الترغيب .

دل هذا الحديث الشريف على شفقته ﷺ ورأفته بأمته ، ومحبته لمزيد الخير لهم، وقد تضمنت هذه البشارة بيان بركة هذا الشهر العظيم ثواب الله

لعباده الصائمين ، لا سيما في الليلة الشريفة ليلة القدر ، التي جعل الله العباده فيها خيرًا من العبادة في ألف شهر ، خالية من ليلة القدر .

وفي هذا الحديث بيان فرضية صيام رمضان ، وسنية قيامه ، وفيه تسميته بشهر الصبر ، والإخبار بأن الصبر جزاؤه الجنة ، وقد قال سبحانه وتعالى في فضل الصبر : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر:١٠] .

وفيه الحث على المساواة والإحسان إلى الناس في هذا الشهر المبارك ، وفضيلة من فطر صائمًا ، وأنه يحصل له من الأجر مثل ثواب من فطره من غير أن ينقص من أجره شيئًا ، وأنه تحصل له المغفرة والعتق من النار ، وأن هذا الثواب العظيم لمن فطر صائمًا ولو كان على شيء يسير كتمرة أو شربة ماء أو مذقة لبن -أي جرعة لبن مخلوطة بماء- وأن هذا الشهر خصه الله بمزيد من تنزل الرحمات ، وحصول المغفرة ، وأنه في آخره يحصل للصائمين العتق من النار ، وهذا غاية ما يتسابق إليه المتسابقون ، وأي فضل أو فوز أعظم من ذلك كما قال سبحانه : ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ [آل عمران:١٨٥].

وفي الحديث فضيلة التخفيف عن المملوك والأجير في هذا الشهر وعدم المشقة عليهم ، والتوسع في النفقة على الأهل والأولاد ، ومن تحت يده ، وأنه تحصل المغفرة والعتق من النار لمن فعل ذلك .

وفيه الحث على فضل لا إله إلا الله وكثرة ثوابها ، وأنها سبب لحصول رضا الرب سبحانه ، وكذلك طلب المغفرة ، وكثرة الاستغفار ، والالتجاء إلى الله في طلب مغفرة الذنوب .

وفيه الأمر بسؤال الجنة والاستعاذة من النار ، وذلك أن الله سبحانه وتعالى يتضاعف جوده على عباده في هذا الشهر ، فينبغي للمؤمن أن يتعرض لنفحات الله ويلح في الدعاء ، فإن الله يحب الملحين في الدعاء ، كما أن الدعاء أيضًا عبادة ، بل هو غاية العبادة ، كما روي في الحديث : « الدعاء مخ العبادة» رواه الترمذي وقال : هذا حديث غريب من هذا الوجه، لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة ، وفي رواية : « الدعاء هو العبادة» رواه الأربعة وصححه الترمذي ، وينبغي أن يصرف كثرة الدعاء في أعظم مرهوب ، وأفضل مرغوب ، وهو الاستعاذة بالله من النار، وسؤال الجنة ، ولذلك لما قال الأعرابي للنبي ﷺ : « يا رسول الله إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ ، ولكني أسأل الله الجنة ، وأستعيذ به من النار ، فقال ﷺ : حولها ندندن » رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة ، أي أن ما ندعو به ، ونسأل الله فيه، غايته الاستعاذة من النار ، وسؤال الجنة .

وفي الحديث فضيلة الإحسان إلى الصائمين ، لا سيما سقياهم ، وأن من سقى صائمًا كان جزاؤه أن الله يسقيه من حوض نبيه شربة لا يظمأ بعدها حتى يدخل الجنة .

وفي الجملة فإن الحديث يدل على سعة فضل الله على هذه الأمة ، وأن الله اختصها بمزيد من الإنعام والإحسان لم يكن لمن قبلها ، لا سيما في هذا الشهر المبارك ، مع أن الصيام لم يكن من خصائص هذه الأمة ، ولكن حصل لها في هذا الشهر مميزات وفضائل لم تحصل لغيرهم ، فقد اشتركت هذا الأمة في التكليف في الصيام وفرضيته على الجميع ، وامتازت هذه الأمة

على غيرها بزيادة الثواب ، وحصول هذه الليلة لهم التي عبادة فيها خير من عبادة ألف شهر .

اللهم وفقنا للصيام والقيام ، وتقبل منا صالح الأعمال ، وارزقنا جنتك ، وأعذنا من النار .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *

(٢)

وجوب الصيام

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عمر رضي الله عنهما : لما سئل رسول الله ﷺ عن الإسلام ، قال : « أن تشهد ألا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً » .

دل الحديث على أن صيام رمضان أحد أركان الإسلام ، فهو فرض من فرائض الإسلام ، والأصل في وجوبه من الكتاب قوله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ إلى قوله سبحانه : ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ ﴾ [البقرة:١٨٣-١٨٥] ، فذكر عز وجل الصيام ، وأنه كتب على هذه الأمة كما كتب على الأمم السابقة ، ثم بين سبحانه هذه الفائدة العظيمة للصيام ، وهي التقوى فقال : ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ أي تتقون الله ، فيكون الصيام وسيلة من وسائل التقوى ، وهل هناك أعظم وأنفع من التقوى ، فإن المؤمن إذا اتقى ربه صار من أوليائه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، كما قال عز وجل : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [يونس:٦٢] .

والتقوى : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال، فالصيام هو الطريق الأعظم لحصول هذه الغاية الجليلة التي توصل العبد

إلى السعادة والفلاح ، فإن الصائم يتقرب إلى الله بترك ما تشتهيه نفسه من طعام وشراب وغير ذلك من الشهوات والملذات ، تقديمًا لمحبة الله على محبة النفس ، وهذا من علامات الإيمان ومن الأدلة على صدقه ؛ ولذلك اختصه الله من بين سائر الأعمال ، ونبه على شرفه ومكانته عنده سبحانه ، فقال عز وجل كما في الحديث القدسي : « الصوم لي وأنا أجزي به » رواه البخاري ومسلم .

وبالصيام يزداد الإيمان، ويتمرن العبد على الصبر والثبات، وضبط النفس عن الاندفاع والجري وراء الشهوات البهيمية الضارة في العاجل والآجل .

وبالصيام تحصل الإعانة من الله للعبد في كثير من العبادات والطاعات التي قد تثقل عليه في غير وقت الصيام ، ككثرة الاستغفار، والتوبة إلى الله ، والذكر ، والتسبيح ، والتهليل ، وقراءة القرآن ، والصلاة ، والصدقة ، وغير ذلك من خصال الإحسان .

وبالصيام يحصل الردع والزجر للنفس عن الأمور المحرمة من الأقوال ، كالسب ، والشتم ، والتكلم في أعراض الناس ، ومن الأفعال التي قد يفارقها إذا لم يكن صائمًا مما هي محرمة عليه ، وكل هذه الأمور التي أُمر بها أو نُهي عنها إذا امتثل المسلم المأمور منها واجتنب المنهي عنه فقد اتصف بالتقوى ، التي هي من فوائد الصيام .

ثم إن المسلم بالصيام يتذكر نعم الله عليه فيما هيأ له من النعم، وأصناف المأكولات والمشروبات ، وما يتبع ذلك من الملاذ الآخر ، فإنه

متى امتنع منها في وقت من الأوقات حصل عنده شيء من المشقة والاشتياق إلى ما منع منه ، وذاق ألم الجوع والظمأ ، ثم إذا تناولها تذكر نعمة الله وشكره عليها ، وتذكر أحوال إخوانه المعوزين الذين لا يجدون ما يجد، ولا تحصل لهم هذه النعمة حال فطرهم ، فحمله ذلك على العطف ، والحنو عليهم بالإحسان ، والصدقة عليهم ، ومساواتهم فيما يقدر عليه ، فهكذا أعمال الطاعات يعين بعضها على بعض .

وبالصيام يكون العبد صابرًا على الطاعات ، وصابرًا عن المخالفات، وصابرًا على أقدار الله المؤلمة ، فيكون الصيام جمع أنواع الصبر الثلاثة، ولذلك سُمي شهر رمضان شهر الصبر، وعظم الثواب فيه أعظم من غيره؛ لأن الله عز وجل يقول: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر: ١٠] .

والصيام يحمي صاحبه ويصونه عن الوقوع في الفواحش ، كما قال عليه الصلاة والسلام : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » رواه البخاري ومسلم.

قال بعض العلماء : ومن منافع الصوم البديعة ما ذكر الأطباء أنه يحفظ الصحة ، ويذيب الفضلات المؤذية ، ويريح القوى ، ويرد إليها قوتها، وهو من أفضل أنواع الحمية عن تناول ما يؤذي البدن .

فبهذا يتبين لك أيها المسلم أن الصيام جمع مصالح الدين والدنيا والآخرة ، نسأله جل وعلا أن يجعلنا جميعًا من أوليائه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

(٣)

فضل صيام رمضان (١)

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله ، يقول الله عز وجل : إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به ، يدع طعامه وشهوته من أجله ، وللصائم فرحتان : فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك : الصوم جنة ...» . وفي رواية في الصحيحين : « كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي» . وفي رواية للبخاري : « لكل عمل كفارة والصوم لي وأنا أجزي به» .

قال ابن رجب رحمه الله : فعلى الرواية الأولى يكون استثناء الصوم من الأعمال المضاعفة ، فتكون الأعمال كلها تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، إلا الصيام فإنه لا ينحصر تضعيفه في هذا العدد ، بل يضاعفه الله عز وجل أضعافًا كثيرة بغير حصر عدد ، فإن الصيام من الصبر وقد قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ، ولذا ورد عن النبي ﷺ أنه سمى شهر رمضان شهر الصبر . وفي الترمذي عنه ﷺ قال: « الصوم نصف الصبر ، والصبر ثلاثة أنواع : صبر على طاعة الله ، وصبر عن محارم الله، وصبر على أقدار الله المؤلمة » .

وتجتمع كلها في الصوم ، فإن فيه صبرًا على طاعة الله ، وصبرًا عما حرم الله على الصائم من الشهوات ، وصبرًا على ما يحصل للصائم من ألم الجوع والعطش ، وضعف النفس والبدن ، وهذا الألم الناشئ من أعمال

الطاعات يثاب عليه صاحبه ، كما قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٢٠] .

وحيث إننا علمنا ما جاء في السنة مضاعفة أجر الصائم إلى أضعاف كثيرة لا تدخل تحت حصر ، وكما قال عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .

فاعلم أيضًا أن مضاعفة الأجر للأعمال كما كانت في رمضان ؛ لشرفه وفضله ، وهذه فضيلة زمانية بخصوص هذا الشهر ، فقد تكون أيضًا مضاعفة لشرف المكان المعمول فيه ذلك العمل ، كالحرمين الشريفين ، فإنه ثبت عند البخاري ومسلم عنه ﷺ قال : « صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام » ، وفي رواية « أفضل ».

وجاء في سنن ابن ماجة عن ابن عباس رضي الله عنه : « من أدرك بمكة فصامه وقام منه ما تيسر ، كتب الله له مائة ألف شهر رمضان فيما سواه » .

ومنها : شرف الزمان : كشهر رمضان وعشر ذي الحجة ، وفي حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه في فضل شهر رمضان : « فمن تطوع فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه » .

وفي الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال : «سئل النبي ﷺ : أي الصدقة أفضل ؟ قال: صدقة في رمضان» .

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ قال : « عمرة في رمضان تعدل حجة أو قال : حجة معي» .

قال النخعي : « صوم يوم من رمضان أفضل من ألف يوم ، وتسبيحة فيه أفضل من ألف تسبيحة ، وركعة فيه أفضل من ألف ركعة» .

فلما كان الصيام في نفسه مضاعفًا أجره بالنسبة إلى سائر الأعمال كان صيام شهر رمضان مضاعفًا على سائر الصيام لشرف زمانه ، وكونه هو الصوم الذي فرضه الله على عباده وجعل صيامه أحد أركان الإسلام التي يبنى عليها .

وقد يضاعف الثواب بأسباب أخرى منها : شرف العامل عند الله ، وقربة منه ، وكثرة تقواه ، كما ضوعف أجر هذه الأمة على أجور من قبلهم من الأمم ، وأعطوا كفلين من الأجر .

وروى البيهقي في شعب الإيمان وغيره عن سفيان بن عيينة في هذا الحديث وهو قوله ﷺ : «كل عمل ابن آدم له الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، قال الله عز وجل : إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به » الحديث . قال سفيان رحمه الله : هذا من أجود الأحاديث وأحكمها ، إذا كان يوم القيامة يحاسب الله عبده ، ويؤدي ما عليه من المظالم من سائر عمله، حتى لا يبقى إلا الصوم ، فيتحمل الله عز وجل ما بقي عليه من

المظالم ، ويدخله بالصوم الجنة .

فالمفهوم من كلام سفيان رضي الله عنه أن الصيام حيث كان لله ، فلا سبيل لأحد إلى أخذ شيء من ثوابه وأجره ، بل أجره مدخر لصاحبه عند الله ، وحينئذ يقال : إن سائر الأعمال قد يكفر بها ذنوب صاحبها ، فلا يبقى لها أجر ، لما روي أنه يوازن يوم القيامة بين الحسنات والسيئات ، ويقص بعضها من بعض ، فإن بقي من الحسنات حسنة ، دخل بها صاحبها الجنة ، كما قال سعيد بن جبير وغيره ، ويشهد لذلك من القرآن قوله عز وجل : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ [القارعة:٦-٩] ، وقوله : «إلا الصيام فإنه لي» .

تكلم العلماء رحمهم الله على ذلك بعبارات كثيرة ، ومن أجمعها قولان: أحدهما : أن الصيام هو مجرد ترك حظوظ النفس وشهواتها الأصلية التي جبلت على الميل إليها ، طاعة لله ، وامتثالاً لأمره ، ولا يوجد ذلك في غيره من العبادات ، وإن وجد في غير الصيام شيء من ذلك فهو لا يوجد كله فيه ، ولا يستغرق من الزمن مثل زمن الصيام ، فمثلاً في حال الإحرام يجب اجتناب الجماع ودواعيه من طيب ونحوه دون سائر الشهوات من الأكل والشرب ، وكذلك الاعتكاف مع أن الاعتكاف تابع للصيام ، وأما الصلاة فإنه وإن ترك فيها الشهوات إلا أنه مدتها لا تطول فلا يجد المصلي ، فقْد الطعام والشراب في صلاته ، بل قد نهي أن يصلي ونفسه تتوق إلى طعام بحضرته حتى يتناول منه ما يسكن نفسه ، ولهذا أمر النبي ﷺ بتقديم العشاء

على الصلاة .

المعنى الثاني : على قوله : «إلا الصيام فإنه لي». أن المراد أن الصيام سر بين العبد وربه لا يطلع عليه غيره ؛ لأنه مركب من نية باطنة لا يطلع عليها إلا الله وحده ، وترك لتناول الشهوات التي يستخفي عند تناولها في العادة ، ولذلك قيل : إن الصيام لا يدخله الرياء .

وقوله : « ترك طعامه وشرابه من أجلي» فيه إشارة إلى أن الصائم يتقرب إلى الله بترك ما تشتهيه نفسه من الطعام والشراب والنكاح ، وهذا من أعظم شهوات النفس .

اللهم اجعلنا ممن يصوم هذا الشهر ويقومه إيمانًا واحتسابًا . اللهم اجعلنا ممن يتأدب بآدابه ، ومن علينا وعلى جميع المسلمين بالعفو والغفران والرحمة والرضوان.

وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه .

* * *

(٤)

فضل صيام رمضان (٢)

ومن فضائل الصيام أن الله سبحانه أضافه لنفسه ، بقوله : «الصوم لي وأنا أجزي به» ، كما جاء ذلك في الحديث الذي في الصحيحين ، وذكر بعض أهل العلم معنى ذلك بقوله : إن المعنى هو أن الصيام مجرد ترك الحظوظ التي للنفس وشهواتها الأصلية التي جبلت على الميل إليها لله عز وجل ، ولا يوجد ذلك في عبادة أخرى غير الصيام ، وإن كان يوجد بعضًا من ذلك كالإحرام مثلاً ، فالمحرم إنما يترك فيه الجماع ودواعيه من الطيب دون سائر الشهوات من الأكل والشرب .

وكذلك الاعتكاف مع أنه تابع للصوم .

وأما الصلاة فإنه وإن ترك المصلي فيها جميع شهواته إلا أن مدتها قصيرة لا تطول ، فلا يجد المصلي فقْد الطعام والشراب في صلاته ، بل إنه قد جاء النهي عن الصلاة لمن تتوق نفسه إلى الطعام حتى يتناول منه ما يسكن به نفسه ؛ ولهذا جاء عنه ﷺ الأمر بتقديم العشاء على الصلاة ،

وهذا بخلاف الصيام فإنه يستوعب النهار كله ، فيجد الصائم فقد هذه الشهوات ، وتتوق نفسه إليها خصوصًا في نهار الصيف لشدة الحر ، وطول وقت الصيام ، ولهذا ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: « إنه من خصال الإيمان الصوم في الصيف» رواه البيهقي في شعب الإيمان.

وقد كان ﷺ يصوم رمضان في السفر في شدة الحر دون أصحابه كما قال أبو الدرداء : « كنا مع النبي ﷺ في رمضان في سفر ، وأحدنا يضع يده على رأسه من شدة الحر ، وما فينا صائم إلا رسول الله وعبد الله بن رواحة » رواه البخاري ومسلم . فإذا اشتد توقان النفس إلى ما تشتهيه مع قدرتها عليه ، ثم تركته لله عز وجل في موضع لا يطلع عليه إلا الله ، كان ذلك دليلاً على صحة الإيمان . فإن الصائم يعلم أن له ربًا يطلع عليه في خلوته ، وقد حرم عليه أن يتناول شهواته المجبول على الميل إليها في الخلوة ، فأطاع ربه ، وامتثل أمره ، واجتنب نهيه ؛ خوفًا من عقابه ، وطمعًا في ثوابه ، فشكر الله له ذلك ، واختص لنفسه عمله هذا من بين سائر أعماله ، ولهذا قال بعد ذلك : « إنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي» رواه مسلم .

قال بعض السلف : طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعد غيب لم يره ، وهذه حالة المؤمن الذي أذاقه الله حلاوة الإيمان ، فإنه يقدم رضا مولاه على تناول شهواته ، ولهذا يقول ﷺ : « لا يجد عبد طعم الإيمان حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به» رواه الحكيم الترمذي والخطيب وابن أبي عاصم وغيرهم .

فمما جاء به ﷺ الأمر بالصيام ، والكف عن تناول الطعام والشراب في هذا الوقت المخصوص ، امتثالاً لأمر الله وأمر رسوله ، فامتثل أمرهما ، وقدم رضا مولاه على هواه ، فصارت لذته في ترك شهوته لله ؛ لإيمانه باطلاع الله عليه ، وبثوابه وعقابه ، فتصير لذته فيما يرضي الله ، وإن كان مخالفًا لهواه ، ويكون ألمه فيما يكرهه مولاه ، وإن كان موافقًا لهواه .

وإذا كان هذا فيما حرم لعارض الصوم من الطعام والشراب ومباشرة

النساء ، فينبغي للصائم أن يتأكد ذلك عنده فيما حرم الله عليه مطلقًا ، كالزنا ، وشرب الخمر ، وأخذ أموال الناس ، وهتك أعراضهم بغير حق ، وسفك الدماء المحرمة ، فإن هذا يسخط الله ويكرهه على كل حال ، وفي كل زمان ومكان ، فإذا منّ الله على المؤمن بكمال الإيمان كره ذلك كله وأبغضه ، ولهذا جعل النبي ﷺ من علامات وجود حلاوة الإيمان ، أن يكره أن يرجع إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه ، كما يكره أن يقذف في النار .

« سئل ذو النون : متى أحبُّ ربي ؟ قال : إذا كان ما يُبغضه عندك أمرَّ من الصبر» رواه أبو نعيم في الحلية .

وقال بعضهم : ليس من أعلام المحبة أن تحب ما يكرهه حبيبك ، ولكن الأمر الذي عليه كثير من الناس اليوم أنهم يمشون على العوائد ، فلا يكون عنده استحضار للعبادة التي يؤديها ويقوم بها ، بل يقوم بحسب المعتاد الذي اعتاده ، دون نظر إلى ما يوجبه الإيمان ويقتضيه .

فتجده يستعظم فعل بعض الأشياء الصغيرة مما نهي عنه ، ولكن يرتكب الأمور العظام ، وربما ترك المباح المرخص به شرعًا ، جريًا على العادة ، مثل أن يكون له عذر في الإفطار لمرض أو سفر ونحوه ، فيترك الفطر ، ويرى ذلك من الورع ، ومن المحافظة على الواجبات ، ولكنه لا يرتدع عن أن يقع في أعراض الناس ، لأنه اعتاد ذلك ، وسهل عليه ، ولا يرتدع عن أكل أموال الناس ، فهذا يجري على عوائده في ذلك كله لا على مقتضى الإيمان ، ومن عمل بمقتضى إيمانه ، صارت لذته في مصايرة نفسه عما تميل نفسه إليه إذا كان فيه سخط الله .

فعلى العاقل الناصح لنفسه أن يتفقد أحواله وشؤونه ، ويستحضر في عباداته أوامر الله ، وأنه فعل ذلك امتثالاً لأمره ، ومسارعة إلى رضاه ؛ رجاء ما عنده ، وخوفًا من عقابه ، ويستحضر عند تركه ما حرم الله البعد عنه من أجل نهي الله عنه ؛ خوفًا من عقابه ، ورجاء ثوابه .

ويحرص كل الحرص أن يفرق بين ما يفعله عبادة ، وما يفعله عادة، ويستشعر النية في أعماله ؛ لقوله ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى» رواه البخاري .

وعلى المسلم أن يأخذ بوصية جابر بن عبد الله رضي الله عنه في صيامه حيث يقول : «إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم ودع أذى الجار ، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك ، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء» رواه ابن أبي شيبة في مصنفه .

ولقد حذر الناصح لأمته ﷺ مما يخل بالصوم ، فقال : « رب صائم حظه من صومه الجوع والعطش ، ورب قائم حظه من قيامه السهر»رواه أحمد وابن أبي شيبة في مصنفه .

اللهم وفقنا للعمل بما يرضيك ، وجنبنا أسباب سخطك ومناهيك يا حي يا قيوم . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه .

* * *

(٥)

فوائد الصيام

يمتن الله سبحانه وتعالى على عباده بالنعم المتوافرة في دينهم ودنياهم، خلقهم ورزقهم ؛ ليعبدوه وينيبوا إليه ، ووعدهم جزاء عبادتهم له النعيم المقيم ، وجعل السعادة والحياة الطيبة لأهل الإيمان ، ومن فاته الإيمان فاتته السعادة الأبدية ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل:٩٧] .

وشرع سبحانه لعباده المؤمنين أوقاتًا ومواسم للعبادات ، يجازيهم فيها على العمل القليل أوفر الجزاء ، ويكفر فيها عنهم سيئاتهم ، ويطهرهم من أدناس الرذائل ، وأوضار الذنوب والمعاصي .

ومن أعظم هذه المواسم بركة وأكبرها نفعًا هو هذا الشهر المبارك شهر رمضان الذي اختصه الله بخصائص ، لا توجد في سواه .

منها : أن الله سبحانه أنزل القرآن فيه ، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة:١٨٥].

ومنها : أن الله جعل فيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر ، فالعبادة فيها خير من عبادة ألف شهر خالية منها ليلة القدر .

ومنها : أن مضاعفة الحسنات تحصل بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف

إلا الصيام فإن مضاعفته غير محصورة بعدد ، فإن الله يضاعف الأجر للصائم أضعافًا كثيرة بغير حصر عدد ، لأن الصيام من الصبر ، والله سبحانه يقول : ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ .

ومن فوائد الصيام : كسر النفس عن الأشر والبطر والتعاظم في النفس، فإن الشبع والري ومباشرة النساء تحمل النفس على البطر والترفع على الناس ، والغفلة عن الله .

ومن فوائده : تخلي القلب للفكر والذكر ، فإن تناول الشهوات قد يقسي القلب ويعميه ، ويحول بين العبد وبين الذكر والفكر ، وتستدعي الغفلة .

وخلو البطن من الطعام والشراب ينور القلب ، ويوجب رقته ويزيل قسوته ، ويخليه للفكر والذكر .

ومن فوائد الصيام : أن الغني يعرف قدر نعمة الله عليه بإقداره له على ما منعه كثيرًا من الفقراء من فضول الطعام والشراب والنكاح ، فإنه بامتناعه من ذلك في وقت مخصوص ، وحصول المشقة له بذلك يتذكر به حالة من منع من ذلك على الإطلاق ، فوجب له ذلك شكر نعمة الله عليه بالغنى ، ويدعوه إلى رحمة أخيه المحتاج ومواساته بما يمكن من ذلك .

ومنها : أن الصيام يضيق مجاري الدم التي هي مجاري الشيطان من ابن آدم ، فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، فتسكن بالصيام وساوس الشيطان ، وتنكسر ثورة الشهوة والغضب ، ولهذا جعل النبي ﷺ

الصوم وجاء لقطعه عن شهوة النكاح .

وليعلم الصائم أنه لا يتم التقرب إلى الله تعالى بترك الشهوات المباحة إلا بعدما يتم التقرب إليه ، بترك ما حرم الله عليه في كل حال من الكذب ، والظلم ، والعدوان على الناس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم ؛ ولهذا قال النبي ﷺ : «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» ، وقد أخرج هذا الحديث البخاري رحمه الله وجاء في الحديث الآخر : « ليس الصيام من الطعام والشراب ، إنما الصيام من اللغو والرفث» .

قال بعض السلف : « أهون الصيام ترك الشهوات» .

وقال جابر رضي الله عنه : « إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم ، ودع أذى الجار ، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك ، ولا تجعل يوم صومك وفطرك سواء» رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ، وقد قيل في هذا المعنى :

إذا لم يكن في السمع مني تهـــــاون

وفي بصري غض وفي منطقي صمت

فحظي إذًا من صومي الجوع والظمأ

فإن قلت إني صمت يومي فما صمت

وقال النبي الكريم ﷺ : «رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، ورب قائم حظه من قيامه السهر» رواه أحمد والبيهقي والحاكم .

قال بعض العلماء : وسر هذا أن التقرب إلى الله تعالى بترك المباحات لا يكمل إلا بعد التقرب إليه بترك المحرمات ، فمن ارتكب المحرمات ثم تقرب إلى الله بترك المباحات ، كان بمثابة من يترك الفرائض ويتقرب بالنوافل ، وإن كان صومه مجزئًا عند الجمهور ، بحيث لا يؤمر بالإعادة ؛ لأن العمل إنما يبطل بارتكاب ما نهي عنه فيه لخصوصه دون ارتكاب ما نهي عنه لغير معنى يختص به .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *

(٦)

من فوائد الصيام

للصيام فوائد عديدة ، منها : كسر النفوس عن الاسترسال في شهواتها التي غالبًا ما تحملها على الأشر والبطر والغفلة عن ذكر الله واللهو الذي ينسي العبد أمر آخرته ويرغبه في أمر دنياه ، فإن الشبع والري ومباشرة النساء كثيرًا ما يكون سببًا للغفلة عما أوجب الله على العبد من أعمال الطاعات ويثقل أداءها عليه ، فربما أداها على كره ، أو تثاقل ، أو كسل ، فيتصف الرجل بصفات المنافقين الذين ذكرهم الله بقوله : ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤].

ومن فوائد الصيام أنه يفرغ القلب ، ويخليه للفكر والذكر ، فإنّ تناول هذه الشهوات والتمادي معها قد يقسي القلب ويعميه ، ويحول بين العبد وبين ذكر الله ، والتفكر في مخلوقاته التي أمرنا سبحانه بالتفكر بها ، كما في قوله عز وجل : ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١] وخلو البطن من الطعام والشراب ينور القلب ، ويوجب رقته ، ويزيل قسوته ، ويفرغه للذكر والفكر .

ومنها : أن الصيام يضيق مجاري الدم التي هي مجاري الشيطان من

ابن آدم ، فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، فبالصيام تسكن وساوس الشيطان ، وتتكسر ثورة الشهوة والغضب ، ولهذا جعل النبي ﷺ الصوم وِجَاء لقطعه شهوة النكاح ، فهذه إشارة إلى شيء من فوائد الصيام .

واعلم أنه لا يتم التقرب إلى الله تعالى بترك هذه الشهوات المباحة التي أباحها الله لنا ، ومنع منها حالة الصيام ، إلا بعد التقرب إليه بترك ما حرم الله علينا في كل حال في الصيام وغيره من الكذب ، والظلم ، والعدوان على الناس في دمائهم ، وأموالهم ، وأغراضهم ، ولهذا قال النبي الكريم ﷺ : «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» أخرجه البخاري في صحيحه .

وفي الحديث : « ليس الصيام من الطعام والشراب إنما الصيام من اللغو والرفث» رواه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم وصححه .

وقال بعض السلف : « أهون الصيام ترك الطعام والشراب» ، وقال رضي الله عنه : «إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمحارم ، ودع أذى الجار ، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك ، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء» رواه ابن أبي شيبة في مصنفه .

وقال النبي ﷺ : « رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش ، ورب قائم حظه من قيامه السهر » رواه أحمد وابن ماجة والنسائي وغيرهم.

وفي مسند الإمام أحمد : أن امرأتين صامتا في عهد النبي ﷺ فكادتا أن تموتا من العطش ، فذكر ذلك للنبي ﷺ فأعرض ، ثم ذكرتا له فدعاهما

فأمرهما أن يتقيئا فقاءتا ملء قدح قيحًا ودمًا وصديدًا ولحمًا عبيطًا ، فقال النبي ﷺ : « إن هاتين صامتا عما أحل الله ، وأفطرتا على ما حرم الله عليهما، جلست إحداهما إلى الأخرى ، فجعلتا تأكلا لحوم الناس» رواه أحمد وأبو داود وابن أبي شيبة في مصنفه .

فعلى كل صائم لزوم المحافظة على صيامه ؛ خوفًا من بطلانه ، وذهاب أجره ، وطمعًا فيما عند الله من الثواب الجزيل الذي أعده الله للطائعين من عباده المؤمنين بوعده ، الراجين لثوابه ، فإن من ترك صيامه وشرابه وشهوته لله تعالى ، يرجو ما عنده عوض ذلك في الجنة ، فهذا قد تاجر مع الله ، وعامله ، والله لا يضيع أجر المحسنين ، ولا يخيب معه عمل عامل، بل يربح عليه أعظم الربح ؛ ولذلك يقول عليه الصلاة والسلام كما في مسند أحمد : « إنك لن تدع شيئًا اتقاء الله إلا آتاك الله خيرًا منه » رواه أحمد ، فإن الصائم الذي أتم صيامه وصانه عن ما يفسده وينقصه ، يعطى في الجنة ما شاء الله من طعام وشراب ونساء .

قال الله عز وجل : ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة:٢٤] ، قال مجاهد وغيره : نزلت في الصائمين . قال يعقوب بن يوسف الحنفي : بلغنا أن الله تعالى يقول لأوليائه يوم القيامة : « يا أوليائي طالما نظرت إليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الأشربة ، وغارت أعينكم ، وجفت بطونكم ، كونوا اليوم في نعيمكم ، وتعاطوا الكأس فيما بينكم ، وكلوا واشربوا هنيئًا بما أسلفتم في الأيام الخالية » .

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ قال : « إن في الجنة بابًا يقال له باب

الريان ، يدخل منه الصائمون ، لا يدخل منه غيرهم» .

نسأله سبحانه أن يمن علينا جميعًا بالمحافظة على صيامنا ، وجميع فرائض ديننا ، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل .

وصلى الله وسلم على خير خلقه سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه .

* * *

(٧)

الإكثار من تلاوة القرآن الكريم

يستحب للصائم في هذا الشهر الكريم الإكثار من تلاوة القرآن ودراسته ، ومدارسته ، والاجتماع على ذلك ، وعرض القرآن على من هو أحفظ له اقتداء بالنبي ﷺ ، كما ورد في حديث فاطمة رضي الله عنها عن أبيها ﷺ « أنه أخبرها أن جبريل عليه السلام كان يعارضه القرآن كل عام مرة ، وأنه عارضه في عام مرتين» رواه مسلم .

وفي حديث ابن عباس أن المدارسة بينه وبين جبريل كانت ليلاً ، فدل على استحباب الإكثار من التلاوة في رمضان ليلاً ، فإن الليل تنقطع الشواغل ، ويجتمع فيه الهم ، ويتواطأ القلب واللسان على التدبر ، كما قال تعالى : ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـًٔا وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل:٦] .

وشهر رمضان له خصوصية بالقرآن ، كما قال تعالى : ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة:١٨٥] ، وقد قال ابن عباس رضي الله عنه : إنه نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في ليلة القدر،ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر:١] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾ [الدخان:٣] .

وقد كان النبي ﷺ يطيل القراءة في قيام رمضان بالليل أكثر من غيره ، وقد صلى معه حذيفة رضي الله عنه ليلة في رمضان ، قال : « فقرأ بالبقرة ثم النساء ثم آل عمران ، لا يمر بآية تخويف إلا وقف وسأل ، فما صلى

الركعتين حتى جاءه بلال فأذن بالصلاة» رواه أحمد والنسائي في الكبرى .

وكان السلف الصالح رضي الله عنهم يكثرون من تلاوة القرآن في رمضان في نهاره ولياليه ، ويغتنمون هذه الأيام لما فيها من مضاعفة الأجر واقتداء بالنبي ﷺ .

قال الزهري : إذا كان رمضان فإنما هو تلاوة القرآن ، وإطعام الطعام.

قال عبد الرزاق : كان سفيان الثوري إذا دخل رمضان ترك جميع نوافل العبادة ، وأقبل على قراءة القرآن .

وإن من أعطاه الله القرآن العظيم ، فحفظه ، وعمل به ، فقد حصل له الخير الكثير ، والنعمة العظيمة ، فيجب المحافظة عليه ، وتعاهده بكثرة التلاوة ، والتأمل لمعانيه ، والعمل بمحكمه ، والإيمان بمتشابهه ، وينبغي له أن يغتبط ويفرح به ، فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون .

ولا ينبغي لمن منّ الله عليه بحفظ كتابه أن يمد عينيه إلى ما أوتيه الآخرون من زهرة الحياة الدنيا ، ونعيمها ، وكثرة أموالها ، وشهواتها ، وما فيها من البهجة والسرور ، من قصور شامخات ، وبساتين مثمرات ، وقصور منيفات ، ومراكب فاخرات ، فإن ما أعطاه الله من نعمة حفظ كتابه ، والعمل به ، وتلاوته لا يعدله شيء من الأمور ، فإنه هو نعيم الدنيا ، ومن أسباب نعيم الآخرة الذي لا يعدله شيء ، فلا يغبط أهل الدنيا بما هم فيه، فالغبطة إنما تحصل له كما قال عليه الصلاة والسلام : « لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله القرآن ، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل

آتاه مالاً ، فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار» رواه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

وفي صحيح مسلم عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأهله » .

فينبغي لحافظ القرآن أن يتعاهده ؛ مخافة نسيانه وأن يعرضه على من هو أحفظ منه ، أو على من يستمع له من المصحف ؛ ليتأكد من حفظه ، وليتذكر ما قد يفوت عليه ، وهذه أيضًا سنة ينبغي العمل بها ، اقتداء بالمصطفى عليه من الله أفضل الصلاة والتسليم ، فإنه قد جاء في حديث فاطمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه أخبرها أن جبريل عليه السلام كان يعارضه القرآن كل عام مرة ، وأنه عارضه في آخر عام من حياته مرتين .

وجاء في حديث عبد الله بن عباس أن المدارسة بينه وبين جبريل كانت ليلاً، فهذا يدل على استحباب الإكثار من التلاوة في رمضان ليلاً ، فإن الليل تنقطع فيه الشواغل ، وتجتمع الهمم ، ويتواطأ فيه القلب واللسان على التدبر، كما قال عز وجل: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ [المزمل: ٦] .

وشهر رمضان له خصوصية بالقرآن الكريم ، كما قال تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ ﴾ ولذلك كان السلف الصالح يكثرون من التلاوة في شهر رمضان ليلاً ونهارًا ، اقتداء بالرسول ﷺ وأصحابه ، فكان بعضهم يختم في قيام رمضان في كل ثلاث ليال ، وبعضهم في كل سبع، منهم قتادة ، وبعضهم في كل عشر ، منهم أبو رجاء العطاردي .

وكان السلف يكثرون من تلاوة القرآن في شهر رمضان في الصلاة وغيرها ، فكان الأسود رحمه الله يقرأ القرآن في كل ليلتين في رمضان ، وكان النخعي يفعل ذلك في العشر الأواخر خاصة ، وفي بقية الشهر كل ثلاث ، وكان للشافعي رحمه الله في رمضان ستون ختمة ، يقرؤها في غير الصلاة ، ويروى عن أبي حنيفة رحمه الله نحوه ، وكان مالك رحمه الله إذا دخل رمضان يترك قراءة الحديث ، ومجالسة أهل العلم ، ويقبل على تلاوة القرآن من المصحف ، وكانت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها تقرأ في المصحف أول النهار في شهر رمضان ، فإذا طلعت الشمس نامت .

فاحرص أيها المسلم على تلاوة القرآن ؛ لتحوز الأجر العظيم من الله، فإن لك بكل حرف عشر حسنات ، كما جاء الخبر بذلك عن المصطفى ﷺ حتى يكون لك شافعًا عند الله ، فقد جاء في حديث بريدة الذي خرجه الإمام أحمد رحمه الله مرفوعًا إلى النبي ﷺ : « إن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره ، كالرجل الشاحب ، فيقول هل تعرفني؟ أنا صاحبك الذي أظمأتك في الهواجر ، وأسهرت ليلك ، وكل تاجر من وراء تجارته ، فيعطى الملك بيمينه ، والخلد بشماله ، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ثم يقال له : اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها ، فهو في صعود ما دام يقرأ هزًّا كان أو ترتيلاً » .

وفي حديث عبادة بن الصامت : أن القرآن يأتي صاحبه فيقول له : «أنا القرآن الذي كنت أسهر ليلك ، وأظمئ نهارك ، وأمنعك شهوتك ، وسمعك ، وبصرك ، فتجدني من الأخلاء خليل صدق ، ومن الإخوان أخا

صدق ، فأبشر ، فيؤمر له بفراش ، ودثار ، وقنديل ، من الجنة ، وياسمين من ياسمين الجنة فيحمله ألف ملك من مقربي السماء الدنيا ، قال : فيسبقهم إليه القرآن ، فيقول : هل استوحشت بعدي ؟ فإني لم أزل بربي الذي خرجت منه ، حتى آمر لك بفراش ودثار ، ونور من نور الجنة ، فتدخل عليه الملائكة ، فيحملونه ويفرشون ذلك الفراش تحته ، ويضعون الدثار تحت قلبه ، والياسمين عند صدره ، ثم يحملونه حتى يضعونه على شقه الأيمن ، ثم يصعدون عنه ، فيستلقي عليه ، فلا يزال ينظر إلى الملائكة، حتى يلحقوا في السماء ، ثم يرفع القرآن في ناحية القبر فيوسع عليه ما شاء الله أن يوسع من ذلك » رواه الحارث في مسنده .

وليحذر حافظ القرآن كل الحذر من عدم العمل بالقرآن ، والقيام بحقوقه ، فإنه وردت عدة أحاديث تدل على أن من كان معه القرآن ، فنام عنه بالليل ، ولم يعمل به بالنهار ، فإنه ينتصب له خصمًا يوم القيامة ، يطالبه بحقوقه التي ضيعها ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

اللهم ارزقنا العمل بكتابك وآمنا من عذابك . وصلى الله وسلم وبارك على خير خلقه نبينا وسيدنا محمد وآله وصحبه .

* * *

(٨)

آداب الصائم

اعلم أيها الصائم الكريم أن للصوم آدابًا ينبغي أن نتأدب ونتخلق بها:

منها : كف النظر ، وكف اللسان عن فضول الكلام .

ومنها : الإفطار على الحلال وتعجيله ، وأن يفطر على رطب ، فإن لم يجد فعلى تمر .

ويستحب أن يقول : اللهم لك صمت، وعلى رزقك أفطرت، وعليك توكلت ، وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا افطر يقول : « اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء أن تغفر لي» رواه ابن ماجة والحاكم والبيهقي .

ويستحب تعجيل الفطر ؛ لحديث : « لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر » رواه البخاري ومسلم .

وينبغي للصائم أن يحرص غاية الحرص على إخلاص العمل لله ، وأن يجتنب الأمور التي تنقص صيامه أو تبطله ، وذلك كالسب للناس والطعن فيهم ، والكذب ، والفحش ، والفجور ، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش ورب قائم حظه من قيامه السهر » رواه أحمد وابن أبي شيبة في مصنفه .

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إذا كان أحدكم يومًا صائمًا فلا يجهل ولا يرفث ، فإن امرؤ قاتله أو شتمه فليقل إني صائم » رواه أحمد وغيره .

وينبغي للمسلم أن يغتنم أوقات هذا الشهر الكريم ، ويكثر فيه من الصلاة ، وقراءة القرآن ، والذكر ، والتسبيح ، والتهليل ، والتحميد ، فإن هذا موسم من مواسم الطاعات .

وقد جاء عنه ﷺ أنه قال : « إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة ، وغلقت أبواب النيران ، وسلسلت الشياطين ، ونادى مناد: يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر» رواه البخاري ومسلم .

وقد قال ﷺ : « الكيس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني» رواه أحمد والترمذي وابن ماجة.

فينبغي للمسلم أن يحاسب نفسه ، ويعودها على فعل الخير ، ويوطنها على الصبر على الطاعات ، فإن النفس لا تقف في شهواتها عند حدّ ، فهي كالطفل الشرس ، كلما أجبت لها شهوة ازدادت رغبة في شهوة أخرى ، وألحت في طلبها ، ومن أعطى نفسه كل ما تشتهي فإنه سوف يندم حين لا ينفعه الندم ، وستكون عاقبته الخسارة ، وقد قيل في هذا المعنى :

مَنْ لي برد جماحٍ مِنْ غوايتـــــــــــها

كما يُرد جمـــــــــاح الخيل باللجم

فلا ترمْ بالمعاصي كسـر شهواتها

إن الطعام يقوي شـهوة النهم

والنفس كالطفل إن تهمله شـبَّ على

حب الرضـاع وإن تفطمه ينفطم

فاصرف هواهـا وحاذر أن توليه

إن الهـوى ما تـولى يعم أو يصم

كم حسـنت لذة للمـرء قاتلة

من حيث لم يدر أن السم في الدسـم

وخالف النفس والشيطان واعصمهما

وإن هما محضاك النصـح فاتهم

أيها المسلم : إن المسلم إن لم يستطع أن يسيطر على نفسه ، وأجابها إلى جميع رغباتها فليس بصائم ، ومن لم يمتنع عن اللغو والرفث فليس بصائم .

إنه لن ينال الله من إمساكنا عن الطعام والشراب شيء ، ولكنه يناله التقوى من كل ذلك ، كما قال عليه الصلاة والسلام : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» رواه البخاري .

اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا ، اللهم قونا على طاعتك وجنبنا أسباب معصيتك ، وارحمنا برحمتك الواسعة آمين ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين .

(٩)

الجود في رمضان (١)

في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « كان النبي ﷺ أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه كل ليلة من رمضان ، فيدارسه القرآن ، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة» . وزاد الإمام أحمد : «ولا يسأل عن شيء إلا أعطاه» .

هكذا كان خلقه ﷺ في هذا الشهر الكريم ، فإن يجود ويتضاعف جوده في هذا الشهر أكثر من سائر الأوقات ، وذلك أن الأعمال فيه تضاعف ، والمسلمون ينصرفون إلى طاعة ربهم ومولاهم ، وإعانتهم ، وتقويتهم على طاعة الله مطلوبة ، ويحصل بها المشاركة في الأجر ، كما قال عليه السلام : « من فطر صائمًا فله مثل أجره» .

فينبغي لك أيها المسلم المبادرة إلى فعل الخير والتأسي والاقتداء بنبيك ﷺ ، فإن النبي ﷺ كما تقدم لنا في الحديث أنه كان أجود ما يكون في رمضان.

والجود هو من الصفات الحميدة التي يحبها الله ورسوله ، ولذلك كانت من صفات الباري عز وجل ، فإنه هو الجواد على الحقيقة ، ويحب الجود ، وهو الكريم ، ويحب الكرم ، كما جاء في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « إن الله جواد يحب الجود كريم يحب الكرم» . أخرجه الترمذي .

وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز

وجل قال : « يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا في صعيد واحد ، فسأل كل إنسان منكم ما بلغت أمنيته ، فأعطيت كل سائل منكم ، ما نقص ذلك من ملكي إلا كما لو أن أحدكم مر بالبحر فغمس فيه إبرة ، ثم رفعها إليه ، ذلك بأني جواد ، وأجود ماجد ، أفعل ما أريد ، عطائي كلام ، وعذابي كلام ، إنما أمري لشيء إذا أردته أن أقول له كن فيكون» أخرجه الترمذي .

وفي الأثر عن فضيل بن عياض أن الله تعالى يقول كل ليلة : « أنا الجواد ومني الجود ، وأن الكريم ومني الكرم » أخرجه أبو نعيم في الحلية .

فالله سبحانه أجود الأجودين ، وجوده سبحانه يتضاعف في أوقات خاصة كشهر رمضان ، وفيه أنزل الله عز وجل قوله : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦] .

ولما كان الله عز وجل قد جبل نبيه ﷺ على أكمل الأخلاق وأشرفها كان ﷺ أجود الناس كلهم. وقد قال عليه السلام: « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» أحمد وابن ماجة والحاكم .

وروي عنه ﷺ أنه قال : « ألا أخبركم بالأجود ، الأجود الله الأجود الله ، وأنا أجود ولد آدم ، وأجودهم من بعدي رجل علم علمًا فنشر علمه ، يبعث يوم القيامة أمة واحدة ، ورجل جاد بنفسه في سبيل الله » أخرجه أبو يعلى والبيهقي في شعب الإيمان وفيه ضعف. فدل هذا على أنه ﷺ أجود بني آدم على الإطلاق ، كما أنه أفضلهم وأعلمهم ، وأشجعهم ، وأكملهم في جميع الصفات الحميدة ، وكان جوده ﷺ يجمع أنواع الجود والكرم من بذل

العلم والمال ، وبذل نفسه لله في إظهار دينه ، وهداية عباده ، وإيصال الخير والنفع لهم بكل طريق ، من إطعام جائعهم ، ووعظ جاهلهم ، وقضاء حوائجهم ، وتحمل أثقالهم ، والصبر على ما يصيبهم منه .

ولم يزل ﷺ على هذه الخصال الحميدة منذ نشأ ، ولهذا قالت خديجة في أول مبعثه ﷺ : « والله لا يخزيك الله أبدًا ، إنك تصل الرحم ، وتقري الضيف ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الحق» رواه البخاري ومسلم .

ثم لما بعث ﷺ تضاعفت ، وزادت هذه الخصال فيه ؛ لأنه ﷺ بعث ليتمم مكارم الأخلاق ، وكان ﷺ يجود وجوده كله لله ، وفي ابتغاء مرضاة الله ، فإنه كان يبذل المال إما لفقير ، أو محتاج ، أو ينفقه في سبيل الله ، أو يتألف به على الإسلام من يقوى الإسلام بإسلامه ، كما أعطى عليه السلام أناسًا من رؤساء العرب على مائة بعير ، وعلى خمسين بعيرًا يؤلف قلوبهم ، ويرغبهم في الإسلام .

وكان ﷺ يؤثر على نفسه وأهله وأولاده ، فيعطي العطاء الكثير الذي يعجز عنه الملوك ، ويعيش في نفسه عيشة الفقراء ، فيأتي عليه الشهر والشهران لا يوقد في بيته نار ، وربما ربط الحجر على بطنه من شدة الجوع . وكان قد أتاه مرة سبي فشكت فاطمة رضي الله عنها ما تلقى من خدمة البيت ، وطلبت خادمًا يكفيها مؤنة البيت ، فأمرها أن تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد عند نومها ، وقال : « هذا خير لك من خادم»رواه مسلم ، وقال : «لا أعطيك وأهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع» رواه

أحمد والبيهقي في شعب الإيمان.

فعليك أيها المسلم التأسي بنبيك ، والاهتداء بهديه ، والاقتداء بسنته ، فتصدق على المحتاجين ، واصفح عن الجاهلين ، وحصن صيامك عن ما يخل به ، وسارع إلى نفع إخوانك من المعوزين ؛ لتفوز في هذا الشهر الكريم بجائزة الرب ومغفرته .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *

(١٠)

الجود في رمضان (٢)

كان النبي ﷺ أجود بني آدم على الإطلاق، كما أنه أفضلهم، وأعلمهم، وأشجعهم، وأكملهم في جميع الأوصاف الحميدة، وكان جوده بجميع أنواع الجود، من بذل العلم، والمال، وبذل نفسه لله تعالى في إظهار دينه ، وهداية عباده ، وإيصال النفع إليهم بكل طريق ، من إطعام جائعهم، ووعظ جاهلهم، وقضاء حوائجهم، وتحمل أثقالهم، ولم يزل ﷺ على هذه الخصال الحميدة منذ نشأ، ولهذا قالت له خديجة في أول مبعثه : «والله لا يخزيك الله أبدًا ، إنك لتصل الرحم ، وتقري الضيف ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الحق» رواه البخاري ومسلم .

ثم إنه ﷺ بعد بعثته ونبوته تزايدت فيه هذه الخصال وتضاعفت أضعافًا كثيرة ، وقد جاء في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ أحسن الناس ، وأشجع الناس ، وأجود الناس» .

وفي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال : « ما سئل رسول الله ﷺ عن الإسلام شيئًا إلا أعطاه ، فجاءه رجل فأعطاه غنمًا بين جبلين ، فرجع إلى قومه ، فقال : يا قوم أسلموا ، فإن محمدًا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة » . قال أنس : إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا ، فما يمسي حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها .

وجاء عن صفوان بن أمية قال : « لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما

أعطاني ، وإنه لمن أبغض الناس إليّ ، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليّ » رواه مسلم ، قال ابن شهاب : أعطاه يوم حنين مائة من النعم ثم مائة ثم مائة .

وفي مغازي الواقدي أن النبي ﷺ أعطى صفوان يؤمئذ واديًا مملوءًا إبلاً وغنمًا ، فقال صفوان : أشهد ما طابت بهذا إلا نفس نبي .

وروى البخاري من حديث سهيل بن سعد : «أن شملة أهديت للنبي ﷺ ، فلبسها وهو محتاج إليها ، فسأله إياها ، فأعطاه إياها ، فلامه الناس ، وقالوا : كان رسول الله ﷺ محتاجًا إليها ، وقد علمتَ أنه لا يرد سائلاً ، فقال : إنما سألته لتكون كفني فكانت كفنه» .

فإذا تأملت هذا الوصف له ﷺ وهو الكرم والجود ، فتجد أنه ﷺ استمده من القرآن الكريم ؛ لأنه كان يتأدب بآدابه ، ويتخلق بأخلاقه ، كما قالت عائشة رضي الله عنها : كان خلقه القرآن ، فكان عليه الصلاة والسلام يأتمر بأمره ، وينتهي بنهيه .

وقد اشتمل القرآن على صفات الله سبحانه وتعالى من الحلم ، والإحسان ، والكرم ، وسعة العطاء ، فكان عليه الصلاة والسلام يحب أن يتصف بالصفات التي يحبها الله تعالى ، فالله سبحانه هو الغاية في الكرم ، والإحسان ، والصفح ، والعفو ، والحلم ، وجميع صفات الكمال ، وتجد أن الرسول ﷺ هو أجود الخلق ، وأكرمهم ، ولذلك لما سمع بعض العلماء هذه الأبيات في وصفه بعض الكرماء قال : هذه لا تصلح إلا للرسول ﷺ وهي قوله :

تعود بسط الكف حتى لو أنه ثناهـــا لقبض لم تطعه أنامله

تراه إذا ما جئتــــــه متهللا كأنك تعطيه الذي أنت سائله

والحقيقة أن مثل هذا الثناء لا يصلح إلا أن يكون له ﷺ وأما صفة الله فهي فوق كل صفة ، ولهذا يقال أن الشبلي سمع قائلاً يقول : بالله يا جواد ، فتأوه وصاح ، وقال : كيف يمكنني أن أصف الحق بالجود ، ومخلوق يقول في شكله ، فذكر هذه الأبيات : تعود بسط الكف ... ثم بكى الشبيلي ، وقال : بلى يا جواد فإنك أوجدت تلك الجوارح ، وبسطت تلك الهمم ، فأنت الجواد كل الجواد ، فإنهم يعطون عن محدود ، وعطاؤك لا حد له ، فيا جواد يعلو كل جواد ، وبه جاد كل من جاد .

وفي تضاعف جوده ﷺ في شهر رمضان بخصوصه فوائد :

منها : شرف الزمان ، ومضاعفة أجر العمل فيه ، كما ورد في الحديث «أفضل الصدقة صدقة في رمضان» .

ومنها إعانة الصائمين، والقائمين، والذاكرين، على طاعتهم. فيستوجب المعين لهم مثل أجرهم ، كما أن من جهز غازيًا فقد غزا ، ومن خلفه في أهله فقد غزا .

وجاء عنه ﷺ أنه قال : « من فطر صائمًا فله مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء ، وما عمل الصائم من أعمال البر إلا كان لصاحب الطعام مادام قوة الطعام فيه» رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة .

وجاء في حديث سلمان رضي الله عنه مرفوعًا إلى النبي ﷺ في صفة شهر رمضان وفيه : « وهو شهر المواساة ، وشهر يزاد فيه في رزق المؤمن، من فطر صائمًا كان مغفرة لذنوبه ، وعتق رقبته من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء ، قالوا : يا رسول الله ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم قال : يعطي الله هذا الثواب لمن فطر صائمًا على مذقة لبن أو تمرة أو شربة ماء ، ومن سقى فيه صائمًا سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ بعدها حتى يدخل الجنة » .

ومنها : أن شهر رمضان شهر يجود الله فيه على عباده بالرحمة والمغفرة والعتق من النار ، لا سيما في ليلة القدر ، والله تعالى يرحم من عباده الرحماء، كما قال عليه الصلاة والسلام : « إنما يرحم الله من عباده الرحماء ، فمن جاد على عباد الله جاد الله عليه بالعطاء والفضل والجزاء من جنس العمل» .

ومنها : أن الجمع بين الصيام والصدقة من موجبات الجنة ، كما في حديث علي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إن في الجنة غرفًا يرى ظاهرها من بطونها ، وبطونها من ظهورها ، قالوا : لمن هي يا رسول الله ؟ قال : لمن طيب الكلام ، وأطعم الطعام ، وأدام الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام» رواه أحمد والطبراني والحاكم .

وهذه الخصال كلها تكون في رمضان ، فيجتمع فيه الصيام ، والقيام، والصدقة ، وطيب الكلام ، والصدقة توصل صاحبها إلى الله عز وجل . قال بعض السلف : « الصلاة توصل صاحبها إلى نصف الطريق ، والصيام يوصله إلى باب الملك ، والصدقة تأخذ بيده فتدخله على الملك » .

ومنها : أن الجمع بين الصيام والصدقة أبلغ في تكفير الخطايا ، واتقاء جهنم ، والمباعدة عنها ، وخصوصًا إذا انضم إلى ذلك قيام الليل . كان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول : « صلوا في ظلمة الليل ركعتين لظلمة القبر ، صوموا يومًا شديدًا حره لحر يوم النشور، تصدقوا بصدقة نشر يوم عسير » رواه البيهقي في شعب الإيمان.

ويستحب للصائم أن يحرص في هذا الشهر على الإيثار ، وإعانة الصائمين على التقوى على العبادة ، بإطعامهم الطعام ، وسقايتهم الشراب، ولذلك كان كثير من السلف يواسون من إفطارهم، أو يؤثرون به، ويطوون .

وكان ابن عمر رضي الله عنه يصوم ولا يفطر ، إلا مع المساكين ، فإذا منعه أهله عنهم لم يتعش تلك الليلة ، وكان إذا جاءه سائل وهو على طعامه أخذ نصيبه من الطعام فأعطاه السائل .

واشتهى بعض الصالحين من السلف طعامًا ، وكان صائمًا فوضعه بين يديه عند فطوره ، فسمع سائلاً يقول : من يقرض العلي الوفي الغني ؟ فقام ، وأخذ الصحفة ، فخرج بها إليه ، وبات طاويًا .

وجاء سائل إلى الإمام أحمد فدفع إليه رغيفين كان يعدهما لفطره ، ثم طوى ، وأصبح صائمًا .

وكان الحسن يطعم إخوانه وهو صائم تطوعًا ، ويجلس يروحهم وهم يأكلون .

وكان ابن المبارك يطعم إخوانه في السفر الألوان من الحلواء وغيرها وهو صائم .

قال الإمام الشافعي رحمه الله : أحب للرجل الزيادة بالجود في شهر رمضان ، اقتداء بالرسول ﷺ ، ولحاجة الناس فيه إلى مصالحهم ، ولتشاغل كثير منهم بالصوم ، والصلاة ، على مكاسبهم .

اللهم وفقنا لما وفقت إليه عبادك الصالحين ، ومن علينا باقتفاء طريقة سيد المرسلين ، واسلك بنا طريق الاستقامة ، واهدنا إلى سبيل السلامة .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه .

* * *

(١١)

فضل التوبة

روى البخاري ومسلم رحمهما الله عن أبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا ؛ غفر له ما تقدم من ذنبه» .

وروى الإمام أحمد وابن حبان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « من صام رمضان فعرف حدوده ، وتحفظ مما ينبغي التحفظ منه كفر ذلك ما قبله» .

وجمهور العلماء رحمهم الله على أن تكفير الذنوب المراد به الصغائر منها ، وأما الكبائر فإنه لابد فيها من التوبة النصوح .

والتوبة النصوح هي ما اشتملت على ثلاثة أمور : الأول: الإقلاع عن الذنب ، والثاني: الندم على ما فعل ، والثالث: العزم على أن لا يعود لمثله .

ويدل على ذلك ما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر » .

واختلف العلماء في تأويل معنى هذا الحديث ، فقال طائفة منهم : إن هذا الحديث يدل على أن تكفير الصغائر مشروط باجتناب الكبائر ، كما يدل عليه قوله : «ما اجتنبت الكبائر» ، فإذا لم تجتنب الكبائر لم يحصل التكفير

للصغائر ، والقول الآخر لبعض العلماء : أن المراد أن هذه الفرائض التي هي الصلوات الخمس والجمعة ورمضان تكفر صغائر الذنوب دون كبائرها ، وأن الصغائر مكفرة بها سواء اجتنبت الكبائر أو لم تجتنب .

وقد قال ابن المنذر رحمه الله في قيام ليلة القدر : إنه يرجى به مغفرة الذنوب كبائرها وصغائرها .

وجمهور العلماء رحمهم الله : أن الكبائر لابد لها من توبة نصوح ، فحديث أبي هريرة المتقدم يدل على أن هذه الأسباب الثلاث التي هي الصلوات الخمس، والجمعة، ورمضان، مكفرات لما سلف من الذنوب ، ما اجتنبت الكبائر ، وصيام رمضان وقيامه يحصل به التكفير عند انتهاء الصيام والقيام ، أي في آخر الشهر فأتم الشهر ، فقد كمل للمؤمن صيام رمضان وقيامه ، فيترتب على ذلك مغفرة ما تقدم من ذنبه بتمام السببين وهما الصيام والقيام .

ويدل على ذلك : ما أخرجه الإمام أحمد رحمه الله من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « أعطيت أمتي خمس خصال في رمضان لم تعطها أمة غيرهم : خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا ، ويزين الله كل يوم جنته ويقول : يوشك عبادي أن يكفوا عنهم المؤنة والأذى ويصيروا إليك ، وتصفد فيه مردة الشياطين ، فلا يخلصون فيه إلى ما كانوا يخلصون إليه في غيره ، ويغفر لهم في آخر ليلة فيه ، فقيل يا رسول الله : أهي ليلة القدر ؟ قال : لا ولكن العامل إنما يوفى أجره إذا قضى عمله» .

وقد روي أن الصائمين يرجعون يوم الفطر مغفورًا لهم ، وأن يوم الفطر يسمى يوم الجوائز ، وقال الزهري : إذا كان يوم الفطر ، وخرج الناس إلى الجبار اطلع الله عليهم ، فقال : يا عبادي لي صمتم ، ولي قمتم ، ارجعوا مغفورًا لكم .

وفي حديث مرسل : « من أتى عليه رمضان فصام نهاره ، وصلى وردًا من ليله ، وغض بصره ، وحفظ فرجه ولسانه ويده ، وحافظ على صلاته في الجماعة ، وبكر إلى جمعة ، فقد صام الشهر ، واستكمل الأجر ، وأدرك ليلة القدر ، وفاز بجائزة الرب» .

فإذا أكمل الصائمون صيام رمضان وقيامه فقد وفوا ما عليهم ، وبقي ما لهم من الأجر ، وهو المغفرة ، فإذا خرجوا يوم عيد الفطر إلى الصلاة قسمت عليهم أجورهم ، فرجعوا إلى منازلهم وقد استوفوا الأجر واستكملوه ، ولذلك كان السلف الصالح يجتهدون في إتمام العمل ، وإتقانه ، وإكماله ؛ لعله يكون سببًا للقبول والفوز بجائزة الرب ، ويهتمون بعد ذلك بقبوله، ويخافون من رده،ولذلك وصف الله عباده المؤمنين بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون:٦٠] .

وروي عن الإمام علي رضي الله عنه قال : « كونوا لقبول العمل أشد اهتمامًا منكم بالعمل ، ألم تسمعوا الله عز وجل يقول : ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧] » .

وعن فضالة بن عبيد قال : لأن أكون أعلم أن الله تقبل مني مثقال حبة من خردل أحب إليّ من الدنيا وما فيها ؛ لأن الله يقول : ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ

ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ .

وروي عن علي رضي الله عنه : « أنه كان ينادي في آخر ليلة من شهر رمضان: يا ليت شعري مَنْ هذا المقبول فنهنيه ، ومن هذا المردود فنعزيه » .

وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول : « من هذا المقبول منا فنهنيه ومن هذا المحروم فنعزيه ، أيها المقبول هنيئًا لك ، أيها المردود جبر الله مصيبتك» .

اللهم اجعلنا من المقبولين المرحومين ، ولا تجعلنا من المطرودين المحرومين . اللهم اختم لنا بخير ، واجعلنا من المعتقين في هذا الشهر الكريم ، يا رحمن يا رحيم، يا رب العالمين ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه .

* * *

(١٢)

العشر الأواخر وقيام الليل

روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر ، شد مئزره ، وأحيا ليله ، وأيقظ أهله» . وفي لفظ مسلم : «أحيا الليل ، وأيقظ أهله ، وجد ، وشد المئزر » .

هذا الحديث الشريف يدل على فضيلة هذه العشر التي هي العشر الأخيرة من شهر رمضان ، فقد خص الله هذا الشهر بمزايا لم تكن في سائر الشهور ، من تنزل الرحمات ، ومغفرة السيئات ، ومضاعفة الأجور ، وعتق الرقاب فيه من النار ، وخص الله هذه العشر منه بمزيد من الفضل ، وجعل ليلة القدر فيها خيرًا من ألف شهر ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَـٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ [القدر: ١-٥] ، وكما في قوله سبحانه ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الدخان:٣-٦] .

فهذا يدل على فضل هذه الليلة المباركة ، وأن الله جعلها رحمة لعباده، يجود عليهم فيها بمضاعفة الحسنات ، ومحو السيئات ، وجعل العبادة فيها خيرًا من العبادة في ألف شهر خالية منها .

ولذلك كان ﷺ يخص هذه العشر بمزيد من العبادة ، فكان يتفرغ

لمناجاة ربه ، ويسهر ليله ، ويكثر من تلاوة القرآن ، ويتجنب نساءه ، وينقطع فيها للعبادة ، كما يدل على ذلك الحديث المتقدم وغيره من الأحاديث . كما جاء في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : «كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره» .

كان النبي ﷺ يخص العشر الأواخر من رمضان بأعمال لا يعملها في بقية الشهر :

فمنها : إحياء الليل ، فيحتمل أن يراد بإحيائه كله ، كما ورد من بعض الطرق عن عائشة : « وأحيا الليل كله » .

وجاء في المسند عنها قالت : «كان النبي ﷺ يخلط العشرين بصلاة ونوم ، فإذا كان العشر -يعني الأخير- شمر وشد المئزر » .

وروي عن أنس رضي الله عنه قال : « كان النبي ﷺ إذا شهد رمضان قام ونام ، فإذا كان أربعًا وعشرين لم يذق غمضًا» ، ويحتمل أن يراد بإحياء الليل: إحياء غالبه .

وقد روي عن بعض السلف: أن من أحيا نصف الليل فقد أحيا الليل كله . وروي أيضًا مثل هذا عن عائشة رضي الله عنها .

وكان اجتهاده ﷺ في هذه العشر كله طلبًا لليلة القدر ؛ ولذلك روي عنه ﷺ أنه قام بهم ليلة ثلاث وعشرين، وخمس وعشرين، وسبع وعشرين ؛ لأن هذه الليالي أرجى أن تكون ليلة القدر . وروي أنه دعا أهله ونساءه ليلة سبع وعشرين ، وهذا يدل على أنه يتأكد إيقاظهم في آكد الأوتار التي ترجى

فيها ليلة القدر .

وقد روى الطبراني عن علي رضي الله عنه : « أن النبي ﷺ كان يوقظ أهله في العشر الأواخر من رمضان ، وكل صغير وكبير يطيق الصلاة » .

قال سفيان الثوري رحمه الله : « أحب إذا دخل العشر أن يتهجد بالليل ، ويجتهد فيه ، وينهض أهله وولده إلى الصلاة إن أطاقوا» .

وقد صح عن النبي ﷺ أنه كان يطرق فاطمة وعليًا ليلاً فيقول لهما : «ألا تقومان فتصليان » . وكان يوقظ عائشة بالليل إذا قضى تهجده وأراد أن يوتر .

وفي الموطأ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « أنه كان يصلي في الليل ما شاء الله أن يصلي حتى إذا كان نصف الليل أيقظ أهله للصلاة يقول لهم : الصلاة ، الصلاة ، ويتلو هذه الآية ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه :١٣٢] » .

فجميع ما تقدم من الأحاديث والآثار تدل على فضل الصلاة في الليل ، واستحباب إيقاظ الأهل والولد من أجلها لا سيما في هذه الليالي العظيمة الشريفة التي هي مغنم وموسم من المواسم التي تعوض إذا فاتت، ولا يعلم العبد هل يدركها عامًا قابلاً أو لا يدركها .

وقوله في الحديث : « أنه ﷺ كان يشد المئزر » اختلف العلماء في معناه، فمنهم من قال : هو كناية عن شدة جده واجتهاده في العبادة ، ومنهم من قال : إن هذا إشارة إلى اعتزاله النساء في هذه العشر ، وعدم قربانه لهن ؛

لشغله بالعبادة والصلاة والمناجاة لربه . وهذا تفسير كثير من السلف رحمهم الله وبعض الأئمة ، كما فسره سفيان الثوري وهو يروى بالمعنى عن عائشة رضي الله عنها وأنس بن مالك ، فقد جاء عنه رضي الله عنه قال : «كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر طوى فراشه ، واعتزل النساء» رواه الطبراني في الأوسط .

وأيضًا كان من عادته ﷺ أن يعتكف العشر الأواخر ، ومن المعلوم أن المعتكِف ممنوع من قربان النساء ، كما في قوله سبحانه : ﴿ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ [البقرة:١٨٧] .

وروي عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان رسول الله ﷺ إذا كان رمضان قام ونام ، فإذا دخل العشر الأواخر شد المئزر ، واجتنب النساء، واغتسل بين الأذانين ، وجعل العشاء له سحورًا » رواه الطبراني في الأوسط .

ويستحب في هذه الليالي الاغتسال بين صلاة المغرب والعشاء ، فقد روي عن علي رضي الله عنه « أن النبي ﷺ كان يغتسل بين العشائين كل ليلة» يعني : من العشر الأواخر .

وروي عن حذيفة رضي الله عنه : « أنه قام مع النبي ﷺ ليلة من رمضان ، فاغتسل النبي ﷺ ، وستره حذيفة ، وبقيت فضلة ، فاغتسل بها حذيفة ، وستره النبي ﷺ» .

قال الإمام ابن جرير رحمه الله : كانوا يستحبون أن يغتسلوا كل ليلة

من ليال العشر الأواخر ، وكان النخعي يغتسل في العشر كل ليلة ، ومنهم من كان يغتسل ، ويتطيب في الليالي التي تكون أرجى لليلة القدر .

وروي عن أنس رضي الله عنه : « أنه إذا كان ليلة أربع وعشرين اغتسل ، وتطيب ، ولبس حلة إزار ورداء ، فإذا أصبح طواهما ، فلم يلبسهما إلى مثلها من قابل .

وكان لتميم الداري حلة اشتراها بألف درهم ، وكان يلبسها في الليالي التي ترجى فيها ليلة القدر .

فتبين بهذا أنه يستحب في الليالي التي ترجى فيها ليلة القدر التنظف والتزين ، والتطيب بالغسل والطيب واللباس الحسن ، كما يشرع ذلك في الجمع والأعياد ، كما أنه يشرع أخذ الزينة بالثياب في سائر الصلوات ، كما قال سبحانه : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٍ ﴾ [الأعراف:٣١] أي : عند كل صلاة . قال بعض العلماء : ولا يكمل التزين الظاهر إلا بالتزين الباطن ، وذلك بالتوبة إلى الله ، والإنابة إليه ، وانكسار القلب بين يديه ، فإن زينة الظاهر مع خراب الباطن لا تغني شيئًا ، قال سبحانه : ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ﴾ [الأعراف:٢٦] وقد قيل :

إذا المرء لم يلبس ثيابًا من التقى   تقلب عريانًا وإن كان كاسيًا

والله سبحانه وتعالى لا ينظر إلى صوركم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ، فمن وقف بين يديه فليزين له ظاهره باللباس ، وباطنه بلباس

التقوى .

نسألك اللهم أن تزينا بزينة الإيمان ، وأن تعتقنا في هذا الشهر الكريم من النيران ، وأن تجعلنا ممن قُبل صيامه وقيامه ، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه .

* * *

(١٣)

ليلة القدر واعتكاف العشر

روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ: « أرأيت إن وافقت ليلة القدر ماذا أقول فيها ؟ قال : قولي : اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني» .

وقد نبه الله سبحانه على فضل ليلة القدر وشرفها في قوله سبحانه : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [القدر:١-٥] .

فلطلب هذه الليلة كان رسول الله ﷺ يخص العشر الأخيرة من رمضان بمزيد من العبادة ، لا سيما لياليه ، فكان يعتكف في هذه العشر طالبًا لها ، وكان يحيي ليلها بالعبادة .

وجاء في مسند الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان رسول الله ﷺ يخلط العشرين بصلاة ونوم ، فإذا كان العشر -يعني الأخير- شمر وشد المئزر» .

وروي عن أنس رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ إذا شهد رمضان قام ونام فإذا كان أربعًا وعشرين لم يذق غمضًا» .

وقال بعض العلماء : يحتمل أن يراد بإحياء الليل إحياء غالبه ، ويشهد لهذا القول ما روى مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت : « ما

أعلمه ﷺ قام ليلة حتى الصباح» .

فعلى المسلم أن يجتهد ويجد في هذه العشر اقتداء بالنبي ﷺ ، وطلبًا للفضل من الله سبحانه ، وأن يحرص على حضور الجماعة في أداء فرائضه ، لا سيما صلاة العشاء وصلاة الفجر ؛ لما جاء في فضلهما ، وأنهما أثقل الصلوات على المنافقين .

وقد روى الإمام مالك رحمه الله قال : بلغني أن ابن المسيب قال : من شهد العشاء ليلة القدر -يعني في جماعة- فقد أخذ بحظه منها ، وكذا قال الإمام الشافعي رحمه الله : من شهد العشاء والصبح ليلة القدر ، فقد أخذ بحظه منها .

وقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا : « من صلى العشاء الآخرة في جماعة في رمضان فقد أدرك ليلة القدر» رواه البيهقي في شعب الإيمان .

وقد روي في حديث مرسل أن النبي ﷺ قال : « من أتى عليه رمضان صحيحًا مسلمًا صام نهاره ، وقام ، وصلى وردًا من ليله ، وغض بصره ، وحفظ فرجه ولسانه ويده ، وحافظ على صلاته في الجماعة ، وبكر إلى جمعة، فقد صام الشهر ، واستكمل الأجر ، وأدرك ليلة القدر ، وفاز بجائزة الرب عز وجل» .

وكان ﷺ يعتكف في هذه العشر كما في حديث عائشة رضي الله عنها «أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله » رواه

البخاري ومسلم . وإنما كان يعتكف النبي ﷺ في هذه العشر التي كانت تطلب فيها ليلة القدر؛ قطعًا لأشغاله ؛ وتفرغًا لباله؛ وتخليًا لمناجاة ربه وذكره ودعائه ، وكان يحتجر حصيرًا يتخلى فيه عن الناس ، فلا يخالطهم ، ولا يشتغل بهم .

ولهذا ذهب الإمام أحمد رحمه الله إلى أن المعتكف لا يستحب له مخالطة الناس ، حتى ولا لتعليم علم وإقراء قرآن ، بل الأفضل له الانفراد بنفسه والتخلي بمناجاة ربه وذكره ودعائه ، وإنما يكون ذلك في المساجد لئلا يترك به الجمع والجماعات ، فإن الخلوة القاطعة عن الجمع والجماعات منهي عنها، فالخلوة الشرعية لهذه الأمة هي الاعتكاف في المساجد ، خصوصًا في شهر رمضان وفي العشر الأواخر منه أخص ، كما كان النبي ﷺ يخصها .

فالمعتكف قد حبس نفسه على طاعة الله وذكره وقطع عن نفسه كل شاغل يشغله عنه ، وعكف بقلبه وقالبه على زبه وما يقربه منه . فمعنى الاعتكاف وحقيقته : قطع العلائق عن الخلائق ؛ للاتصال بخدمة الخالق .

وليلة القدر ترجى في العشر الأواخر من هذا الشهر وهي في السبع الأواخر منه أرجى ؛ لما جاء في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجالاً من أصحاب النبي ﷺ أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر ، فقال رسول الله ﷺ : أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر ، فمن كان متحريها ، فيلتحرها في السبع الأواخر» .

وفي صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «التمسوها في العشر الأواخر ، فإن ضعف أحدكم أو عجز ، فلا يغلبن على

السبع البواقي» .

وقد اختلف العلماء رحمهم الله في ليلة القدر في أي ليلة من العشر :

فالمشهور عن الإمام الشافعي رحمه الله : أنها ليلة إحدى وعشرين.

وروي عنه رضي الله عنه : أنها ليلة ثلاث وعشرين .

وكان الحسن البصري رحمه الله يرى : أنها ليلة أربع وعشرين .

وعند بعضهم : أنها ليلة سبع وعشرين ، كما جاء ذلك عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم ، وهو اختيار الإمام أحمد ، كما جاء في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما « أن رجلاً قال : يا رسول الله ، إني شيخ كبير عليل ، يشق علي القيام ، فمرني بليلة يوفقني الله فيها لليلة القدر ، قال : عليك بالسابعة» . وقد قال النبي ﷺ كما في حديث ابن عمر الذي رواه الإمام أحمد أيضًا أنه قال : « من كان منكم متحريها فليتحرها ليلة سبع وعشرين» .

فينبغي للمسلم أن يحرص على هذه الليلة وأن يكثر فيها من الصلاة والتهجد والدعاء وقراءة القرآن لقوله ﷺ : « من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه» رواه البخاري ، وقيامها هو إحياؤها بالتهجد فيها والصلاة .

وقد أمر ﷺ عائشة بالدعاء فيها . ولذلك يروى عن سفيان رضي الله عنه أنه قال : « الدعاء في تلك الليلة أحب إليَّ من الصلاة ، وأفضل ما يدعى فيها سؤال العفو ، كما قال ﷺ لعائشة : « قولي : اللهم إنك عفو تحب

العفو فاعف عني» رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة .

اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا ، واغفر لنا ، وارحمنا ، واعتق رقابنا ، وآجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة يا حي يا قيوم .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه .

* * *

فهرس الرسالة

الفهرس



فهرس الرسائل[1]

رسائل في العقيدة والدعوة

رسائل في الحديث

رسائل في العبادات

* * *

(١) توجد فهرسة تفصيلية لكل رسالة في آخرها .





